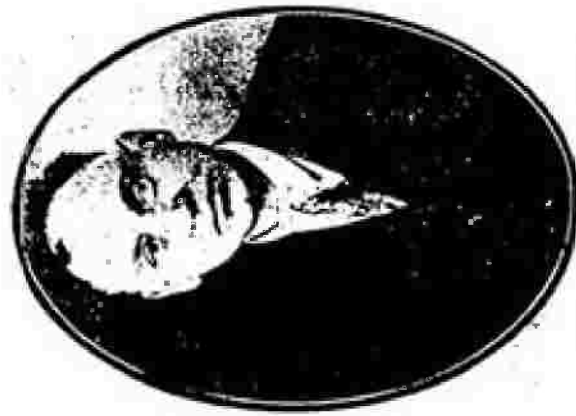
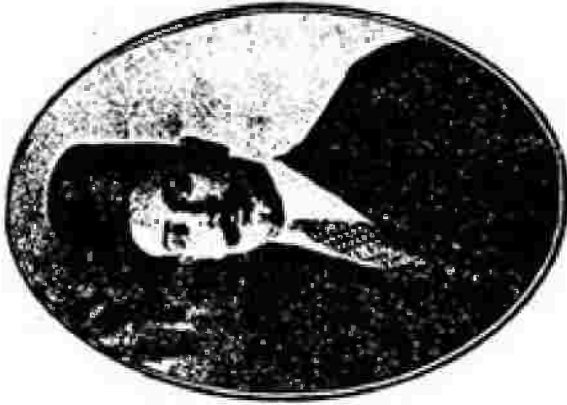




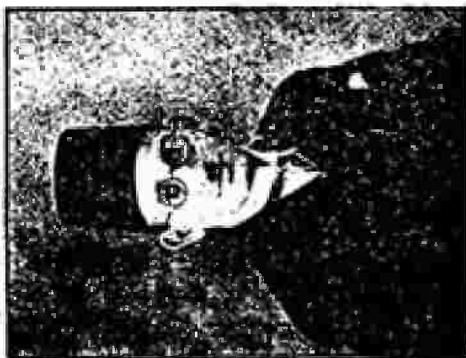
الأستاذ الدكتور علي العناني
راجع مقال : الحكمة الصينية ،



الأستاذ محمد جاد المولي بك
« راجع مقال » الإرادة والعمل «



الأديب عبد الحميد الأمروسي
راجع قصة « فاطمة »



الاستاذ محمد مهدي علام
راجع مقال « الضمير »

A decorative rectangular border with ornate floral and scrollwork patterns, featuring clusters of leaves and flowers at the corners and midpoints.

الإدارة الجديدة

لجـ _____ لمة المعرفة

بشارع عبد العزيز رقم ٤

بالقاهرة



أمير الشعراء
سعادة أحمد شوقي بك
(راجع : الحقيقة والحياة)

الجزء الأول
السنة الثانية

المعرفة

أول مايو سنة ١٩٣٢
ذو القعدة سنة ١٣٥٠

مجلة — شهرية — جامعة

لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الإسماعيل

العدد ١٣

شعارها : اعرف نفسك بنفسك

المجلد الثالث

المعرفة

في سنتها الثانية

في مثل هذا اليوم من السنة الماضية ، انتخبنا الجزء الأول للسنة الأولى من حياة « المعرفة » باسم الله ، وبقول نبيه الكريم « من عرف نفسه فقد عرف ربه » وما نحن الآن نتفتح الجزء الأول للسنة الثانية من حياة « المعرفة » بمثل ما انتخبنا به الجزء الأول من السنة الأولى ، مغتبطين كل الانتباط ، بما أتيح لنا أن نقوم به من واجب أخذنا أنفسنا به ، وعاهدنا القراء على الثبات عليه : جزلين غاية الجزل ، لهذه الخطوة التي تتخطاها « المعرفة » إلى هذه السنة الجديدة ، شاكرين أجزل الشكر حضرات الكتاب والعلماء والأدباء والشعراء الذين آذرونا في آداء هذا الواجب ، بما تفضلوا به ، أو فرضوه على أنفسهم ، في سبيل الغاية التي لأجلها قامت « المعرفة » ، شاكرين نفس الشكر حضرات المشتركين الذين صدقوا معنا ، والقراء الذين شجعوا تشجيعا ليس في وسعنا إلا تقديره والتغنى به ، إذ كان ذلك التشجيع من أكبر الدعامات التي قامت عليها منذ نشأتها ، بل كان له الفضل غاية الفضل في سيرها بخطى مترنة سريعة ، راقية درجات الصعود إلى سبيل غايتها في طمأنينة وثبات .

وإذا كان من الضروري : أن نتحدث إلى حضرات القراء عما صادفته « المعرفة » في سبيلها الأولى - وهم من المساهمين فيها من غير شك - فإن المعروف أن مجلة المعرفة، وقد قامت بدعوة اقترنت بها ، لا بد أن تلقى عنتا ، ويصادفها عقبات في فجر حياتها على الأخص ، قد يكون تذليلها في بادئ الأمر ، مما لا يستهان به ، ما لم يكن مرهونا على تمضيد القراء ، موقوفا على مؤازرة الكتاب ، ومعاونة الآخذين بمكرتها ، المؤمنين بصلاحية دعوتها .

إذا كان لابد من مصارحة القراء بشيء من ذلك ، فلنذكر إذن أن فئة من الناس قد بذلت جهودا كثيرة لتتل « المعرفة » وهي جنين لم يولد ، ووضعت عقبات كآداء في سبيلها ، وهي مقلعة لم تحب ، لكن الله أبى إلا خذلانهم وإزهاق باطلهم ، ونصرة الحق الذي تدعو « المعرفة » إليه ، وتأخذ نفسها بالدفع عنه .

وهاهي ذي السنة الأولى قد مرت بسلام : رغم تلك العقبات ، وهاتيك الفتن : وهاهي ذي « المعرفة » قد جالدت وماتزال تجالدا لا عاصير والزعازع التي يثيرها أولئك المساكين !! براملة جأش ، وثبات عزيمة ، وعقيدة لا يتطرق إليها الضعف أو الوهن .

وإذا كانت تلك الفئة ، التي تأتي إلا المتاجرة باسم العلم والدين والأدب ، أو باسم الصحافة والمنافسة ، قد باءت بالفشل والخسران ، وعادت من الغنيمة بالأياب ، وآتت بسخط العقلاء والمفكرين ، فأحرى بها أن تسكن إلى أوكارها ، تقوى من بذاتها ، وقد تداعى ، لتدفع عن نفسها تهمة الضعف والحمود ، ولتنتج إنتاجا علميا نافعا ، يحل محل الدجل الذي سئسسته النفوس . إنا لننصحهم ، صادقين ، وإن كنا نعرف أن جل همهم غم المادة ، ونهاية مقصدهم استغلال أحط التزامات لوجه الكسب المادي ، لا أكثر ولا أقل .

على أنا أصبحنا الآن بفضل ما تقدم ، مملوئين رجاء في المستقبل وأملًا في الله ، يزيدنا في ذلك ، شعورنا بأننا أدينا بعض الجهود التي حملناها « المعرفة » في بدء نشأتها ، ونصلها إياها حتى آخر رمق من حياتنا ، معتقدين أن « المعرفة » قد استطاعت ، بفضل معاونة الجميع : من كتاب وقراء ، أن تسد فراغا في عالم العلم والثقافة العربية الصحيحة ، والصحافة العلمية الراقية ، فامن شك في أن « المعرفة » قد أضحت مجالًا للبحوث العلمية المختلفة ، التي تتصل بكل ما يمس الشرق من غم ومعرفة ، أو يرتبط وتاريخه من فن وأدب ، كما أنها لم تنس الثقافة العربية ، وما يتصل بها من أدب عال ، أو علم نافع ، أو فن رفيع ، كما ساهمت بأوفر نصيب ، في الدعوة إلى إحياء الشرق ، وبعث نهضته من جديد ، وألحت على قوبة العروبة ، ونشر لواء العربية ، وربط الشرق بالغرب ، بحقيقة في ذلك بعض ما أخذته على نفسها في أول جزء من أجزائها ، فأصبح ما كان محالا جائزا ، وما نحن نذكر ما قلناه في الجزء الأول من السنة الأولى في هذا الصدد :

« إن من أهم أغراضنا : ربط البلاد الشرقية بعضها ببعض أولا ، ومن ثم ربط الشرق بالغرب »

ثانياً ، وذلك بالعمل على نشر معارف الأول في الثاني : فما يزال الشرق مبعث الحسكة والنور ، ومهبط الوحى والالهام . وأب العلم والمعرفة ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر .
« كذلك نعمل على استخلاص النافع لنا من علوم الغرب ، واستصفاء ما يصلح لنا من مدنيته لنقوم بها ببناء مدنيتنا : فالحق أنا لا نستطيع إنكار ما للغرب من مدنية وعلم وحضارة » .
وهاهى ذى مجموعة السنة الأولى بين أيدي الجميع ، يستطيعون تقدير ما بذلته « المعرفة » في هذه الغاية . دون زهو أو غار .

فما من جزء من أجزائها : إلا ويحتوى بحوثاً جليلة ، ومواضيع قيمة : ومقالات طريفة لكبار الكتاب والعلماء والمؤرخين والأدباء والشعراء . وأحاديث أو آراء هامة : لأسراء الشرق وزعمائه ووزرائه ، على اختلاف نحلهم وتعدد أوطانهم : فكانت « المعرفة » بعون الله حلقة اتصال بين أبناء الشرق جميعاً ، لاتفرق بين قطر وقطر ، أو تميز فريقاً دون فريق ، أو تقتصر لزيد دون عمرو .

فتلاقت على صفحاتها أقلام : العربى ، والجركسى ، والمصرى ، والسورى ، والهندى ، والصينى ، والأفغانى ، والنسطينى ، والحبازى ، واليمنى ، والحضرمى ، والروسى ، والتونسى ، والجزائرى ، والسودانى ... الخ .

ولهذا كله لاف « المعرفة » أكبر التعضيد : في جميع البلاد الشرقية ، والبلاد الغربية ، الناطق أهلها بالضاد ، فزاد اعتقادنا بأن الحاجة كانت ماسة إلى هذا الغرب من الصحافة ، التى تقرب الغايات ، وتوحد الرغبات . وتعمل على البث الذى قطع فيه جميعاً : فتلك بلاد تجمعنا وإياها رابطة اللغة ، والجنس ، والدين : بل رابطة الاستثمار والاستعمار الذى نشرنا عليها على معظم آفاق الشرق ، ذلك الشرق المسكين ، الذى كان مبعث حضارة الغرب المظلم ، فى كثير من أحواله . والذى بث إليه الروح الخالدة ، والحياة الفياضة ، والذى نشر فى أرجائه نور العلم ، والمعرفة ، وضوء الحق .

نحن الشرقيين إذن فى حاجة إلى التآزر والتساند . بل فى حاجة إلى تقارب العقليات ، واتحاد الميول ، مادما نخضع لمصير واحد : والصحافة المحترمة التريفة ، تستطيع أن تؤدي نصيباً وافراً من هذه الرسالة : إذا توجهت فى آدائها . بنية اليد ، طاهرة الدمة . عفة الاسان ، فهل آن الوقت الذى تقوم فيه تلك الحقيقة على وجهها الصحيح ؟

إننا نأمل كل الأمل . أن تلقى من التعضيد والتأييد ما يشجعنا على السير فى الخطة التى سارت عليها « المعرفة » فى سبيل تلك الغاية النبيلة ، واستقرت عندها أطماعنا التى حسبها بعض الناس محالاً ، ورأوها حلاً بيننا وبيننا ، وهؤلاء هم الذين إذا ذكر الحق أمامهم ، خارت منه قواهم ، وانحلت لسمعه عزائمهم ، حتى إذا مارأوا هذا الحال أخذوا فى التحقيق . وذلك الحلم يفسره ضوء الحق خرواً أمام عظمته ساجدين .

وإذا كان اليهود الذي بذلناه في السنة الأولى شاقاً عسيراً ، فإن ما لقيناه من تقدير ومعاونة قد يسر لنا اليهود أكبر تيسير ، وجعلنا نشعر أن باب التجربة وإن كانت لا ينتج في مصر إلا على الخسار ، إلا أنه مؤد لتعرف الحق من الضلال ، وتمييز الصالح من الطالح ، والفرقة بين النافع والضرار . ونحسبنا أن وقتنا من تلك التجربة على أن مضى سنة واحدة ، على أي مشروع مصري يهد في وقتنا هذا ، في حكم النادر ، بل معجزة من المعجزات ! وتلك في الحق أعجب الأعاجيب في العصر الذي نعيش فيه . وليس لذلك من سر ، اللهم إلا أننا معشر المصريين : ما تزال كرماء لضيوفنا !! ضنينين مؤازرة أبنائنا .

وإذا كانت « المعرفة » مصرية في كل ما يوصل بها ، من ملكية وتحرير ، فإنها شرقية في غاياتها ، عربية في أغراضها ، ولهذا لم يكن يمنعنا مانع من نشر رأيين مختلفين ، بل متناقضين ، ولو أدى الأمر إلى خسارة بعض الأنصار ، معتقدين بأن الحق لا يميز من الضلال ، بغير الجدل والمناقشة ، ما دام الجدل والمناقشة في حدود الأدب والنقد البري .

وإذا كانت الغايات التي أخذنا « المعرفة » بها ، غايات جسيمة ، فإننا قد رسمنا مسؤولياتها عام التقدير ، ولا ندعى أن تحقيقها يسير ، بل نعترف أنها تصعب على من رامها وتطول ، ولو كانت العصبية أولو القوة ، فما بالك بمجهود فرد ضعيف ؛ لكنا نعمل بقدر طاقتنا ، مهتدين بما أسلفنا في السنة الأولى . واثقين من مؤازرة الجميع .

ورجأؤنا أن تسهج « المعرفة » بالصحافة الشهيرة نهجاً علمياً جديداً ، وتسلك بها سبيلاً عربياً أرشيداً . واعدن قراءنا ، ببذل أقصى ما يستطاع في سبيل تحسينها ، والحصول على أحدث الآراء العلمية الغربية . واستكتاب ذوي الرأي وأهل التخصص في كل علم وفن ، حتى تؤتي « المعرفة » النمرة الطيبة ، وحتى يجد فيها كل قارئ ما يعمى إليه نفسه . ويقف على آخر ما بلغ إليه تطور العقل البشري ، من حرية وتفكير ؛ ولنا في هذا مبتدعين أو مغالين ، فقد قلنا في أول السنة الأولى ما نصه :

« المعرفة في التحقيق ، كلمة تجمع كل الآثار والمنتجات العقلية وغيرها ، فالعلم والدين والفلسفة ، بل الأدب والفن ، كلها صور وآثار ، تجمعها كلمة المعرفة . »

على ضوء ما تقدم ، نفتتح السنة الثانية ، من حياة « المعرفة » معاهدين الجميع ، أن نكون كما كنا . عالمين على بحث الثقافة الشرقية ، مقدرين حرية الرأي كل التقدير . والله وحده كفيل بتحقيق الآمال .

عبد العزيز الإسلامبولي

الحقيقة والحياة

بقلم صاحب السعادة أمير الشعراء

أحمد شوقي بك

شوقي علم الأعلام، وشاعر الشرق والاسلام، خيال بارع، وذو خلق صانع،
وسبحان الفادر، ملهم الشاعر، إلهاب المنشاعر.
شوقي : وناهيك باسم شرفه الله في الأسماء ، وتوجه في جميع الأرجاء ، وجعله
أمير الشعراء ، وسيد الفصحاء والبلغاء ...
وبعد : فهذه شذوَر تفضل بها علي ، المعرفة ، أمير الشعراء ، نحلي بها جيدها
في مستهل سنتها الثانية ، وتلك الشذوَر من كتاب سيظهر إلى الناس قريباً باسم
« أسواق الذهب » ، يحكي به أمير الشعراء فن القدم من النثر ، فتري فيه كيف
نظهر اللاكيه أصدافها ، ونجملو الحياة أعرافها .
فأنت منه بين الحسينيين ، وفي معرض الحلبيين ، أو أنت فيه بين حلبيين ، أو في
برزخ بين لجئين ، من الالفاظ القوال ، والافكار العوال : تقدم منه لقراء « المعرفة »
تلك الشذوَر رسالة علم وسلام .
المحرر

(١)

الحقيقة الواحدة

يا متابع الملاحظة، مشايخ العصبية الجاحدة ، منكر الحقيقة الواحدة : ما للامني
والمرأة ، وما للمقعد (٢) والمرقاة (٣) ، وما لك والبحث عن الله ؛
قم إلى السماء تقص (٤) النظر ، وقص الأرض (٥) ، واجمع الخير والخير (٦) .
كيف ترى ائتلاف الفلك ، واختلاف النور والحلك (٧) ، وهذا الهواء المشترك ،
وكيف ترى الطير تحسبه ترك ، وهو في شرك (٨) ، استهدف فما نجاحتى هلك (٩) ،
تعالى الله دل الملك على الملك ! . وقف بالأرض سلها من زم (١٠) السحاب وأجراها ،

(١) الحقيقة الواحدة وجود الله سبحانه وتعالى . ولعل المؤلف يشير إلى قول لبيد « ألا
كل شيء ما خلا الله باطل » (٢) المقعد الذي يشكو القماد ، وهو داء يعمد المصاب به عن
المشي (٣) المرقاة السلم (٤) أرسله إلى أقصاه (٥) قص الأثر اقتناه (٦) الخير بالضم الاختبار بالمشاهدة ،
والخير بالفتح الرواية بالسمع (٧) الحلك القلام (٨) تظنه حراً طليئاً وهو أينا حل في متناول قبضة
الصياد (٩) استهدف أصبح غرض السهام . والمراد أنه لا يسكاد ينجو من سهم مصوب إليه
حتى يدركه الموت من سهم آخر (١٠) زم الناقة خطمها .

ورحل (١) الرياح وعراها (٢) . ومن أقعد الجبال وأنهب ذراها (٣) . ومن الذي يحل حباها (٤) . فتخر له في غد جباها ؛ أليس الذي بدأها غبرات (٥) . ثم جمعها صخرات ، ثم فرقها مشمخرات (٦) ؟ . ثم سبل النمل من أدقها خلقتا (٧) . وملاها خلقتا (٨) . وسلكها طرقا (٩) . تبتنى رزقا ؟ وسبل النحل من ألبسها الحبر (١٠) . وقلدها (١١) الأبر . وأطعمها صنو الزهر ، وسخرها طاهية (١٢) للبشر ؛ لقد نبذت الفلؤل (١٣) المسفة (١٤) ، وأخذت في معامى (١٥) الفلسفة . على عشواء من الضلال معسفة (١٦) . أو لا فخرني : الطبيعة من طبعها (١٧) ، والنظم (١٨) المتقادمة من وضعها ، والحياة الصانعة من صنعها ، والحركة الدافعة من الذي دفعها ؟ ! عرفنا كما عرفت المادة ، ولكن هدينا وضللت الجادة (١٩) ، وقلنا : مثلك بالهيولى (٢٠) ، ولكن لم نجد اليد الطولي (٢١) ، ولا أنكرنا الحقيقة الأولى (٢٢) . أتينا العناصر من عنصرها (٢٣) .

(١) رحل البعير شد على ظهره الرحل تمهيداً للسير (٢) عراها جردها مما فيها من أمطار (٣) أقعد الجبال ثبت قواعدها في الأرض . وأنهب ذراها أى رفع عاليها شاذخة في السماء (٤) يحل حباها أى يفسكها من حبوتها وينفضها من ربضتها (٥) غبرات جمع غبرة (بتسكين الباء) وهى ذرة الغبار (٦) فرقها فى الأرض ، وشمخرات أى باذخات (٧) أدقها صيرها دقيقة (٨) خلق النمل تلك النظم المتسقة التى يوحى لها بها الإلهام (٩) سلكها طرقاً جعل لها طرقاً تسلكها (١٠) الحبر (بكسر ففتح) جمع حبرة كعذبة وهى برودة عذبة ملونة . وقد شبه بها المؤلف تلك الألوان الزاهية التى يتخايل بها النحل تحت أشعة الشمس (١١) قلده السيف وضع حالته فى عنقه (١٢) طاهية طائفة تطبخ للناس فى بطونها عسلا (١٣) الفلؤل من الدواب ما كانت سهلة القيادة ، والمراد بها هنا الثريمة السمحة (١٤) المسفة التى تصفأ أبناءها باليقين والإيمان (١٥) المعامى الجاهل (١٦) العشواء العمياء ، وأعسف خبط فى السير (١٧) طبعها خلقها . وهنا يبدأ المؤلف فى تمجيز الملحدين (١٨) النظم المتقادمة والحياة الصانعة والقوة الدافعة وكل ذلك قوى يظن الملحدون كفرأ أنها هى الأصل فى الكائنات (١٩) الجادة الطريق القويم (٢٠) الهيولى مادة ، وشبه الأوائل طينة العالم بها (٢١) اليد اللطولى يد الله التى أبدعت هذه الطينة وتفتت فيها الروح (٢٢) الحقيقة الأولى وجود الله (٢٣) العناصر جمع عنصر وهو أولاً بمعنى المادة

ورددنا الجواهر إلى جواهرها (١) . أطرحنا (٢) فاسترحنا ، وسلمنا فسلمنا ، وآمنا فأمنا ، وما الفرق بيننا وبينك إلا أنك قد عجزت فقلت : سر من الأسرار . وعجزنا نحن فقانا : الله وراء كل ستار !!

القلب

يا طبيب الجماعة : قم ألبس الساعة ، وسل هذه الساعة (٣) ، من أدق اللحم صناعة : ومنح الدم المصاعة : مضغة (٤) إذا فترت (٥) سلبت البراعة ، ولبت العجز والضراعة (٦) ، تدابيرك عندئذ مضاعة ، وعقايرك مزجاة (٧) بضاعة .

الصبر

بعض الصبر تجلد ، وتم الحزم والرضاء ، وبعض تبلد (٨) ، وهنا العجز والاستخذاء (٩) . ليس الصبر غلظة القلب ، وبلادة اللب ، أو الجهل على الأقدار ، وإنكار الإرادة عليها والاصدار ، ولا هو اكتظاظ الأندية (١٠) ، والأفاظ تجري بالتعزية ، ورجل يحدثك بالصبر ، وإذا أصيب بمنى القبر . إنما الصبر استرجاعك (١١) في النفس الحزينة ، حتى تنفي (١٢) إلى الكينة ، ونجى (١٣) من نفسها إلى الطمانينة . إيمان يزع (١٤) ، عند الجزع ، وعقل يزن ، إذا القلب حزن ، ومقابلة الأحكام بالحكمة ، والعلم بأن النعمة ، نذير النعمة ، وبأن الدهر حالتان ، والدنيا حالتان ، وأن من لم ينتفع بالصبر رضى ، وأن لكل شيء غاية وينقضى .

البيضة ، وثانياً بمعنى الأصل ، وأتيناها أى بحثنا فيها (١) الجواهر جمع جبرهر وهو الحجر يستخرج منه شيء ينتفع به ، والجواهر ثانياً بمعنى الأصل والجملة (٢) أطرح الجمل ألقاه عن عاتقه ، والمقصود من هذه الجملة وما بعدها : آمنا بالله وتركنا ما دون هذا من التفكير العقيم الذى لانهاية له والبحث الضال الذى لا يؤمن فيه العثار ... (٣) المراد بالساعة هنا القلب ، شبه بها بجامع الدق المنتظم فى كل (٤) قطعة لحم (٥) فتر سكن بعد حدثه (٦) الضراعة الضعف (٧) البضاعة المزجاة أى الرديئة (٨) التبلد الحيرة والتلف (٩) الاستخذاء الخضوع (١٠) امتلاء الجامع بأخلاط المعزين (١١) قولك « إنا لله وإنا إليه راجعون » (١٢) ترجع (١٣) تلتجئ (١٤) بمنع من الحزن .

شهادة الدراسة

وشهادة الحياة

ما بال النشئ وصل اجتهاده ، حتى حصل على الشهادة . فلما كحل بأحرفها عينيه ، وظفرت بزخرفها كلتا يديه ، هجر العلم وربوعه ، وبعث إلى معاهده بأقطوعة (١) ، طوى الدفاتر ، وترك الحابر ، وذهب بخايل (٢) ورفاخر ، ويدعى علم الأول والآخر !

فمن ينبيه (٣) ، بارك الله فيه ، لأبيه ، وجزى سمي معلمه ومريه : أن الشهادة طرف السبب (٤) ، وفاتحة الطلب ، والجواز (٥) إلى أقطار العلم والادب . وأن العلم لا يملك بالصكوك والرقاع (٦) ، وأن المعرفة عند الثقات غير وتائق الاقطاع (٧) . ومن يقول له أرشده الله : إن شهادة المدرسة غير شهادة الحياة !

فيا ناشئ القوم باقت الشباب . ودفعت على الحياة الباب . فهل تأهبت للمعصية (٨) . وجهزت النفس للموقفة ، ووطنتها (٩) على الضيق بعد السعة ، وعلى شظف العيش بعد الدعة ؟ دعت الحياة نزال (١٠) ، فهل اقتحم المجال ، وتردد (١١) القتال ، أعانك الله على الحياة ، إنها حرب فجاءات ، وغدر ويات (١٢) ، وخداع من الناس ومن الحادثات . فطوبى (١٣) لمن شهدها كامل الأدوات ، موفور المعدات ،

(١) الأقطوعة شيء ، تبعث به الجارية إلى الأخرى علامة المقاطعة والخصام (٢) خايل زميله باراه وفاخره (٣) أي يحبره (٤) السبب هو الجبل ، وطرف السبب يراد به مبدأ الحياة (٥) الجواز علامة المرور وصك للمسافر (٦) الصك الكتاب والجمع صكوك . والرقاع جمع رقعة وهي القطعة المكتوبة من الورق (٧) الاقطاع أن يجعل الأمير غلة البلد للجند . (٨) المعصية صوت الأبطال في الحرب (٩) وطن نفسه على الأمر وله : مهدها لفعله وحملها عليه (١٠) اسم فعل أمر بمعنى أنزل (١١) تورد الماء ورده (١٢) البيات الايقاع بالعدو ليلا (١٣) شجرة في الجنة كما يقال . وهي الجنة عند المنود .

سلاحه ، صلاحه ، وترسه ، درسه ، وطلبه (١) ، أدبه ، وصمصامته (٢) ، استقامته ،
وكنائته (٣) ، أمانته ، وحريته ، دربه (٤) .

الحياة

القبس (٥) ، والنفس ، والروح القدس . ظاهرها هذه الجيفة (٦) ، وباطنها
النفس الشريفة . تبعه الذنب القديم (٧) ، وآثر آدم على الأديم (٨) . فيا طريد
القدر (٩) ، ونبي الحظر (١٠) ، وأبا البشر ، ما أطول ذمائك (١١) ، وأدوم مائك ، وما أكثر
بنائك وأبناءك ، وأقل اهتمامك بهم واعتناك ! ولدت للموت ، وأوجدت الموت .
تقسم القبس ثوسا بلا عدد . وتفرق النفس في شتى الولد . فليت شعري كيف
استقلها صلصالك (١٢) ، وكيف قويت عليها أوصالك (١٣) ؟ آما بأنك الجدد ، فهل
لهذا التدفق حد ، أم ما لا مر الله مرد ؟

الحياة كمبدك بها معصية ، عن الحظيرة مقصية . وخلوة ، حلوة ، عواقبها
نقص (١٤) ، ومشاربها غصص . أفنى خداعة ، ولذة لذاعة . شوك بغض الورد ،
وقذى نمص الورد (١٥) . أمور شتى الأجنة ، وحوادث وقع وأجنة (١٦) . فقل لمن
أطال التكبير ، وبالغ في التكبر (١٧) ، وكذب باله ، ومد بالاله (١٨) ، واحترق احترق الذبالة !
خل اهتمامك ناحية وخذ الحياة كما هي :

سوفي

(١) اليلب الدروع البانية (٢) الصمصام والصمصامة السيف الذي لا ينثني (٣) الكنانة جعبة
السهام (٤) الدربة الاختبار والتجربة (٥) شعلة تؤخذ من معظم النار (٦) المراد بالجيفة
الجمم الذي لا يلبث أن يموت حتى يحيف (٧) ذنب آدم يوم أكل في الجنة من الشجرة التي
نهى عن أكل ثمرها (٨) الأديم وجه الأرض (٩) الخطاب لأدم (١٠) النفس ما جفأت به القدر
عند الغليان ، والحظر جمع حظرة ، والمراد بها هنا الجنة (١١) الدماء بقية النفس (١٢) استقل
الشيء حمله ، والصلصال الطين ألحمر خلط بالرمال (١٣) الأوصال الأعضاء (١٤) نقص الرجل نقصاً
لم يتم مراده فهو قلبي حزين (١٥) الورد الاشراف على الماء للاستقاء (١٦) الوقع جمع واقع
وهو الحاصل ، والأجنة جمع جنين وهو المستور من كل شيء (١٧) التكبر الانكار (١٨)
لببال الهم ووسواس الصدور .

الحكمة الصينية

بقلم الدكتور على العناني

لعل حضرات القراء ، يذكرون أننا كتبنا مقالا في الجزء التاسع من السنة الاولى ، تناولنا فيه البحث عن الفلسفة الصينية ، وكنا كتبنا عنها منذ خمس سنين أيضا ، وقد قدما في الجزء التاسع ، نخلو الجامعة المصرية من دراسة هذا الغريب من الفلسفة ونحوه كاللغة الهندية وغيرها .
وأهنا بأمانة الجامعة المصرية وكبار العلماء ، الى دراسة هذه البحوث العريقة ، بما الاستاذ الدكتور على العناني ، الفيلسوف المحقق عتقانا هذه الرشقة فنفضل بهذا البحث الممتع الذي جاء مركزا ومؤيدا لما كتبناه من قبل .
والدكتور العناني غني عن التعريف ، عالم دهر واسع الاطلاع ، وفيلسوف عميق دقيق للاختصاص كما نأ خلقا للفلسفة ، أو خلقت هي له . وهو بعيد الصبغ في الاوساط الاجتماعية ، رفيع المسكاة في جميع الهيئات العلمية .
وما نحن اولاء نقدم بحته للقراء « المرفقة » مقربين :
الحرر

١- الأساطير الصينية

ابتدأ الصينيون حياتهم العقلية في حدود الطبيعة والنظر إلى أسرار الكون العام ، فوصلوا بذلك إلى تكوين معتقدات دينية أسطورية ووثنية قديمة ، تحولت فيما بعد إلى حكمة ، وإلى تعاليم اجتماعية ، صارت لهم ديناً جديداً امتزج بعد ردهج من الزمن بالديانة البوذية ، واستمر هذا المزيج عند الصينيين حتى الآن .

اوتكزت الديانة الصينية الأولى على عقيدة التوحيد ، ثم تطورت إلى التعدد : وتقديس أرواح الآباء السابقين ؛ وإذا نحن أجملنا القول في ذلك ، فأننا نرى الديانة الأسطورية الأولى عند الصينيين ، تقديس قوة سامية عرفت باسم (شانغ-تي) ومعناه العلي العظيم : (أو-تي-آن) ومدلوله السماء ، وليس المراد بهذه الكلمة القبة السماوية ، بل المراد بها القوة الإلهية ، كما ترى ذلك الأطلاق لهذه الكلمة في أكثر اللغات الأوربية الآن .

ويوصف هذا الآله بأنه مالك الملك كله : يسمع وييصر كل شيء ، وينيب على الخير ، ويعاقب على الشر بما كسبت يد الإنسان .

بحوار هذا الآله مالت الوثنية الصينية إلى الأذعان بوجود قوى روحية في الظواهر الطبيعية، والامان بوجود أرواح مجردة كانت أرواح الآباء السابقين، وكثيرا ما كان تقديس هذه الأرواح، وعبادة تلك القوى أكثر مما كان للآله الأكبر، واحترامها أعظم من احترامه، ولقد تزايد ذلك حتى طغى على مكانته بجعله رمزا للنماء والسعادة الطبيعية لحسب ، بلا عبادة خاصة به وبلا تقديس .

وأثر هذه المقائد الأسطورية في النظام الاجتماعي عند الصينيين يرجع إلى العناية الكبرى بالفضيلة الأولى عندهم : وهي تقديس القوانين السماوية (الإلهية) بأدائه أنواع المبادات على اختلاف مقوسها المناسبة ، مع كل إله : والقيام بالواجبات نحو الحاكم والأقارب ، وأساس هذه الواجبات هي المبادئ الاجتماعية الخمسة وهي : علاقات الآباء بالأبناء ، وعلاقة الرجل بالمرأة ، وعلاقة الأخوة الكبار بالصغار ، وعلاقة الأصدقاء ، والخضوع للقوة الحاكمة .

وترى هذه الديانة الأسطورية : أن النفس الإنسانية خالدة ، غير أنها لا تعرض إلى ذكر شيء منها بعد الموت من ثواب وعقاب ، كسباج للفضيلة ، وقوانين الاجتماع .
على هذه المعتقدات الأسطورية القديمة : عند قدماء الصينيين ، ارتكز الرجلان العظيمان في تاريخ الحياة العقلية الصينية وهما : « لاؤتسه » و « كوتوشويوس » اللذان نالا في تاريخ الحكمة الصينية شهرة أفلاطون وأرسطو في فلسفة اليونان .

٢ - لاؤتسه :

ولد لاؤتسه في سنة ٦٠٤ قبل الميلاد ، وروى (سيمازين) المؤرخ الصيني : أن لاؤتسه هذا : كان موظفا في قلم سجلات (نشي) ، ثم ترك وظيفته - مختارا - ليتمكن من العزلة والاقطاع عن الناس ، وقد دفعه إلى ذلك ميله إلى الاستمرار في التفكير العميق المتواصل ، في فهم الوجود العام ، وتركيز حياة الأمة الصينية تركيزا اجتماعيا فاضلا ، على أساس مما يدركه من استمرار الكون العام ، والمبدأ الأول فيه : ولقد برز لاؤتسه في ذلك ، ووصل إلى غاية بعيدة من النظر الفلسفي : فهو الفيلسوف الصيني الكبير .

عرف لاؤتسه بالنظر الدقيق في الطبيعة وما وراءها : وفي الاجتماع الإنساني ، على عكس ما كان عليه كوتوشويوس الذي جاء بعده ، فإنه كان في آرائه الاجتماعية عمليا ، لا يميل في العموم إلى تدعيم آرائه بالنظر الفلسفي العميق .

يوجد ضمن مؤلفات لاؤتسه التي حفظت من الضياع كتيب صغير عنوانه « تاؤو-تي-كنج » ومعناه : كتاب تاؤو والفضيلة : في هذا الكتيب أرجع لاؤتسه كل شيء في الوجود العام إلى تاؤو - على ما سيحيى - ، ومعنى هذه الكلمة اللغوي مشترك في هذه المدلولات الآتية وهي : الطريق ، العنصر ، العقل ، المبدأ ، وقد استعملها هذا الفيلسوف بمعنى « مبدأ » أي مبدأ الوجود وغرضه النهائي ، فتاؤو اسم للقوة العليا الجردة في ذاتها عن التسمية ، وليس اسما للالة الشخصى المعروف في عقيدة الأمة .
ما وراء الطبيعة :

قال لاؤتسه : أنا لا أعرف من أي أب تناسل تاؤو ، ويظهر أنه موجود قبل (تي - آن) أعني إله العقيدة الأسطورية الصينية .

تاؤو هو الأول، وعنه نشأ كل شيء، فهو أصل وجود الأرض، ونشأ السماء: هو الأول ولا أول ولا آخر له: وليس بمادة، أبدى لا تغير فيه، وهو في كل الوجود بدون أي تأثير يقع عليه. تاؤو، هو قوة لا تعرف لها اسما، فهو مجرد عن الأسماء، ولكننا نعرفه باسم تاؤو، وكما أنه لا اسم له بذاته، فهو كذلك ليست له صورة، ولا يعرف بشكل، لأنه أجل وأسمى من أن يعين، أو أن يناوله وصف، أو يصل إلى حقيقة تشرح: ومع ذلك فلنا أن تقول بأن تاؤو هو الساكن الأبدى، المركب لكل شيء، هو أصل كل كائن، وجميع الموجودات كانت فيه واحدة، لا تفرق فيها، فهو عنصرها، وروحها، فهو الوجود. وهذا هو مذهب وحدة الوجود الذي ظهر قبل هذا العهد عند براهمه الهند.

نشأة الكون العام:

كان تاؤو مجردا عن الحركة، ولا شيء سواه يوجد، بل كان منفردا من الأزل، وقد صدرت عنه قوة، هي تاؤو المحرك والمكون للوجود؛ وقد نشأ عن تاؤو الأول بفعل تاؤو الثاني: السماء والأرض، وكل ما فيها من الكائنات؛ فوجد الكون العام بأكمله هو تاؤو الثاني، فهو ناموس الطبيعة، والمحدث لكل تغير فيها، ونشأة الوجود العام على هذا النحو ليس معناها الحدوث والخلق من عدم، بل الوجود بأكمله قديم في تاؤو الساكن، وقد نشأ وظهر بفعل تاؤو المحرك. وأخذ صورته المختلفة بتأثير هذا الناموس فيه.

الأنساب:

يرى تاؤو أن الإنسان كجميع الموجودات على اختلافها يتكون من عناصر ثلاثة: واحد منها مذكر، والثاني مؤنث، والثالث النفس التي تجمع بين العنصرين الأولين. وفي الإنسان بعد ذلك قوة الحياة أو الروح الخالدة التي بعد مغادرتها الجسد، يصح اتصالها بأفراد الناس ظاهرة لهم، وهي تنفع ولا تضر.

الفضيلة:

كما أن تاؤو أصل كل شيء فهو أصل الفضيلة أيضا، وهو الصورة العاضدة التي ينحو الإنسان نحوها في كل عمله، فيجب على الإنسان أن يتجرد عن الانانية، ويعمل للتغير بدون من وبدون سيادة، كما يمنح تاؤو الخير دون أن ينظر إلى أنه صاحب الخير ومائمه، دون أن يدعى بأنه السيد الأكبر لذلك، وغرض الإنسان الأسمى في الحياة إنما هو أن يتحدمع تاؤو. بأن يتجرد عن كل الشهوات. لا يرغب في مال، ولا في شرف أو جاه، والبلاء الكبير في طلب الجاه والتعرف. هذا ويستحدث للقارئ في المقال الآتي عن الفيلسوف الثاني وهو: (كوفوشيو) وعن تعاليمه، وموعظنا بذلك العدد الآتي.

على العناني

كلام

في القراءة والقراءات

للدكتور أحمد فريد رفاعي

مدير المطبوعات الاسبق

... وهكذا أبى صديقنا الدكتور أحمد فريد رفاعي ، الذي ذهبنا إليه لحدثه في موضوع من موضوعاته المتعة ، إلا أن بض غلبنا بموضوع معين ، ولكننا أيننا إلا أن نستخلص منه آراء ظا فيها ونناستها ... وأزقل عنها الدكتور في آخر حديث المتع أنها «كلام» ... ! ولها لكلام حقاً ، ولكن له معناه وله برهان ، المبرر

قال الدكتور :

صدقني يا صديقي أني في حيرة ما بعدها حيرة ، وفي ارتباك ما بعده ارتباك ، فلست أدري فيم أحدثك اليوم ؛ فإن حالة مصر - انني تعلمها كما يعلمها سواك ، والتي يفيض لها عرقك ، ويدق لها نافوس قلبك ، كما يقول زملاؤكم الشعراء - تقطع منا جميعاً ، في مغداتنا ومراحتنا ، جماع تكبيرنا ... فهل أحدثك عنها ؟ ... طبعاً : لا ! وأنت آسف حزين ، لأن مجلتك ، وإن كانت سياسية ، إلا أنك قد وقتتها على العلم ، وخدمة البحوث العلمية ، وفيها متسع وأي متسع ، في ميدانها المراح الطلق ، لكل تجوال ولكل ميدان .

ولكنك ؛ وأنت الدقيق الملاحظة ، الناقد البصيرة ، لا تشك في أنا - معشر المشتغلين بالتاريخ والأدب ، وما إلى التاريخ والأدب - لا نستطيع أن نكون مكتوفي الأيدي إزاء البلد وحقوق البلد ... ولكنك ستقول لي مقالة (مازيني) - أحد الأقطاب الثلاثة في تحرير إيطاليا - في موقف كوقفنا ، وقد حزبهم الأمر ، واستحكمت الحلقات ، واشتدت بهم حلقة الجو السياسي اكفهراراً ... وصاح به الجميع : « لقد أهمل ولاه أمورنا ما عليهم من تبعات قدسية للومان المفدى » ؛ فتهف بهم (مازيني) بلهجته الحارة الأنفاس ، الملتببة الجماس : « مواطني ! مالي أملى عليكم بواجباتكم ، ولا أملى عليكم بحقوقكم ... أفن رعاية لاحقوق ؟ ألا فلتعيشوا اليوم في كنف القيام بالواجب ... !

أفهم أنك ستقول : ليقم كل منا بواجبه ، ليقم الزارع بالسهر على إنماء تربته ، وليقم الصانع بالاتقان في صناعته ، وليقم التاجر بترعية ماله ، وليقم المهندس باتقان فنه ، وليقم الطبيب بالاخلاص في معالجته ، وليقم المدرس بالدفاع عن قضيته ... وليقم الكاتب بارشاد أمته ، وليقم الخطيب بانماعها بيلافته ، وليقم الزعيم بأحيائها بقيادته ... ولست أزعم أنك أخطأت المرمى ، ولكنني أزعم أنك لم تصب سدره الصواب ولباب الحق ...

فقاطعنا صديقنا الدكتور ... وقلنا: ولكنك مع هذا كله - وأنت في وسط آلاف مجلداتك، وكلها نعم الحدث والسير - لا تبخل علينا بالتحدث عن رأيك في القراءة، وبماذا تنصح فيها، وعن خير المؤلفات والمؤلفين؛ ولعل هذا موضوع طريف قد تراح إليه، ولا سيما وقد رصيت لنفسك في هذه الأيام، أن تعزل هؤلاء المحدثين الأمناء عن الاخوان والأصدقاء ... فقال هازئاً:

وهل من الميسور يا صاحبي أن تجد جو الهدوء الفلسفي الكامل، والنصفة العلمية الهادئة في الكتب وعند أصحاب الكتب؛ وأنت بالكتب وأصحابها تجد خير؟ وهل تظن أن الألفة الحقة البريئة ضاربة بجمراتها بين جهاذة الأفلام، وشيوخ اليوم، وقادة الأفكار - قديماً وحديثاً - أيضاً؟ ألا يجوز أن تقول، وأنت غير مغرق ولا مبالغ: إنهم في حرب ضروس هم الآخرون؛ فهذا يعيب ذلك وينعني عليه جوده وجده، والآخر يهاجم زميله وينكر عليه بيانه وفضله، حتى إنك لتتوهم أن العلم وقف واحتكار ... صدقتي يا صديقي! لقد صعب على كثيراً - وأنا آخذ بوضع كتابي «عصر المأمون» - أن استخلص الحق العراجل عن الوزن الصحيح في كل ناحية من نواحيه؛ فلمؤرخ الشيعة منهجه، وللأموي رأي، وللعمري قصـ ويره، وللعباسي نظره، وهكذا دواليك ... لكل وجهة هو موليها ... فالتطاحن بين المؤلفين والساكنين، وبين الشعراء والخطباء، هو هو بعينه كالتطاحن بين الأحزاب السياسية، وصحافتها، ووزرائها - ولا يقنع بخذلك يا صاحبي أن العرب وحدهم قد وقعوا في ذلك الشرار: شرار الجلال والطعان، والسخيمة والاضطغان، بل شرار اللدد والخصومة، شرار الحرب والكفاح، فاني قد لاقيت نفس الصعوبة وأنا آخذ بكتابة «الشخصيات البارزة»، بل لماذا أذهب بك بعيداً، فاني بالأمر فقط كنت أقرأ في (أميل لودويج) عن (جيتة) نازية الألمان، لمناسبة العيد المئتين لوفاته، وأنا من أنصار (جيتة)، ومن المنتفعين بأدبه الذي لا يبارى، وأنا من المعجبين بعقله الفذ الجبار، ومع إكباري لمساعدته الأدباء جميعاً، فقد ألفت أحياناً في مصانعة كاذبة الود، شديدة النفاس مع (شيرل) مثلاً، وهو زميل في العقيدة والنوع، وشريك في القيادة العقلية، وصنود في الثروة الأدبية، وتربى في الرعامة الاتحاجية في الأدب الألماني ...!

وكم يذكرني ذلك كله بالحديث للمتع الذي حدثنا به عمر بن يوسف، وقد حضر مجلس أبي عباد ثابت بن يحيى يوماً في منزله وعنده جماعة من الكتاب، فذكر ما عليه من ملامم الأخلاق، ومدانس الأفعال، فوصف تقاطعهم عند الاحتياج، وعدم تعاطفهم عند الاختلال، وزحدهم في اللواصة فقال: «معانثر الكتاب! لا أعلم أهل صناعة أملاً لقلوب العامة منكم، ولا انعم على قوم ظهر منها خليك، ثم إنكم في غاية التقاطع عند الاحتياج، وفي ذروة الردء في التعاطف عند الاختلال؛ وإنه ليلغى أن رجلاً من القصاين يكون في سوقه؛ فيتلف

ما في يديه ، فيخلى له القصابون سوقهم يوماً ، ويجعلون له أرباحهم فيكون برحها منفرداً ، وباليسع منفرداً ، فيسدون بذلك خلته ، ويجبرون منه كسره ... وإنكم لتتناكروا عند الاجتماع والتعارف ، تناكر الضباب والملاحف ، مع استجواذكم على صناعتكم ، وقلة ملازمة أهل الصناعات لها معكم ، ولم أر صناعة من الصنائع إلا وقد يجمع أهلها غيرها إليها فيملأونونها جميعاً ، ويتزولون لضروب التجارات معاً ، إلا صناعتكم هذه ، فإن التعامل لها منكم ، وللتسعى بها من نظرائكم ، لا يليق به ملازمة سواها ، ولا بداعغ له الانشغال بغيرها ، ثم كأنكم أولاد علات وضرائر أمهات ، في عداوة بعضهم بعضاً ، وحنق بعضهم على بعض ، أف لكم ولا خلاقكم ؟

« إن لكتاب طبائع لثيمة ، ولولا ذلك لم يكن سائر أهل التجارات والمكاسب بنظرائهم بررة ، ومن ورائهم لهم حفظة ، وأنتم لأشكالكم مذلولون ، ولأهل صناعتكم قائلون : قبح الله الذي يقول : قضينا في الأمن بالأغلب ، وعرفنا علل الناس في مكاسبهم وتعاملهم ، فن كانت علة أكرم ، كان كرم فعاله أعم ، ولست أعلم علة في مكتسب أنبل عند الخاصة من مكسبكم ... اهـ » .

ليس معنى هذا يا صديقي أنني لا أشدو بمنتهجات العقليات الخصبة في الثقافة الانسانية العامة ، ولست بمنكر أثرها في الحضارات والدينيات ، ولكني سائلك فقط : ما قولك دام فضلك في زراية الكتاب بعضهم بعضاً ، وما قولك في هذا التصوير العادق ، وأي كاتب أفضل لك ، وأي مؤلف أختار ؟ وما قولك في أخلاق العصر إذا كان هذا إجماع من تقدم فما تقدم كما تقدم ؟

فقلنا للدكتور : الحق أنه تعجبنا منك تلك الروح اللاذعة أحياناً ، مع إعجابنا بهذا الصحر الحلال ، ولا تزال تنتظر رأيك في القراءة والقراءات ، ووجهة نظرك فما يفيد وينفع ؟ فقال :

إن أردت الثقافة العامة فنحن - بحمد الله - فقراء فيها ، ولا بحمد على المكروه سواه ؛ وإن أردت القراءة من حيث هي ، فلعلها تابعة لأصناف الكتب وأوضاعها ؛ والكتب - كما تعلم - ثلاثة أنواع : للدرس ، والفلسفة ، واللزينة ؛ ولا تقل إن تسمى الآن هائجة ، أو متردة غاضبة ، أو أنها متبرمة ساخطة ، فذلك أصور لك بالنظر الأسود ، ولا تقل إنى أنهم أو أنها نف أ كلا يا سيدى ... وإنما هكذا يسميها النقاد من جهابذة الغرب ، وهكذا يسميها الدكتور (ليمان أبوت) في سلسلة القراءة البديعة التي أصدرتها دار (نلسون وبلوداي بنيويورك) .

ولعلك سائل عن ماهية تلك السلسلة ، فأقول لك في إيجاز واختصار : إنها الصورة للصفرة الكاملة لنوع الثقافة العامة التي يعنى بها الغربيون عامة والأمريكيون خاصة في سواهم ، ولك أن تعتبرها في النوع الثاني من القراءات الخاصة بالتسلية ؛ ولكنك إذا أحيت أن تكون منصفاً في مقاييسك العلمية ، ومقتصداً في تعابرك اللغوية ، فأنك - لا محالة - معتبر ذلك النوع

الثاني من قراءات التسلية ، بالنسبة للغرب وعلم الغرب ، في مرتبة النوع الأول من القراءات بالنسبة لمصر وعلم مصر ، وإذا قلت مصر ، قلت الشرق ، لأن مصر في طليعة الشرق .
ما علينا من التحدث في النسبة والتناسب ، وما علينا من اختلاف للقايس والمعايير والوزن لمعدات الأمم ، وقابلية معدات الأمم ، وضرورة التمشي مع نظام التدرج الطبيعي في العلوم والمعارف وفي التغذية والنماء ؛ ولنتحدث هنيهة عن تلك السلسلة للطبوعة بشكل كتب جيبة ، والتي كانت تبنى . قبل حادث الجامعة الأخير . أن أستعين بالجهد النقادة المتقف صديق الحياة (الدكتور طه حسين) ، في إخراج نوع من القراءات السهلة التناول لمشرة من قادة الأدب القديم من كتاب وشعره : كالجاحظ ، وابن المقفع ، وعبد الحميد الكاتب ، وجبر ، والفرزدق ، والأخطل ، وابن أبي ربيعة ، وأبي نواس ، وهلم جرأ ؛ وكانت النية متوجهة أن نعتبر هذه العشرة كتب كنواة للثقافة العامة ، ونطعمها بشكل جيبي للتسلية إن شئت ، وللدروس إن شئت ؛ ولكن ما ذا أقول في مشجعات مصر ، وجو مصر ، وتأيد المسؤولين عن الحركة العلمية في مصر ... ؟

وخير لنا أن نرجع بحديثنا إلى تلك السلسلة الأمريكية فأقول لك : إنها بمثابة مختارات يومية منتظمة القدر لقراءات متنوعة ، وضرورية للثقافة العامة بالنسبة للأدب الغريبة ؛ ولتذكر لك قراءة أسبوع واحد ... وإيكن الأسبوع الأول من شهر يناير مثلاً :
ففي اليوم الأول منه هذه المختارات : قواعد للسلوك لقرا نكسن ، وقطعة من «لنجفلو» ، وأخرى لبريانت ، ورابعة من «لأول» .

وفي اليوم الثاني : باب الاعتماد على النفس لأرنولد ، وثانية لآدمس ، وثالثة لتوماس .
وفي اليوم الثالث : قطعة لتوماس سالتين ، وثانية له أيضاً ، وثالثة للروائي الانجليزي النابه « تاركى » .

وفي اليوم الرابع : لتاركى .

وفي اليوم الخامس : لرسكن ، وسنت مارك .

وفي اليوم السادس : شاكسبير ، ومسنجر ، وامرسن ، وتاركى .

وفي اليوم السابع : لادسن ، وسبنسر ... الخ

ولعلك تلاحظ أنه بينما يختار لقراءة اليوم الرابع كتاباً فقط ، إذ به يختار أربعة في اليوم السادس ، وهذا يفسر لك أن القدر ومئاته ، واتصال معناه ومبناه ، وروحه وفكره ، الحكم الأول ، وذلك تحاشياً للاقتضاب الخلل بالمعنى ، أو الاكتثار الملل بنفسية القارى .

فهل لك يا سيدى أن تروج لهذا النوع من القراءة ؟! وليس معنى هذا أتى عدو للروايات أو غيرها ، أو خصم لقصة : هنتر ، وأبى زيد الهلالي ، أو سيدنا يوسف ، أو قصص جحا ؛

ونوادر أبي نواس... الخ، كلا! ولكنني من دعاة القراءة التي ترفع مستوى الشعب، وذوقه، وتفكيره، ونظره إلى الحياة، وتكالييفها، ومسئولياتها، ومهمة المرء فيها؛ وأظنني لا أعدو الحق الذي يعلمه للطلّعون على تاريخ تلك القصص إذا قلت: إنها ألقت لتلبية الشعب وقتئذ بما يشغله، دون النفاذ في الأمور الجسام في الدولة... وإنه لثراث لا يفخر به كثيراً، فيما أعتقد؛ وأظنني لا أعدو الحق أيضاً، إذا ما زعمت أنها ليست من نوع (الميتولوجيات) والأساطير، ولا من نوع الروايات المتقنة، العالية الأدب، والأسلوب، والمعنى، والغاية التي وضعها: شكسبير، أو دانتى، أو ملتون، أو تاكزى، أو فيكتور هيجو، أو جيته، أو شرل، أو دكنس، أو غيرهم من شيوخ الأدب الغربي قديماً وحديثاً.

سأقول لى: عندنا (عجائى الأدب)، فأقول لك لا بأس به، ولا بأس بمختارات القوم في (المثالث والثاني)، ولا بأس بمجهودهم القيم في الدواوين التي أخرجوها، وكتب المطالعة التي وضعوها؛ ولكن القوم يعملون جيداً أنها خطوة في البداية، بل أنهم في الخطوة الأولى من البداية، وأن البداية لم توضع بعد.

على أتى أود أن أسألك أنا الآخر، وأود منك الصراحة والجراة، وقد عهدناهما فيك. فقلنا: تفضل يا دكتور، على أن لا نجيب نحن، لأننا نريد الوقوف على رأيك في هذا الموضوع الجليل الشأن، والذي له أهميته وخطورته، فقال:

لاخطورة ولا أهمية لشيء الآن، فكل شيء تافه في الميدان المصرى...! سؤالى يامولانا هو: ماذا قرأت من الكتب المدرسية العربية أثناء دراستك الثانوية مثلاً، ودعنا من الدراسة الأولية والابتدائية...؟ ولست بمأثلك عن الجامعة وقرأتلك في الجامعة ولا عن قرأءاتك الخاصة. قلنا: قرأنا كتاب (كلىة ودمنة) و(أدب الدنيا والدين)، هذا إلى كتاب (أدبيات اللغة العربية). قال: ولست بمأثلك إن كنت قد رسبت عاماً أو لم ترسب، لأنك كما أعرف. من المعاصرين بكل ما فى الكلمة من معنى، ومن النبهاء الأذكاء، وإن كان النبهاء الأذكاء هم الذين يرسبون في العادة في مدارس مصر، ونظام تعليم مصر...! ثم ما ذا قرأت من الكتب الأجنبية؟ قلنا: كثيراً، وفي كل سنة كتابين أو ثلاثة، عدا الروايات؛ وهذه الكتب تختلف سنة بعد سنة؛ يعنى مر في أيدينا فوق الثلاثين كتاباً لثلاثين مؤلفاً من خيرة المؤلفين.

فقال: أى أنك في دراستك هذه قد علمت شيئاً كثيراً عن: شكسبير، وناكرى، ودكنس، وهاجر، وجييون، وماكولى، واديسون، وباكون، وبزول، والعشرات غيرهم الذين هم في هذه المرتبة العالية... وبعبارة أدق: إنك قد كوفت لنفسك عن الأدب الإنجليزي مثلاً صورة، إن لم تكن صحيحة تماماً، فإنها قريبة من الصحة والكمال.

حسن جداً يا صديقى، لقد قلت الحق تماماً، وكنت نعم الامن في الرواية عن تاريخك

الدرامى القديم ، ولكن تعال يا صديقى ، قارن بين ما قرأت فى لغتك الأصلية ، لغة الآباء والأجداد ، وبين ما قرأت فى لغة من اللغات الأجنبية ، ثم حدثنى بالموازنة وأثرها من نفسك ، وبالقارنة وتيجتها من عقلك ... !

وهناك وجهة أخرى خاصة بطريقة القوم فى نشر الكتب ، وأنواع دور الكتب ، والكتبات المتنقلة ، ومئات دور النشر ، والاذاعة ، والتوزيع ، وعدد القراء ، وحظ العلماء ، وعدم عوز الأدباء ؛ وهذه موضوعات يتطلب كل منها بحثاً وتحليلاً ؛ ثم إن عندك مناهج التعليم هنا وهناك ، والمباراة التأليفية هنا وهناك ، وعدم استقرار السياسة التعليمية من استقرارها هنا وهناك ، وصلة المدارس بالحكومة وعدم صلتها ، والتدخل الحكومى فى التعليم من عدمه ، ومبلغ تقدم فنون التربية والبيداجوجيا والبيكولوجيا ، والأخلاق أو عدمه هنا وهناك ، بل أملك تذكر أن هناك جماعة متصلة بجمعية الأمم ، مهمتها : إذاعة أسماء أشهر المؤلفات العالمية ذات الخطر والقيمة ، والنفع والافادة ، التى تصدر كل سنة ، فكأنها بمثابة لجنة اختبار أو جماعة دماية أدبية علمية عالمية ، ثم هناك للتنديدات العلمية للبحوث الفلسفية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتاريخية والجغرافية ، ولها نشراتها وكتبتها ومحاضراتها ، ومؤلفات جها بذتها ؛ ولا تنس المسبرات التى تناها تلك المعاهد من أصحاب الأموال ، ولا تنس أنك تستطيع أن تشتري ، بلا شيء ولا ثمن ، مجلداً جميل الشكل ، أخاذ المنظر والورق ، للكتاب المقدس أو لبعض الكتب الدينية والأخلاقية وغيرها ، بفضل إمدادات الجمعيات لأصحاب تلك المشاريع .

وما لنا نذهب بعيداً ، وها هو ذا مشروعك القيم الذى تمخض عن « المعرفة » التى ساهمت بأكبر نصيب فى الثقافة ، وشهد بتفوقها : العلماء ، والأدباء ، غفرنى عن نصيب أشراف وزارة المعارف فيها ... ! وقد اشتركت جبهة من المعاهد والجامعات الشرقية والغربية ، وأولها الجامعة المصرية فيها ؟

لم تشترك وزارة المعارف فى ذلك ، وإن كان أكثر الكتاب فيها من مفتشى الوزارة ، وكبار أساتذتها ، ومدرسيها ، أليس ذلك كافياً للدلالة على عدم التشجيع فى مصر ؟ ومع ذلك كله ؛ فنحن لا نطمح فى كل هذا ؛ وإنما أطمعنا فى غاية التواضع ...

فقاطعنا الدكتور وقتلنا له : دل للوزارة نذراً وأنت نلوم ، وإلحاذ الوقتضات بالانقضاء بتلك الأطماع ، فى الددد القادام ، وليكن موضوعنا : ماذا تفعل لو كنت وزيراً للمعارف ؟ فقال صديقنا الدكتور : هذا كلام يا صديقى ، كذلك حديثى معك الآن عن القراءة والقراءات ، فهو فى نظرى ونظر إخواننا المشتغلين بالعلوم والآداب كلام فى كلام ، ولعلنا فى غير الكلام ، والسلام ...

نبذة الشعر

بقلم الاستاذ السباعي السباعي يومي
المدرس بدار العلوم

ليس للشعر باعتباره تلك المعاني المؤثرة التي تتصل بالشعور وتبر عن خلجات النفوس، وتنساق لهدي الغرائز والميول أولية تعرف؛ فانه بهذا المعنى يكاد يكون مخلوقاً مع الانسان منذ هبط إلى هذا الوجود، مجموعة غرائز نظرية يخضع لها في كل أعماله خضوعاً لا يمد منه عقل، ولا يتقف في سبيله فكر، لأن العقل والتفكير لم يوجد إلا بعد حقبة طال أمدها، اكتسب الانسان خلالها من التجارب ما أوجد له عقلاً يجوار الغريزة، فصارت إرادته مرتكزة عليه بعد أن كانت مسخرة دون تمكيد للغرائز الخافزة والميول الدافعة، ولكن ليس بما يسيغه عقل ولا تسمح به سنة أن تكون تلك المعاني قد ظهرت أول ما ظهرت فيما نسميه الآن شعراً بالمعنى الاصطلاحي، أي في قوالب محدودة من الأوزان والقوافي، فان هذه القوالب في كل اللغات أثر من آثار حضارتها، والحضارة لا يمكن أن تكون إلا بعد قرون طويلة تقطعها اللغة منذ نشأتها إلى حيث تظهر بها أمثال هذه الآثار.

فالمعاني الشعرية التي وجدت حيث وجدت مطلقة الأسلوب من كل قيد، وأخذت أساليبها في التدرج إلى أن بلغت الغاية التي ترى من قيود، ثم جهلت هذه الخطوات الأولى كما جهلت سائر أوائل الأشياء، على أن العقل يكاد يجزم في لغتنا العربية أن أول خطوة خطاها شعراً في أساليبه كانت بمثابة في الأسجاع، وبعدها كان تساوي الفواصل بها، ثم خضوع هذا التساوي شيئاً فشيئاً لأقيسة التفاضيل، وبذلك تحقّق الوزن في البيت الواحد مع اتحاد الحرف الأخير في الشطرين كما نراه في منظومات العلوم والفنون وهذا أهون أنواع الشعر؛ وتلا هذه الحالة التقيد بحرف القافية في الأعجاز مع التحلل منه في الصدور، وفي خلال ذلك وعلى توالي القرون تنوعت الأوزان وطالت القوافي، وبلغ الاقتدار على التقيد مداه حتى وصل إلى الأراجيز، وهي أصعب أنواع الشعر، فصار لابد للشعر العربي في معناه من التأثير المعتمد على الشعور، وفي لفظه من التقيد بالوزن والقافية بحيث إذا خلا من هذين مما أو من أحدهما سمي ثراً مخسب، وسمي ثراً شعرياً، وسمي نظاماً لا شعراً. فالشعر على إطلاقه هو ما عينا من الكلام ذي التأثير الشعوري الجارى في حدود الوزن والقافية، وعلى هذا قصد ذكرنا ما ذكرنا في مقال سابق (١): أن النثر أسبق منه إلى الوجود.

(١) راجع الجزء الحادي عشر من السنة الأولى لجهة « المرة »

ولما كان المعنى الشعرى فطرياً تهدي إليه الطبيعة البشرية، ولا بد للانسان منه في التسرى عن نفسه وقت الشدة، والتسلى به حين الوحدة، ظهر الشعر على ألسنة الأمم جميعاً ولم يختص به أمة دون أخرى، ولكنها لم تكن فيه سواء، فكانت أكثرهن فيه قولاً أصاحباً له بيئة وأدقها له لغة، ومن ثم كانت العرب في جاهليتها من أقدر الشعوب عليه إن لم تكن أقدرها جميعاً، فقد قاله بنوها رجالاً ونساءً، شبانا وشيباً، سادة وسواداً، ولم يعدم أقليم فيه شائناً الأبيات يقدمها في حاجته أو يعبر بها عن معنى في نفسه وإن لم يك من الملقين بالشعراء، مسوقاً إلى ذلك بطبيعة العيش البدوى التي تهدي إلى الشعر وتدعو إلى الغناء به : فن حياة بسيطة ساذجة لا شيء فيها يطنى على الفطرة أو يعيت الوجدان، بل كل ما فيها ينميها ويزيد في قوتها سماء صافية الرقعة متألفة الكواكب، وأرض منبسطة الأديم لامعة الرمال متجلية للمقيم فيها بكل ما عليها من حيوان ونبات إلى رحلة طويلة دائمة لا يفارق العربي فيها راحته فلا يزال يسوقها وهي تقطع المفاوز والقفار بتلك الحركة للرقصة كأرجوحة الطفل لا تكاد اليد تهزها حتى ينطلق اللسان فيغنيها، وكذلك العربي لم يملك لسانه أن انطلق لراحته فلم يزل يعدوها بألحان الشعر ويرفع من ورائها عقيرته بأهازيج، ولقد دلوا: إن أول ما نشأ من الأوزان الرجز، وما الرجز إلا قياس رسمه في مخيلة العرب سير الأبل في الصحراء، ففاض الشعر على ألسنتهم أول ما فاض بألفاظ هي وتفاعيل الرجز في الوقع سواء .

تهيأت للعرب إذن دواعي الشعر بما تهيأ لهم من سلامة فطرة وملاءمة بيئة، ثم كنف عيشهم ما كنفه من ضنك ومشقة، وكفرو وعزلة، فهرعوا إليه يتخذونه لدى الشدائد عوناً، وفي الوحدة أنيساً، حتى صار لحنهم وهجراهم شأن ذوي الأعمال للتعب والخلوة للوحشة لا غنى لهم في التفرج عن النفس وتسلية عن الغناء به ولا عيب . ولقد ذل من مطاوعته لهم حتى صار سلسيلاً جارياً، تلك اللغة الذلول ذات الغنى الكبير، في مفرداتها ومترادفاتها والتصرف الأكبر في أشاليبها وتراكيبها، فينبغوا فيه نبوغاً حدد من أوزانه وأطال من قوافيه وجعله في هذين الأمرين ذا منزلة لم يدانه فيها سواء، وأنى لغيره تلك اللدانة دون أن تهيأ لغته في مفرداتها وأسايلها لما تهيأت له لغة الضاد في التعرف البعيد البديع، الذي يمكن لدى الصناعة اللغظية من الاتيان بأشياء لولاه كانت من المعجزات، وفي مقامات الحرير وغيرها من هذا الضرب فنون وألوان: فن مقامة تتضمن رسالة إحدى كلمات معجزة والأخرى مهمة، إلى مقامة تتضمن أخرى كل كلمة فيها أحد حروفها معجم والآخر مهمل، إلى مقامة تتضمن رسالة تقرأ من أولها بوجه ومن آخرها بوجه، إلى مقامة تتضمن عبارات تقرأ مراداً ورداً فلا يغيرها عكس حروفها، إلى غير ذلك مما ليس له نظير ولا شبيه في أية لغة أخرى .

وكما كانت العرب في جاهليتها ذات قدرة على قول الشعر، فائقة وشاملة معاً، كذلك كانت

من أقدم الأمم للعروفة به، فأولية الشعر عندنا تكاد ترجع إلى أوليتها وهي أمة قدمة العهد ذات صلة بفجر التاريخ، غير أن بداوتها وأميتها حالنا بينها وبين تدوينه بنقش على أثر أو كتب في كتاب، فلم يك لها حياله إلا تمليقه بالحفظ الذي يدوي على الخشب، ويذهب بذهب الحفظ، وهيئات الحفظ وحده أن يبقى، ما نثور على تلك القرون العوال، لهذا كان الضياع حليف الشعر الجاهلي، فلم يسلم لنا منه وراء قرنين قبل الهجرة شيء، كما لم يسلم منه في هذين القرنين بالنسبة إلى ما ضاع إلا القليل. وأقدم ما عرف من ما نوره كان في قبائل ربيعة بنجد والعراق، وبخاصة تغلب وبكر أيام حرب البسوس، ومن قدماء شعرائها، ويقال إنه أول من قصد القصيد - والصواب من عرفه القصيد - المهمل وهو عدي بن ربيعة التميمي أخو كليب الذي هاجت بمقتله هذه الحرب بين القبيلتين الساليتين، فكان لها في إذكاء الشعر بريعة الأثر الكبير، ثم تحول إلى قيس غيلان، وكانت شعوبها تلاحقاً نجداً وأحالي الحجاز، ومن قبائلها عيسر وذي يان وبينهما بدأت حرب داحس والغبراء، وتناولت معها الكهين، فكان لها من إذكاء الشعر في قيس ما كان في ربيعة لحرب البسوس، ومن قيس انتقل إلى تميم - وتيمم - مع الحاروب - فاستقر فيها إلى ما بعد الإسلام، وكانت أول نشوئها في تهامة ثم نزلت إلى نجر في نجد وبادية العراق.

وكذلك ظهر في مدركة فمين سكن البادية منها: كهذيل وأسد وبعض كنانة وقريش، وبهذا غلب على أهل البادية من مضر وربيعة ومن حل بها منهم من نازح إلى اليمن اتدعم كلهم، وكذلك وغيرها مما تقدم بيانه في القبائل والبطون، أما الحوافر فكانت قليلة في ذاتها وكذلك كانت كلها قليلة الشعراء.

وإذا قلنا إن الشعر الجاهلي كان أقدم مما أثر منه بكثير، فإنا نستند في قولنا هذا إلى العقل وإلى المأثور، فأما إلى العقل فلأنه يأتي على الشعر الأبله كله أن يظهر قدرة ينزل ما ظهر أيام حرب البسوس، وأنى لتصائد مهمل في وصف تلك الحرب ورتاء كليب أخيه، أن تكون غير نتيجة حطب طويلة درج فيها الشعر حتى تم صقاله فتعددت أوزانه واستعالت قوافيه؟ وهل كان لها من سبيل إلى الظهور دون أن تكون مسبوقة بأمنالها في العهد القريب وبشبهات لها في البعيد؟ وهكذا التمهري إلى هود سة يفا كان الشعر فيها في صور الصغار من اللغات؛ وأما إلى المأثور فلأننا نرى في أقدم الشعراء للروى عنهم كادري، القيس من يقول:

هو جاعلي العيال الطبل لعلنا نبيك الديار كما نبيك ابن حذلم

وابن حذلم هذا أقدم من ادري، القيس، ولم يصل إلينا من شعره شيء، ولكن لا بد أن يكون قد وقف على الامتثال ونبي الديار فلما يريد أن ينفذ ويحيى ادري القيس، كما لا بد أن تكون له تصائد استعملها بالوقوف والبكاء، ثم صرف القول بهما إلى غير ذلك من الأغراض، (البقية على الصفحة رقم ٣٢)

التربية والتعليم

عند العرب والفرنج

بقلم الاستاذ أحمد فهمي العمروسى بك

ناظر مدرسة المعلمين العليا

جلست يوما على حافة جدول جميل تحت دوحة وارفة الظلال، أجيل الطرف في جمال الطبيعة وأملأ النفس من روعة جلالها، مع طالب في دار العلوم — هو ابن أخي عبد الحميد العمروسى — فسألته : ألك في مدرسة كتاب تصنى قلوبنا عنده إلى حكمة بالغة، أو فكرة صائبة، والجو منعش، والمكان بهيج يهتف بالمطالعة، ويثير الشوق إلى الحقائق العلمية، ويهيب بالنفس إلى العدل بعد الدعة والاستجسام؟ فما كان أسرع صاحبي إلى داره حيث أحضر كتاب (أدب الدنيا والدين) (١) وناولني إياه .

وكتاب أدب الدنيا والدين هو مختار للمطالعة في المدارس الثانوية والعالية، لأنه ستر قيم هاد لثى هي أئوم من مكارم الاخلاق.

تصفحت فهرس الكتاب فاسترعى نظري بابان أولهما : وسأذكر طرفا مما يتأدب به المتعلم ويكون عليه العالم ، وثانيهما : فأول ما يكون عليه العلماء من الاخلاق... الخ.

أخذتهما بقوة وعزم ، ورويت فيهما الفكر، وواظمت بين أهم أصول التربية والتعليم عند العرب في ذلك الوقت، وبين ما تقوم عليه تلك الأصول في الأمم الحديثة المتقدمة؛ وما كان أشد دهشتي وأعظم إعجابي حين رأيت تقارب العقليتين وتماثل الفكرتين : فكرة علماء التربية الحديثة، وفكرة علماء العرب من قبل زيف وثمانية قرون، في أهم أصول التربية والتعليم.

ذكر المؤلف رحمه الله في الفصل الأول طرفا من أهم الصفات التي يجب أن يتحل بها كل من المتعلم والعالم، والروابط التي يجب أن تجمع بينهما حتى تنتج التربية أثرها النافع، ويوقى التعليم أطياب الخمار. واستنصر الكلام على ثلاث منها، ونشعها بخاتمة وجيزة من الغاية من التربية والتعليم في القرن العشرين .

المعرفة الأولى : اعلم أن المتعلم في زمان تلمه ملقا وتذلا، إن استعملها فتم، وإن تركها حرم. لأن الخلق للعالم يفتور مكنوز دله، والتذلل سبب لادامة صبره، وباطها مكنونه

(١) صاحب كتاب « أدب الدنيا والدين » هو الامام أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البغرى المعروف بالماوردي، توفي بمدينة بغداد سنة ٤٤٠ هـ وقد ترجموا حديثا كتابه إلى اللغة الفرنسية.

تكون الفائدة، وباستدامة صبره يكون الاكثار، وقد روى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم».

أقول: والملق في اللغة: التحبب، والتودد، والالاف الشديد، وتعلق له، تعلق له وتودد إليه، وأن تعطى باللسان ما ليس في القلب.

وليس من شك في أن أول واجب على المتعلم: التودد إلى معلمه، والتقرب منه، واغتنام الفرص لاظهار ما يمكنه له من الحب والاعظام؛ فإذا قام المتعلم بهذا الواجب، لم يلبث المعلم أن يدينه منه، ويصدق عليه من علمه ونصائحه وعقله ما يضمن له الفوز والنجاح.

وقد كان المتقدمون يحلون المربين ويتولونهم أسبغ المنازل، ويرون لأولى العلم درجة دونها درجات الملوك وحمة التيجان؛ وفي الحديث الشريف: «وقروا من تتعلمون منه، ووقروا من تعلمونه» وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لا يقام لأحد إلا لدى علم أو لدى سن أو لدى سلطان».

وقيل: إنه لما وقعت الفتنة بالبصرة في عصر بني أمية سنة ١٠١ هـ ورضى الناس بالحسن البصري أن يكون حاكماً، اجتمعوا عليه وبعثوا إليه، فلما أقبل قاموا جميعاً إجلالاً له، فقال يزيد بن المهلب: كاد العلماء يكونون أرباباً، أما ترون هذا المولى كيف قام له سادات العرب!، أما إذا بنى صرح التربية على غير هذا الأساس، وهو: إعظام المتعلم للمعلم، والحب المتبادل بينهما، كانت التعليم عقبا لا يؤتي ثمراً، ولا يجنى الناس منه خيراً، وهذا ما حدا بالفيلسوف الفرنسي (ديدرو) إلى الانقطاع عن تعليم أحد أبناء الأمراء، فلما قيل له في ذلك قال: ما ذا تريدون أن أعلمه وهو لا يحبني؟ (١)

ومن قول الامام الماوردي - مؤلف كتاب (أدب الدنيا والدين) - في هذا الصدد: ومن آدابهم (آداب المعلمين) أن لا يمنفوا متعلماً، ولا يحقروا ناشئاً، ولا يستصغروا مبتدئاً، فان ذلك أدمى إليهم، وأعطف عليهم، وأحث على الرغبة فيما لديهم.

ومما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «علموا ولا تمنفوا، فان المعلم خير من المنصف» ومن آراء الامام الغزالي في تربية الطفل وتأديبه: الاقتصاد في لومه، وتمنيفه عند وقوع الذنوب؛ وفي ذلك يقول في كتاب (إحياء علوم الدين): «ولا تكثروا القول عليه بالعتاب في كل حين، فان ذلك يهون عليه سماع الملامة، وركوب القباح، ويغنف وقع الكلام في نفسه؛ ومن آرائه: أن يزجر المتعلم عن سوء الخلق بطريق التعريض لا التصريح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فان التصريح يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجرأة على المنجوم باغلاف، ويهيج الحرص على الاصرار».

[1] QUE VOULEZ-VOUS QUE JE LUI APPRENNE, IL NE M'AIME PAS.

ويقول إمام المؤرخين وعلمة المربين، فيلسوف عصره الامام ابن خلدون : من كان مرهبا بالمسئد والقهر من المتعلمين أو المايك والخدم، سطا به القهر، وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعا إلى السكل، وحمل على الكذب والخبث، خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه .

ولقد كنا - ونحن طلاب علم - نستقل العلم الذي يدرسه معلم لا نحس من أنفسنا مودة له، ونصرف عنه ، ونحب العلم الذي يدرسه معلم نحبه ونميل إليه ، لعجزنا - في هذه السن - عن التفريق بين شخص المدرس والمادة التي يدرسها .

وكنا - ونحن حديثو عهد بمحنة التدريس - ندخل بعض الفصول مشرح الصدر ، طيبي النفس، على حين ندخل فصولا أخرى منقبضين متبرمين ، ولم يكن لذلك من سبب سوى وجود روابط الألفة والمودة بيننا وبين الطلاب في الأول ، وعدم توافرها في الثاني ؛ ولكننا لم نلبث ، بالمرأة والراس ، أن ذلنا هذه الصعاب ، وأرشدتنا التجربة إلى أن المعلم إذا أوتي كفاية علمية ، وسجاجة خلقية ، ثم ألم بطبائع النفس ، وتعرف ميولهم ، وتنبس غرائزهم ونحائزهم ، لا أفراداً ووحداً لحسب ، بل جماعات وزرقات ، فإن كل فصل من فصول المدرسة في الحقيقة مجتمع صغير ، له تفكير خاص ، وسلوك خاص يختلفان عنهما في كل فرد من أفرادها على حدته ، (والذي ابتدع هذه التسمية الجديدة - فكرة تسمية الجماعات أو روح الجماعات - هو الدكتور جوستاف لوبون صاحب كتاب «مدنية العرب») ؛ وعلم نفس الجماعات هذا - وإن كان لا يزال في طور الطقولة - إلا أنه خطا خطوات في بضع السنوات الأخيرة ، ووضع قواعد من الأهمية بمكان للمدرسين في معالجتهم أحوال الطلبة ، وللأكباء في تصرفاتهم مع أبنائهم ، وسكل من يتولى شؤون الناس في أمر جليل أو غير جليل .

إذا ألم المعلم بذلك كله وجمع إليه حسن التصرف ولباظة التأديب والحكمة والحزم أمكنه أن يذل كل هذه الصعاب ، وأن يستحوذ على الأفتدة، فيوجه المتعلمين إلى كرائم الفضائل ويسلك بهم سبيل الكمال .

وعلى المعلمين أن يعنوا كل العناية بتكميل ما نقص من علمهم ، وتوسيع نطاق معارفهم ، والتماس خير الوسائل لحسن تفهيمها لتلاميذهم ، وإسداء النصيح لهم في كل ما يتعلق بشؤونهم ، وعليهم أن يكونوا - كما أسلفنا - ذوي خبرة بطب النفوس ودوائها ، وعلاج الطبائع وشفاؤها .

وخير المدرسين من كانت صلته بالتلاميذ ناشئة عن محبتهم له ، وإجلالهم إياه ، وشعورهم بعظيم قائده ، وعن عطفه هو عليهم ، وتحريه إفاذتهم .
أما ذلك المعلم الذي يظن تلاميذه أعداء ، ما من صداقتهم يد ، والذي لا تربطهم به إلا

صلة، هي خليط من الخوف والبغض، والذي يرى أن التدريس عمل رسمي جاف، ووظيفة يؤديها لينال أجرها غير شاعر بالتبعة اللانها على عاتقه، ولا آبه للناحية الأدبية في أحوال الطلبة وأخلاقهم، فهيئات أن يعود عمله بغير الضرر البالغ، والعاقبة الوخيمة؛ فأكانت التسوية على المتعلمين، وبث روح الذعر في نفوسهم لتأتي بغير تمويدهم: الجبن، والنفاق، والكذب، وعدم القيام بالواجب عليهم إلا مكرهين، وتفورهم من العلم، وإعراضهم عنه، وأن يكتنوا في قلوبهم الحقد على هذا النظام العنيف الذي وصل بهم إلى تلك النهاية.

وفي كلمة واحدة: حب الطفل إلى درجة الولع والاعترام به كما يفرم الإنسان بولده وسليبه، هذا هو نصف التربية والتعليم؛ أما النصف الآخر: فطرقه تدريس وأساليب تعليم.

الطرفة الثانية: ثم قال الإمام الماوردي في الطرفة الثانية ما نصه:

« وليحذر المتعلم التبسط على من يعلمه، وإن آتاه، والادلالة عليه، وإن تقدمت ضميته، وقد قيل لبعض الحكماء: من أذل الناس؟ قال: عالم يجري عليه حكم جاهل. وينبغي ألا يظهر الاستكفاء منه، والاستغناء عنه، فإن في ذلك كبراً لنعمته، واستخفافاً بحمته، وربما وجد بعض المتعلمين قوة في نفسه: لجودة ذكائه، وحدة خاطره، فقصده من يعلمه بالاعانة له، والاعتراض عليه، إزراءاً به وتبكيته له، فيكون كمن تقدم فيه المثل السائر لابي البطحاء: أعله الرماية كل يوم فلما استند (١) ساعده رماني

وهذه من مصائب العلماء، فن انعكاس حقايقهم أن يمدروا عند من يعلمونه مستجهلين، وعند من قدموه مسترذلين.

ثم أرفق ذلك بقوله: «وليس كثرة السؤال فيما التبس إعناتنا، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم: العلم خزائن، مفتاحه السؤال، فاسألوا رحمكم الله، فأنما يؤجر في العلم ثلاثة: القائل، والمستمع، والآخذ. وقد قيل لابن عباس رضي الله عنهما: بهم نلت العلم؟ قال: بلسان سؤال، وقلب عقول، اهـ.

فالسؤال المباح للتعلم هو الذي يزيل عنه لبساً ويثير أمامه طريقاً؛ أما السؤال الذي يقصد به الاعانة والتبكيته، فيبعد خروجاً من جانب المتعلم على المبدأ الأول المتقدم ذكره، وهو أن التعليم يجب أن يقوم على التوقير والحب المتبادلين بين المعلم والمتعلم.

وختم الماوردي هذه الطرفة بملاحظة جديدة بالاعتبار والتبصر، وهي قوله: وينبغي ألا تبعثه معرفة الحق له على قبول الشبهة منه، ولا يدعوه ترك الاعانة له إلى التقليد فيما أخذ عنه. فترى أن الماوردي فتح بذلك للتعلم باب الاجتهاد وإعمال الفكر، وأباح له تحليل ما تلقاه عن معلمه وتقليبه على وجوه حتى يستوثق من صحته، ويطمئن قلبه إلى صدقه، ولم ير للتعلم أن يلقى عقله، ويحس شخصيته، فيرى أن قول معلمه دليل، وإن لم يستدل، وأن اعتقاده حجة، وإن لم

يحتج ، كما يقول بعض المشارقة ؛ قال الشيخ : وكما كان علماء أوربا يقولون MAGISTER DEXIF ؛ وذلك لعمري مبدا يجب التحرك به حتى يفتى ، التعليم رجالا مفكرين قادرين على إقامة الحجة البالغة ، واستنباط الأدلة الواضحة ، ذوى آراء يعتد بها ، لا مقلدين يلوكون كلام المعلمين بلا تفهم ويرددونه كما تفعل البيغاء .

هكذا يقرر الأستاذ الامام الماوردي ، ومن قبل ذلك يرى التصريح لتاريخ التشريع الاسلامي في أقدم عصوره ، أن تقديس حرية الرأي وتفهم الأحكام تفهما صحيحا إنما كان من أهم ما تأتست عليه علوم الأولين من قومنا ، وقامت عليه آراء الباحثين من أساطين ديننا ، وأنت إذا تدبرت كتاب الله تعالى ، قلما تجد موضعا خلا من الحث على التدبر والنمسكر والتعقل والاتضاع بتلك الجوهره الثريده : جوهره العقل .

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى قاضيه أبي موسى الأشعري - دستور القضاء - ذلك الدستور الخالد على الدهر ، فكان مما قال فيه :

« ... ولا يمنعك قضاء قضيت به بالأمس ، فراجعت فيه نفسك ، وهديت إلى رشدك أن ترجع عنه ، فإن الحق قديم ، والرجوع إلى الحق خير من التماذى فى الباطل ، الفهم ، الفهم ، عند ما تلجلى في صدرك ما لم يبلغك به كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، اعرف الأمثال والأشياء ، وقس الأمور عند ذلك ، ثم اعمد إلى أحبها عند الله ورسوله ، وأشبها بالحق » .
ولنى عمر رجلا ، فقال : ما صنعت ؟ قال : قضى على بكذا وزيد بكذا ، قال : لو كنت أنا لقضيت بكذا ، قال : فما منعك والأمر إليك ؟ قال : لو كنت أردك إلى كتاب الله أو إلى سنة رسوله لفعلت ، ولكنى أردك إلى رأيي ، والرأى مشترك ؛ فلم ينقض ما قال على ولا زيد .

وعلى ذكر ذلك لا بدنى أن أصرح إخوانى المدرسين بحقيقة طاملا نهت إليها فى تقاريرى أيام كنت مفتشا على المدارس ، وهى تلخص فى أن كثيرا من مدرسى مدارسنا لا يميلون إلى مناقشة الحقائق العلمية التى يلقونها على التلاميذ ، وتقليبها على وجوهها لتحقيقها أمامهم ، وحثهم على إيمان النظر وإعمال الروية ، واستخلاص ما يمكنهم استخلاصه منها ، حتى يتمودوا التفكير فيما يعرض لهم من الشؤون فى حياتهم العملية ، بل هم فوق ذلك ؛ قد يحفظون عليهم السؤال وإن كان ضروريا ، لازالة غموض فى بعض عناصر الدرس ، بدعوى أن المقرر طويل ، وأن الترخيص للتلاميذ فى المناقشة مما يعوقهم عن إتقان ذلك المقرر — مع أن التعليم فى نظر المربين من عهد سقراط إلى يومنا هذا - وإلى ما شاء الله ، وشاء التربية الصحيحة - ليس هو تقديم الحقائق العلمية إلى الناس عقيدة مهياة ، وتكديسها فى أذهانهم أكواما مركومة مجمعة بدون إنسام النظر إليها ، والاتضاع بها ، وإنما هو تهيتهم لقبولها ، وإرشادهم لاستكشافها ، وهدايتهم إلى الضور عليها .

ومما عرف عن أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده - رحمه الله - أنه كان في دروسه يقصد إلى إعداد أذهان جديرة بفهم كتاب الله ، ومن أجل هذا كان يبتلى طوال الأيام في فهم الآية الواحدة من القرآن الكريم ، وتعرف سراميها ، والوصول إلى أسرار التشريع والتكليف بروحه ، وكان الغالب جد حريصين على أن يسمعوا التفسير جميعه في حياة الأستاذ ، فكان رحمه الله في بعد نظاره ، ووافر حكيمته يقول لهم : إنني لن أعيش حتى أفهم كتاب الله جميعه ، ولكني أعش في حياتي بتهيئة أنفسكم ، وتسجيل مراثي البحث عليكم ، ولقد تمكم إلى الاعلام المنصوبة أمامكم ، ثم أعرض عليكم الأمثال ، وأسوق الأمسى لما يجب أن يفهم عليه كتاب الله ، وأدعكم بعد ذلك إلى أنفسكم .

وقد حدث في الامام الماضي أن بعض أعضاء مجلس النواب الفرنسي ، ضيقوا الخناق على وزير المعارف (مسيو هريو) أثناء مناقشة المنداج ، وشكوا إليه من بعض منهج الفلسفة في المدارس الثانوية - وكانوا هم قديما أساتذة الفلسفة بها - فأجابهم الوزير بعد طول الجدل جواباً أغضبهم وأزعجهم به الحجة ونال استحسان المجلس وهو قوله : ليس التعليم كأسأ تدهق ، وإنما هو مشكاة تضاء . وهكذا كان العرب يرون التعليم ، فقد كانوا يكرهون من الطالب أن يكون خامد الروح ، يقبل ما يلقي عليه بدون مناقشة ، أو يمنعه الحياء أن يسأل عما يحفل ، فمن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : نعم النساء نساء الأنصار : لم يكن يمتحن الحياء أن يسألن عن الدين ويتفقن فيه .

وعلى ذكر وجوب تحصيل العلوم بالفهم لحقائقها أتت على قراء « المعرفة » الغراء حادثاً غريباً وقع في شهر أكتوبر للماضى بحلته : أن الدكتور (ماك دولاند) الأستاذ بجامعة هارفورد بأمریکا أتى أخيراً محاضرة انتقد فيها مارق التربية والتعليم ، وحث الطلبة على الاكثار من المناظرة والمناقشة في المسائل العلمية ، لأنها خير الوسائل للحصول على ما كانت العلوم والمذق فيها ، واستدل فيما استدل بالنبذة لابن خلدون ، قائماً من كتاب فرنسي ، ثم ترجمها إلى الانكليزية ، ونظراً للنفاضة تلك النبذة الدالة على رصانة آراء ابن خلدون في قد التربية والتعليم في زمانه ، بحث الدكتور (شارل وامسن) مدير السكينة الامريكية بالقاهرة بتلك النبذة إلى الأستاذ أمير بقرار ليرجمها إلى اللغة العربية ، وينشرها في مجلة التربية الحديثة وشتمها بخداش منه قل فيه : إنه دهش كثيراً لهذه النبذة وعجب من أن ابن خلدون الذي عاش في القرن الخامس عشر ، اعتدى بعائته ونور عقله إلى قد مراثي التربية والتعليم في زمانه قد علميا صحيحاً ، لا يزال هو النقد العلمي الصحيح الذي يهوب إلى التربية في العصر الحاضر ، وبها هي تلك الكلمة الثمينة الصادرة عن ابن خلدون :

« وبقيت فاس وسائر انطاسار الغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان ، ولم يتوصل منذ انقراض تعليم فيهم انفسهم عليهم حصول المملكة والمذق في العلوم ، وأدبر مارق هذه المملكة فتق اللسان بالمناظرة في المسائل العلمية ، فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرادها ، فتجد ملاب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة الجبالس العلمية مسكوناً

لا يمتنعون ولا يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة، فلا يحصلون على طائل من ملكات التصرف في العلم والتعليم، ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل، نجد ملكته قاصرة في علمه، إن فاض أو ناظر أو علم، وما أتاها التصور إلا من قبل التعليم واقتطاع سنده، وإلا حفظهم أبلغ من حفظ سواهم، لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية» اهـ

نعم والله إنه ليجدر هؤلاء المعلمين الذين أشرت إليهم آغا، والذين يحضرون عنايتهم في إتمام المقرر كنهما كان، دون الاهتمام بتربية الملكة وإتقان قوى الملاحظة، والتفكير، والمناقشات العلمية — يجدر هؤلاء — أن يتدبروا قول ابن خلدون الذي احدثني بنور بهيرته منذ خمسة قرون إلى أن أيسر الطرق لتحصيل العلوم والحذق فيها، إنما يكون بفتح اللسان بالمخاطرة والمناظرة في المسائل العلمية، أما التعليم بطريق الحفظ فلا يجدي نفعاً في الحصول على ملكات العلوم وبخاصة: ملكة التصرف، وبعد النظر، وتقدير الظروف، فقلقد شاهدت غير مرة أساتذة يدرسون لصفار تلاميذ المدارس الأولية عين الدروس التي تلقوها في المدارس العالية، بلا تبديل ولا تغيير، ذلك لأنهم لم ترب فيهم ملكة التصرف، ولم يتعودوها، وصعب على الإنسان هجران ما تعود. أجل! يجدر بأساتذتنا أن يسروا في تعليمهم على السنن القويم الذي رسمه لهم الامام ابن خلدون، وأن يعلموا أن الغرض من تدريس العلوم المختلفة في المدارس الأولية والابتدائية والثانوية ليس نخرج إحصائيين في تلك العلوم، بل الغرض منه تمرين التلاميذ على التفكير والنظر الصحيح إلى الأشياء، والحكم عليها حكماً صحيحاً بواسطة تلك العلوم، أو بمباراة أخرى ليست تلك العلوم المختلفة غايات ومقاصد تطلب لذاتها، وإنما هي وسائل ووسائط تتضافر كلها للوصول إلى نتيجة مشتركة واحدة، هي تهذيب العقل وتقويم الفكر، ويجب عليهم منذ اليوم ألا يتعلقوا بأهداف دعوى إتمام المقرر، بيد أن فوضت إليهم لجنة المناهج العامة البت في أمر المناهج، وبعد أن جربوها سنة كاملة وأقروها وأثروا عليها

احمد فهمي العمروسي

نبذة الشعر

بقيّة المنشور على الصفحة رقم ٢٥

ولم يك هذا دين امرئ القيس وحده، بل دين الشعراء في قدامهم أجمعين، ألا ترى إلى عنبرة يفتح معلقته فيقول:

هل غادر الشعراء من متردم أم حل عرفت الدار بد توهم؟

فنحن إذا انخرنا في دراسة الشعر الجاهلي إلى القرنين السابقين للإسلام، قبل ذلك مضطرين لاقتطاع الرواية الصحيحة مما قبل هذا التاريخ، وإنما قلنا الصحيحة لأن هنالك مرويات، ولكنها أقرب إلى الوضع والاختلاق، ومن البت التضرعها بكلام، فقد أنطرت القصصون في التوغل برواية الشعر عن القديم حتى أوصلوها إلى الرب البائدة فنسبوا إليها منه الكثير تزينة أو تأكيداً لما يذكرونه عنها من أساطير، ناسين أنهم ذوو دنة مفرقيل الإسلام، وسأل أن تتحد ولغة عاد في أقدم عصور التاريخ، على أن ذلك ليس بالغريب على هؤلاء وقد نسبوا الشعر إلى آدم وأولاده، كما نسبوه إلى الجن واللائكة والشياطين

السباعي بيومي

الارادة والعزم

بقلم الاستاذ محمد جاد المولى بك
المفتش بوزارة المعارف العمومية

الاستاذ جاد المولى بك من غير الاساتذة العلماء الذين تلمس فيهم ثيل
الحق وسعة الاطلاع في غزارة مادة ، وفوق ذلك فهو معروف الى الحد
الذي لا يحتاج معه الى أن تقدمه الى القراء .
الفرار

الارادة هي القوة التي أودعها الله الانسان ، وسلمها زمام عقله : فيها تعقد الزعامة على
إمضاء عمل عاجل أو آجل ، فان كان آجلاً ولم تحل دونه الحوائل الخفية تم إنقاذه على الفور ،
وإن كان آجلاً بقي في النفس مكتوناً حتى يحين ، حينه ، وربما طال عليه الأمد فتعذر إنقاذه ،
إذ قد تسخر النفس بالزعامة على أمر ، وصاحبها متأثر بأحوال ومقتضيات ، غير محيط بعواقب
الأمور : حميدها وذميمة ، منطقية تقسه على أمور مخبوءة في غياهب نياتها ، حتى إذا جاء
زمن الامضاء والاقاذه ، وحقت الحقائق نجحت أحوال جديدة ، وانكشفت الأمور
المكتونة ، فانحلت عزيمة النفس ، وتقل عليها العمل فتغيرت عن عزمها ، وخذلت صاحبها ،
ولتضرب مثلاً : يعقد السياسي العزيمة على أنه إذا تولى رئاسة الحكومة مثلاً التزم الاستقامة
فيها والالتقاء بالحق في مجاريها ، وأقام أركان العدل ، واجتنب الليل والمحاباة ، والتشيع والماراة ،
واستأصل جذور الظلم والظالمين ، وحصد شوكة المرتشين والراشيين والرائشين ، واتخذ ظهراً له أشياع
الحق وأنصار العدل وأهل الدين والخلق وحماة الفضيلة والأدب ، حتى إذا تولى صادف عزيمة
الضعف والوهن ، واستحوذ عليه الهوى ، فصرفه عن الرشاد وزين له قبيح عمله فأضله
عن سواء السبيل ، فركن إلى شيعة الباطل وأعداء الحق : واستمد رأيه من أتباع الغي وبطانة السوء .
من أجل ذلك قال علماء الأخلاق « عقد العزيمة لا يستأزم حتماً إنقاذ العمل » فطالما هبت
ريح العزائم على النفس فأنهشتها ، وأفعمتها بحجم المتناقص ، ثم ما لبثت أن سكنت ، وهذأت ،
كأنها كانت حلاًماً لصاحبها ، وإلى ذلك أشار على رضى الله عنه إذ يقول : « ما أقض النوم
لعزائم اليوم » فكم خطط بدرت بالخمار ثم قررت ، وكم عزائم صالت ثم انهرزت أمام تبديل
الأحوال ؛ مذعورة من اشتباه النقي ، وغموض المآل .

يتبين مما تقدم أن الارادة غير العمل ، وأن القول بأنها شيء واحد باطل ؛ حقاً قد تتصف
الارادة بالقوة فيقترن بها العمل ، ولذلك يغفل لغير المدقق أنها والعمل أمر واحد ، والحق أنه لا اشتداد ،
لأن اتصافها بالقوة ، لم يغير من حقيقتها ، بل جعلها وسيلة قربى للعمل مفضية إليه ؛ وقوتها : إما
فطرية ، وإما مكتسبة مستفادة ، فان كانت فطرية فصاحبها يوم غالباً بأنه غليظ السكبد ، قاسى

القلب، رابط الجأش، لا يخشى ركوب متن الأهرال واقتحام المصاعب والمخاطر، وإن كانت كسبية، وأصحابها من ذوى الفكر الواسع الذين خبروا الأمور وسبروها، وتعرفوا ما يهيم منها وما لا يهيم، قال لهم وجهوا الهمم، وله شعثوا العزائم؛ ألا ترى قوة الإرادة متجلية في قول عمر رضى الله عنه «لأن أقدم فتضرب عنق أحب إلى من أن أتأخر على قوم فيهم أبو بكر رضى الله عنه» إذ معنى هذا أنه وجد من نفسه العزم الجازم على أنه لا يتأخر مع وجود أبي بكر، وأكد ذلك بما ذكره من القتل، ومثل عمر من لو خير بين أن يقتل أو أبو بكر لفداه بنفسه، وآثر حياته على حياته .

حقاً لقد أراد عمر رضى الله عنه أن يجعل نفسه قدوة صالحة، ومثلاً كاملاً، وعبرة نافعة لمن رمت الشكوك بنوازعها عزيمة اعتقادهم، واعتزكت الظنون على معاهد يقينهم، وقدحت قاذحة الاحن فيما بينهم، ثم عدت على عزائم خدائع الشهوات، وطلمت بصائرهم ببلادة الغفلات، وتولاهم غل التماسد، وشعبتهم مصارف الرب واتسمتهم أخفاف الهمم . يستخلص مما تقدم أن الإرادة القوية سر النجاح، ورائد الظفر وحياة الشعوب والأمم ولا شيء أدل على مشانة الخلق، واستحسان قواعده، من إرادة قوية تحبب إلى صاحبها الاستمارة والاستبسال في الدعوة إلى: مكارم الحاصل، ومحامد الأفعال، والتعصب لخالل الحمد من الحفظ للجوار، والوفاء بالزمام، والطاعة للبر، والمعصية للكبر، والأخذ بالفضل، والكف عن البغي، والانصاف للخلق، والكظم للخيبة، واجتناب الفساد في الأرض.

وكل أمة يكثر في أبنائها ذوو الإرادة القوية والعزيمة الصادقة، لا تلبث أن تنشر النعمة عليها جناح كرامتها وتسيل لها جداول نعيمها، ويمنحها الله سلطاناً تاهراً وعزاً غالباً، يثبت ملكها ويؤيد دولتها، ويجعل منها حكماً على العالمين، وملوكاً في أطراف الأرضين، يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم، ويمضون الأحكام فيمن كان يعضيها فيهم، وإلى درجة صدق الإرادة والوفاء بالعزم يشير قوله تعالى في كتابه الكريم «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً» .

فلقد روى أن أنس بن النضر لم يشهد بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشق ذلك على قلبه وقال: أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه، أما والله لئن أراى الله مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أضع، فلما أتى العام شهد واقعة (أحد) فاستقبله سعد بن معاذ، فقال يا أبا عمرو إلى أين؟ فقال: وأها لرج الجنة، إني أجد ريحها دون (أحد)؛ فقاتل حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانون: مائة رمية وضربة وطعنة، فقالت أخته بنت النضر: ما عرفت أخى إلا بتيابه، وكذلك تعمل قوة الإرادة بأهلها، وكذلك يكون اليقين . ولما كانت الإرادة بهذه المتزلة قال جمهور الخلقين «إن الخلق صورة الإرادة» ومرادهم أن

لنفس أحوالاً شتى ، وخلقتها هو الحال التي تغلب عليها وتصرفها ، فمن رسخ في نفسه مثلاً وتغلب عليها حال تقديس الواجب ، فاتخذ المرد الأعلى ، والمرجع الأسنى ، الأمر الزاجر ، الناهر القاهر ، فهو صاحب الإرادة الصادقة ، والخلق الحسن ؛ ومن تغلب عليه حب جمع المال ، ومنعه أخله ، فهو البخيل الشحيح ؛ ومن تغلب عليه الاتقاراد بالرأى ، والاعراض عن النصيحة والمشورة ، فهو العنيد المستبد ؛ ومن كان قلباً حولاً ، ليس له حال متغلبة عليه ، فهو المتمثل من الخلق العارى من الإرادة الماضية ، والعزيمة الصادقة : إذا عاثر الأسخياء ، شاكهم وحاكهم بخاد وأعطى ، وإذا عاثر البخلاء تقبل أنرم فنع وأكدى ، إذا حبيت إليه النجدة والأفانة سارع وأبلى ، وإذا زين له الكيد والوقعة بالناس اتقاد ولبي ، ذلكم الامعة ؟

محمد أحمد جاد المولى

مؤلفاتك!

هل تريد ذيوعه _____ ؟

مطبوعاتك!

هل تود اتقانه _____ ؟

مجدد المصرفة!

هل راققت نظافتهم _____ ؟

إن شئت : ضبط المواعيد ، ودقة التصحيح ، ونظافة الطبع

مطبعة ناقد المعرفة

بشارع عبدالعزيز رقم ٤ بالقاهرة

فهي كهيئة بتحقيق ذلك كله

الخطبة والخطباء

في الاســـــــــــــــــام

بقلم الأستاذ يوسف أحمد
مفتش الآثار العربية سابقاً

ما كان محتتم به الخطبة في العصر الاول

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في نهاية الخطبة سورة «ق» ، وكان عمر يقرأ « إذا الشمس كورت » ، وكان عثمان يقرأ آخر سورة النساء « يستثنونك في الكلالة » ، وكان علي يقرأ سورتي « الكافرون » و « الاخلاص »

وأول من قرأ في نهاية الخطبة آية « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » عمر بن عبد العزيز بدلا عن الحب الذي كانت بنو أمية تذكر به علما على المنابر .

حدث صهر بن عبد العزيز قال : كان أبي يمر في خلبته يهزها هزاً ، حتى إذا وصل إلى ذكر أمير المؤمنين على عليه السلام تتمتع ، فقلت له ذلك ، فقال : يا بني أدركت هذا مني ؟ قلت : نعم : قال : يا بني ، اعلم أن العوام لو عرفوا من علي بن أبي طالب ما عرفوه نحن لثفروا عنا إلى ولده .

فلما ولي عمر الخلافة قطع السب، وجعل مكانه قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» وقد لزمها الخطباء إلى يومنا هذا.

وقد أشار إلى ذلك الشريف الرضي الموسوي في وثائقه لعمر بن عبد العزيز بقوله :

يا ابن عبد العزيز لو بكت العيون فتي من أمية لبكتك

أنت أشدنا من العيب والاشتمام فلو أمكن الجزاء جزيتك

فَإِنِ أَقُولُ إِنَّكَ قَدْ مَلَأْتَ وَإِنِ لَمْ يَطْبُ وَلَمْ يَزْك يَبْشُرْكَ

دير سمعان لا عدتك العوادي خير ميت من آل مروان ميتك

قلت : وقد امتنعت عادة سب آل البيت على النابر بعد عمر بن عبد العزيز، وظلت تمتنع
إلى أن جاء الخليفة أبو جعفر للنصور فأعاد هذه العادة للمقوّة، حيث أمر بسب عبد الله بن حسن
ابن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضوان الله عليهم أجمعين، على النابر سنة ١٤٤ من الهجرة
لخروجه عليه (راجع النجوم الزاهرة)

وأول من قرأ في الخطبة آية « إن الله وملائكته يصلون على النبي » للهدى ثالث الخلفاء العباسيين ، وأول من أمر الخطباء بجموعهم درجة من المنبر إذا وصلوا إلى الدعاء في الخطبة هو السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ اليهودي صاحب الجامع المشهور باسمه بشارعسكرية بجوار باب زويلة (بوابة التولى بالناصرة) ليكون اسم الله ورسوله في مكان أعلى من مكان الذي يذكر فيه السلطان ، وكان ذلك في سنة ٨١٩ هجرية (١٤١٦ م) وتبعه الخطباء إلى وقتنا هذا .

نوادير بعض الخطباء

حدث التاريخ أن أبا يعقوب البلخي خطيب جامع أحمد بن طولون رقى المنبر وخطب يوم افتتاح الجامع سنة ٢٦٥ هـ بحضور الأمير ابن طولون ، فدعا للخليفة العباسي المعتمد بالله أحمد ولولده ولي عهده جعفر ، ونفى أن يدعو لابن طولون ونزل عن المنبر ، فأشار ابن طولون لمادمه « نسيم » بأن يضربه خمسمائة سوط ، فذكر الخطيب سهود وهو على مراق المنبر ، لعاد وقال : الحمد لله وصلى الله على محمد ، « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً » اللهم وأصلح الأمير أبا العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين ، وزاد في الشكر والدعاء له بقدر الخطبة ، ثم نزل ، فنظر ابن طولون إلى الخادم وأشار إليه بأن يجعلها دفانير . ووقف الخطيب على ما كان منه فحمد الله تعالى وهنأ الناس بالسلامة .

وحدث أيضاً أن علياً بن أحمد بن عبد الملك الفهمى خطيب جامع عمرو خطب بالناس صلاة العيد من سنة ست أو ثمان وثلاثمائة في الجامع ، وهى أول صلاة عيد في الجامع ، وقد كان الناس يصلون العيد في الصحراء بقرب عين الصيرة — حفظ عنه أنه قال : « اتقوا الله حتى تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مشركون » فقال بعض الشعراء :

وقام في العيد لنا خاطب فخرض الناس على الكفر

قلت : وقد حصلت أمامنا حادثة مثل ذلك ، فقد كنا إحدى الليالي نسمع القرآن ، فقرأ الفقيه « وبشر المؤمنين بأن لهم من الله عذاباً ألياً » بدلا من « فضلا كبيرا » فقال بعض الحاضرين وكان أمياً : وما فائدة الإيمان إذا كان مصيرهم إلى العذاب ؟

ومثل ذلك ما حصل مرة من أحد الفقهاء حيث قرأ « نثر عليهم السقف من تحتهم » بدلا من « فوقهم » فقال أحد البنائين الذين كانوا يستمعون له : « ياسيدنا إن ما كنتش حافض هندس » . وجاء عن الخافض أبي الطاهر السلفي أنه قال : سمعت أبا منصور قسطة الأرمني والى اسكندرية يقول : كان عبد الرحمن خطيب نثر عسقلان يخطب بظاهر البلد في عيد من الأعياد ، فقيل له : قد قرب منا العدو ونزل عن المنبر ؛ وقطع الخطبة ، فبلغه أن قوماً من الجند ما بوا عليه فعله ،

فخطب في الجمعة التالية في المسجد داخل البلد خطبة قال فيها : « قد زعم قوم أن الخطيب فزع ، وعن المنبر نزع ، وليس ذلك حاراً على الخطيب ، فأما ترسه الطياسان ، وحمامه الاسان ، وفرسه خشب لا تجرى مع الفرسان ، وإنما العار على من تقلد الحسام ، وسن السنان ، وركب الجياد الحسان ، وعند اللقاء يصبح إلى عمتلان » .

قلت : وقسطة هذا هو صاحب مسجد قسطة الذي كان بقلعة الجبل المنشأ سنة ٥٣٥ هـ وعمله الآن مسجد سليمان باشا ويدرف بمسجد سارية .

من أرتج عليه وهو على المنبر فاعتذر بعذر حسن
أرتج على عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين فقال : « إنكم إلى أمير فعال ، أحوج منكم إلى أمير قوال »
وأرتج على يزيد بن المهلب فلما نزل قال :
فإن لم أكن فيكم خطيباً فاتني بسيفي وإن جد الوغى خطيب
فقال له : لو قلت هذا على المنبر لكنت أخطب العرب .

وأرتج على خالد بن عبد الله القمري فقال : « إن هذا الكلام يحسن أحيانا ، ويعسر أحيانا ، وربما طلب قاتلي ، وكوبر نعمتا ، واتماني لجريته أيسر من التماسي لأبيه ، وقد يختلط من الجريء جناحه ، وينقطع من الدرب لسانه ، وسأعود فأقول »
وأرتج على أبي العباس السفاح فزله ثم صعد وقال : « أبها الناس إن الاسان بضعة من الانسان ، يكل بكلاله إذا كل ، ويرتجل لارتجاله إذا ارتجل ، ونحن أمراء الكلام ، بنا تدرعت فروعه ، وعلينا تهدلت غصونه ، ألا وإنا لا نتكلم هذراً ، بل نكتم متبرين ، وننطق مرشدين »
من أرتج عليه وهو على المنبر فاعتذر بعذر قبيح

صعد عبد الله بن عامر على منبر البصرة فاشتد جزعه ، فقليل له : إن هذا مقام صعب فامتنع فيه غيرك ، فأمر وازع بن مسعود أن يصعد ويخطب ، فلما ابتدأ الكلام خصر ، فقال : لا أدري ما أقول لكم ، ولكنني أشهدكم (أن امرأتى طالق) فهي التي أكرهتني على حضور الصلاة .

ثم أمر آخر فصعد فأرتج عليه وفنار إلى الصلح فقال : « اللهم الدين هذه الضلعة » .
وصعد غباب بن ورقاء منبر أصبهان يوم النحر ، خصر ، فقال : (لا أجمع عليكم عيا وبخلا ، ادخلوا سوق الغنم ، فنأخذ منكم شاة ، فهي له وعلى ثمنها) .

قلت : وهذه النادرة تذكرنا بأخرى شبيهة لها وقعت هنا في مصر في أيام الاتعنايات ، فقد رشح بعض أعيان الريف الأغنياء نفسه ضد مرشح آخر يؤيده حزب كبير له نفوذ وسلطة في الجهادير

وكان هذا المشرح الحزبي ، علاوة على تفوذ حزبه ، فانه شام مشهور بالخطابة وزلاقة اللسان ، فتركه الغنى الرفي يخطب في الناس حتى إذا لم يبق بينه وبين يوم الانتخاب إلا أيام معدودات ، دعا هذا الغنى جميع المنتخبين في الدائرة ، حتى إذا اجتمعوا في محفلهم الحافل مللح عليهم هذا الغنى فقال : إخواني أنا لا أعرف كيف أتكم ، ولأني مقدرة على هذه الثثرة ، وكل ما أقوله لكم هو : « دونكم هذه الأجران بما فيها من القمح ، والشير ، والفل ، خذوا منها ما شئتم ، ودونكم أيضاً المواشي غنذوا ما شئتم من جاموس وبقر وغنم وغيرها » وأمر ففتحت لهم الأبواب ، فكانت هذه الخطبة هي أول وآخر ما قيل ، وكان له ما أراد من فوز وفقر .

صعوبة تولى الخطبة

قيل لعبد الملك : لقد أسرع إليك الشيب ، فقال : كيف لا ، وأنا أعرض عقلي في كل يوم جمعة على الناس ؛ وفي رواية أخرى : شيبني صعود المنابر ، والخوف من اللحن . وقد كان اللحن عندهم يستتبع غاية التبع .
وقيل : نعم الشيء الامارة لولا فمعة البريد وصعود المنابر .

ما يحتاج إليه في الخطبة

يجب أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل الاحتظ ، متخير اللفظ ، جهر الصوت ، وأن يضع في صدر كل خطبة ما يدل على عجزها ، وأن يكون فيها آيات قرآنية ، وإلا كانت شوها ، ولذلك قال عمران بن حطان : أول خطبة خطبتها عند زياد : فقال : هذا الغنى أخطب الناس لو كان في خطبته شيء من القرآن ؛ وليس من السنة التمثل فيها بالشعر ، ولا يستعمل غريب اللغة ولا يطنط ، ولا يتغنى ، وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة .

ويسمى للخطيب أن يشغل يده بنحو سيف ولو من خشب ، أو قوس أو عصا ونحوها ، ويمناه بحرف المنبر ، وأن يكون جلوسه بين الخطبتين بقدر سورة الاخلاص ، وأن يقرأها فيه أيضاً ، وأن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة « الجمعة » وفي الثانية بعد الفاتحة « المنافقين » جهرأ أو « سبح اسم ربك الأعلى » في الأولى « وهل أتناك حديث الغاشية » في الثانية ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هاتين في وقت ، وهاتين في وقت ، فها سنتان .

واعتماد الخطيب على السيف في مذهب الحنفية في البلاد التي فتحت عنوة بخلاف البلاد التي فتحت صلماً ، فانه يخطب فيها بدون سيف ، والحكمة في أخذه باليسار كما هو شأن من يريد المقاتلة ، فهو استعمال وليس تناولا حتى يكون باليمين ، ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام ، فإذا فرغ المؤذن قام مقبلاً عليهم بوجهه لا يلتفت يمنة ولا يسرة . وقد كانت خطبة الجمعة بعد الصلاة كخطبة العيدين ، حتى نزلت الآية الشريفة : « وإذا رأوا

تجارة أو طهواً انقضوا إليها وتركوك قائماً» جعلها النبي قبل الصلاة، وسببها أنه صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة بعد الصلاة، فوردت تجارة من الشام فيها جميع ما يحتاج إليه الناس من بر ودقيق وزيت وغيرها، قدم بها دحية بن خليفة قبل أن يسلم، وكان غلاء في المدينة؛ فنزل بسوق المدينة، وضرب الطبل هو أو أهله، ليعلم الناس بتقدمه فيبتاع منه، وقيل الضارب للطبل أهل المدينة على العادة في أنهم كانوا يستقبلون التجارة بالطبل والتصفيق. فخرج الناس من المسجد غير ١٢ رجلاً، وفي روايات أخرى غير أربعين أو ٨ أو ١١ أو ١٣ أو ١٤، وهذا منشأ الخلاف بين الأئمة في العدد الذي تمنع به الجمعة وليس هنا موضع استيعابه.

وقد تصادف قدوم التجارة ثلاث مرات متواليات كل مرة في يوم جمعة وقت الخطبة، ويخرج الناس للابتاع قبل نهو الخطبة ظناً منهم أن الخروج بعد الصلاة جائز لا نقضاء المقصود وهو الصلاة، فلما وقعت هذه الحادثة ونزات الآية قدم رسول الله الخطبة وأخر الصلاة، ويعلم من هذا أن النبي كان يخطب قائماً.

قلت : وأول من خطب جالساً معاوية بن أبي سفيان حين ترهل كما فعل عليه القلقشندي في صبح الأعشى.

هذا وقبل الختام لابد لي من إهداء الشكر لحضرة الأستاذ الفاضل محمود أحمد وكيل الآثار العربية لتفضله بإعطاء الرسوم الخمسة الأولى من محفوظات لجنة حفظ الآثار العربية وهي من رسم حضرة الأستاذ حسن أفندي عبد الوهاب المصور باللجنة؛ وقد نشرت في المقال الأول عن « المناير في الإسلام » بالجزء السادس من مجلة « المعرفة » الغرام؟
يوسف أحمد

واجبك...! هل أديته؟

إنك ستؤديه بلا ريب...

إن مجلة (المعرفة) سبيلكم إلى الثقافة الصحيحة، وهي المجلة المصرية التي يضطلع بأعبائها الشاقة أحد مواطنيكم، فليكن تعضيدكم إياه مشجعاً له ولنيره.. على إحياء القومية المصرية

لهذاواحبكم فأدوه

على باشا ————— امبارك

١٨٩٣-١٨٩٤

زعيم نهضة العالم والتعايم في عصر اسماعيل

بقلم الاستاذ الجليل عبد الرحمن بك الرافعي

أعماله في عهد اسماعيل

لما تولى اسماعيل الحكم ألحق المترجم بمعيته ، ثم جعله ناظراً على القناطر الخيرية ، وكانت إلى ذلك الحين لم تستخدم أبوابها الحديدية المعدة لاقفال عيونها ، والمانع من إقفالها ماقرره المهندسون وقتئذ من أن القناطر لا تحتل ضغط المياه قبل تقويتها ، وترتب على ذلك أن معظم المياه تحولت إلى فرع رشيد ، وحرم فرع دمياط مرور المياه فيه ، فلما عرض الأمر على المترجم ارتأى إقفال قناطر فرع رشيد لتنذية فرع دمياط ، فعمل الخديوي برأيه ، وأمر بإقفالها ، فأنحدرت المياه إلى فرع دمياط ، ونالت البلاد التي تروى منه منافع الري وخيراته ، وأما الخلل الذي كان متوقفاً حصوله في بعض عيون فرع رشيد فقد تلاناه المترجم بحكته ومهارته إذ أقام جسراً من الخشب أحاط بالقناطر ، قدشأت حولها جزيرة من الرمل حفلتها من ضغط المياه ، وهكذا تبين صواب الرأي الذي ارتآه على باشا مبارك.

ولما خفر رياح المنوفية أحيل على المترجم إنشاء قناطره ومبانيه ، فأقامها على أحسن نظام. وفي سنة ١٨٩٥ اتدبته الحكومة المصرية عضواً عنها في اللجنة التي ألفت لتقدير الأراضي التي صارت حقاً لشركة قناة السويس طبقاً لحكم الامبراطور نابليون الثالث ، فأدى هذه المهمة خير الاداء .

(*) هذا هو القسم الثالث من سلسلة البحث الذي بدأنا في نشره من العدد الحادي عشر من السنة الاولى للمعرفة (مارس سنة ١٩٣٢)
(٦٠)

وكالة وزارة المعارف

وفي سنة ١٨٩٧ جعل وكيلًا لوزارة المعارف العمومية (ديوان المدارس) وكان يتولى هذه الوزارة شريف باشا الوزير المشهور، فنقله المترجم منصبه الجديد مع بقاء نظارة القناطر الخيرية في عهده؛ وبدأ من ذلك الحين عهد جديد للمترجم، إذ صار له بحكم منصبه النفوذ الكبير الذي يسمح له باتخاذ إصلاحاته في دائرة التعليم العام.

كان من زوايا المترجم أنه يتمكن كل عمل يتولاه، ويبدل كل ما في وسعه ليقوم به على الوجه الأكمل، فانهز نذب الخديوي اسماعيل إياه لرحلة مالية إلى باريس عقب تعيينه وكيلًا لوزارة المعارف، وأخذ يستكمل معلوماته عن التعليم ونظام المدارس في فرنسا، ليقبض مايراه صالحًا لمصر، ومع أن رحلته هذه لم تتجاوز خمسة وأربعين يومًا، بما فيها الذهاب والاياب، فقد اطلع على برامج التعليم في المدارس الفرنسية والكتب المقررة فيها، ودرس أيضًا نظام المجارى المبنية تحت الأرض في باريس.

توليته وزارة المعارف والاشغال

وبعد عودته إلى مصر أنعم عليه اسماعيل سنة ١٨٩٨ برتبة الميرمران، فصار يعرف من ذلك العهد بدلي باشا مبارك، وأُسند إليه وزارة المعارف والاشغال، وإدارة مصلحة السكك الحديدية، وبعد قليل ضمت إليه نظارة ديوان الأوقاف، فجمع بين هذه المناصب الرفيعة مع بقاءه ناظرًا للقناطر الخيرية واتمخافه بالامية.

العصر الذهبي في حياة المترجم

وهنا يبدأ العصر الذهبي في حياة المترجم، وهو العصر الذي خفل بالأعمال العظيمة التي خلدت اسمه في تاريخ مصر الحديث وخاصة في نهضتها العلمية.

وأول ما يلفت النظر في هذا الدور من حياته، كفاءته المتنازة في إضطلاع بأعباء الوزارات المختلفة، فقد كُتف في وقت واحد وزيرًا للمعارف، والاشغال، والأوقاف، ومديرًا عامًا للسكك الحديدية، وناظرًا للقناطر الخيرية، وهي مهام جسام، تنوء بالعصبة من الرجال، ولكن على باشا مبارك قام بها جميعًا، وأظهر من الكفاءة وقرة الارادة والجلد على العمل ما يدعو حقًا للاعجاب، وصدقت كلمته المتواضعة التي قالها عن نفسه في هذا الصدد «فبذلت جهدي، وشمرت عن ساعد جدي في مباشرة تلك المصالح، فقامت بواجباتها»

وهنا تتجلى ميزة كبيرة للمترجم، تطالعنا بناحية من نواحي شخصيته، وهي مقدرته على الاضطلاع بالمهام العظام؛ فقد يكون لعلي باشا مبارك أُنْدَاد في العلم والذكاء بين زملائه الذين

تولوا مختلف الوزارات ، والمناصب العالية ، ولكننا نعتقد أنه بذ أفرانه في الجمع بين مزايا متعددة ، وهي الكفاءة ، والجلد على العمل ، والاخلاص والترادف في أداء واجبه ، وإتقان الأعمال الكبيرة التي تعهد إليه ، على ما تقتضيه من جهود ومتاعب ، فالرأس الذي يمس وزارات المعارف ، والأشغال ، والأوقاف ، مع إدارة مصلحة متشعبة الأعمال كالسكك الحديدية ، والكفاءة التي تضطلع بكل هاتيك المصالح ، والهمة التي تصرف شؤونها المختلفة ، وتبتكر لها المشاريع الجمة ، كل ذلك لا يصدر إلا عن نبوغ فذ ، وهذا وحده يعطينا فكرة صادقة عن شخصية المترجم .

وزع على باشا مبارك أوقاته بين تلك الوزارات المختلفة ، فنحصى نصف النهار من الصباح إلى الظهر للمعارف والأشغال والأوقاف ، ومن بعد الظهر إلى الغروب لإدارة السكك الحديدية .

في وزارة المعارف

كانت معظم جهوده موجهة إلى ترقية شؤون التعليم في البلاد .

نقله المدارس إلى درب الجماميز

وأول أعماله أنه نقل المدارس من العباسية إلى درب الجماميز ، وذلك أنه رأى ما يتكبده التلاميذ وأهلهم والأساتذة من المتاعب والمشاق والنفقات في ذهابهم إلى العباسية ، وإيابهم منها ، فاستصدر من الخديوي اسماعيل إذنًا بنقل المدارس إلى درب الجماميز ، وخصص لها سراي الأمير مصطفى فاضل ، فأصلحها على باشا مبارك وجعلها على استمداد لا يواء المدارس والمعاهد ، وخصص سلامك السراي لوزارة المعارف ، وجعل كل مدرسة في ناحية من السراي ، فصارت أشبه ما تكون بالجامعة ، وجعل بها أيضًا وزارة الأشغال ، وديوان الأوقاف ، تسهل عليه القيام بأعباء الوزارات المختلفة .

ومع اضطلاع بأعباء هذه الوزارات كان لا ينفك يعني بتفقد أحوال التلاميذ والمعلمين في المدارس ، ويدخلها كل يوم ليشهد بنفسه سير التعليم فيها ، وليطمئن على حسن نظامها وقيام المدرسين بواجباتهم .

لائحة التعليم وإنشاء المدارس الابتدائية

وقد وجه عنايته ، منذ تولى وكالة الوزارة ، إلى إصلاح التعليم في المكاتب ، وتحويل ما يمكن تحويله من الكتاتيب إلى مدارس ابتدائية نظامية .

فوضع لذلك لائحته المشهورة بلائحة ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ التي نظمت المدارس على اختلاف درجاتها .

ودعا طائفة من المشتغلين بالتعليم ليراجعوا المشروع ويبدوا آراءهم فيه ، فدرسوه وأقروه ، وصدر أمر الخديوي بأجراء العمل بمقتضاه .

وأنشئت في عهده أولى المدارس الابتدائية النظامية في القاهرة وعواصم المديرية . وكان لاجتماع وزارة المعارف ونظارة ديوان الأوقاف في يده أثر كبير في نهضة التعليم ، لأنه بما له من سلطة النظر على الأوقاف الثميرية استطاع إعداد كثير من الأمكنة الموقوفة لجعلها معاهد للتعليم بعد إصلاحها ، ولولم تكن له هذه السلطة لبقيت هذه المباني معطلة لا يفتتح بها ، ولم تجز الحكومة عن النفقات التي يقتضيها إنشاء معاهد جديدة ، وكذلك أمكنه بما له من حق الاشراف على معاهد العلم الموقوفة ، أن ينظمها ويحولها إلى مدارس نظامية ، فأحيا هذه المعاهد بعد ما درست في أيدي نظار الوقف الخاملين ، وكذلك أحسن إدارة أموال الأوقاف الثميرية ، واستخدم جانباً منها في الاتفاق على التعليم ، بعد أن كانت تبدد وتضيع هباء .

وجعل على أهالي التلاميذ المتدربين مصروفات قليلة تؤخذ منهم برغبتهم على حسب اقتدارهم ، مع ترك الباقين هباءاً ، واستوفي نفقات المدارس من إيراد الأوقاف الثميرية الموقوفة على المكاتب وغيرها من وجوه الثميرات ، وخصص لها الخديوي إسماعيل إيراد أطميان قنطريش الوادي بالشرقية ، كما منحها بعض الأملاك التي آلت إلى بيت المال من بعض التركات ، فكانت هذه الموارد ينفق منها على تلك المدارس عدا المصروفات الضئيلة التي يدفعها أهالي التلاميذ ذوي اليسار والانتدار .

معلمو المدارس

إن وضع نظام صالح للتعليم يقتضي توفير العدد الكافي من الأساتذة الأكفاء ، وقد حل على باشا مبارك هذه المعضلة بما أوتي من خبرة ، ونظر صادق ، وعزيمة ماضية ، فأنشأ « دار العلوم » كالمسيحي ، بيانه : لتخرج أساتذة اللغة العربية ، واختار لتدريس بقية العلوم ، كالرياضيات والتاريخ والجغرافية واللغات الأجنبية نجباء التلاميذ المتقدمين ممن أتموا دروسهم في المدارس العالية ، كالمهندسخانة ، ومدرسة الحاسبة ، ومدرسة الإدارة (الحقوق) ، بأن يجعلوا أولاً معيدين لدروس المعلمين زمناً ، ثم يصيرون معلمين استقلالاً .

دار العلوم

هي من أجل منشآت على باشا مبارك ، أسسها سنة ١٨٧٢ ، والغرض الأصلي منها تخرج أساتذة اللغة العربية والآداب للدارس الابتدائية ، ثم لكافة المدارس . ومرجع الفكرة في تأسيسها ، أنه لما أنشئت المدارس الابتدائية واتجه العزم إلى الاكثار منها ، مست الحاجة إلى طائفة من الأساتذة لتدريس اللغة وآدابها في المدارس الحديثة ، فارتأى

المرجع إنشاء مدرسة عالية دعاها « دارالعلوم » لتخرج أولئك الأساتذة ، واختار تلاميذها من طلبة الأزهر ممن حفظوا القرآن الشريف ، وتلقوا دروس اللغة والفقه ، وقد اختيروا لهذه المدرسة بالامتحان واشتمل برنامج التعليم فيها على العلوم التي لا تدرس في الأزهر ، كالحساب والهندسة والطبيعة والجغرافية والتاريخ والخط ، مع إتقان دأوم الأزهر ، من لغة ونحو وتفسير وحديث وفقه .

واختار المرجع للتدريس في دارالعلوم جماعة من جلة العلماء الأكفاء في العلوم الأزهرية ، والعلوم المصرية ، وجعل التعليم فيها مجانياً ، مع دفع مرتب شهري للتلاميذ .
وقد أثمرت المدرسة ، وتخرج فيها أساتذة اللغة والآداب العربية للمدارس الابتدائية في القاهرة والإقليم ، ثم للمدارس الثانوية والعالية ، ويعد إنشاء دارالعلوم أنشأ خدمة أسداها لترجم لآحياء اللغة العربية وآدابها في مصر .

دار الكتب

أسست سنة ١٨٧٠

أنشئت دار الكتب سنة ١٨٧٠ ، ولتأسيسها مقدمات ترجع إلى عهد محمد علي ، فقد أنشأ مستودعاً لبيع مطبوعات الحكومة في بيت المال القديم ، خلف المسجد الحسيني ، ولما تقلد اسماعيل الحكم أضاف إليها نحو ألفي مجلد من المخطوطات العربية والفارسية ، ابتاعها من تركة حسن باشا المناستري ، ثم تطورت الفكرة إلى إنشاء دار عامة للكتب .

ويستفاد مما ذكره علي باشا مبارك في الجزء التاسع من المخطط (ص ٥١) أن فكرة تأسيس دار الكتب ترجع إلى الخديوي اسماعيل ، فانه رغب في إنشاء مكتبة عامة تجمع الكتب المنفرقة في مخازن الحكومة ، ومكاتب الأوقاف ، وفي المساجد ونحوها ، وأمر المرجع بالنظر في ذلك ، فحقق الفكرة ، وأنشأ دار الكتب في سراي درب الجمايز بجوار المدارس .

ولكن يؤخذ مما جاء في الجزء الثالث من المخطط (ص ١٤) أن صاحب الفكرة في هذا المشروع الجليل هو علي باشا مبارك ذاته ، فقد قال في هذا الصدد :

« ثم ظهر لي أن أجعل كتبخانة خديوية داخل الديار المصرية ، أضاهي بها كتبخانة باريس ، فاستأذنت الخديوي اسماعيل باشا في ذلك ، فأذن لي ، فشرعت في بناء الكتبخانة الخديوية هناك أيضاً (بدرب الجمايز) ، وبعد فراغها جمعت فيها ما انتشت من الكتب التي كانت بجهات الأوقاف زيادة على ما صار مشتراه من الكتب العربية والفرنجية وغيرها ، وجعلت لها ناظرأ ، وربيت لها خدمة ومعاونين ، وعملت لها قانوناً لضبطها وعدم ضياع كتبها ، فجاءت بمون الله من أنفع التجهيزات التي حدثت في عهد الخديوي اسماعيل باشا ، وحصل بها النفع العام للخاص والعام »

وقد ابتاع اسماعيل باشا مجموعة الكتب القيمة التي تركها أخوه الأمير مصطفى فاضل بعد وفاته وأهداها لدار الكتب .

وصرف على الدار من ميزانية المدارس، وفتحت أبوابها لطلاب العلوم والمعارف، وسهلت لهم الإطلاع على كتب ومؤلفات ومخطوطات، ما كان يتمكنهم الوصول إليها لولا إنشاء هذه الدار، فأدت ولا تزال تؤدي خدمات جليلة للنهضة العلمية والأدبية .

مدرج المحاضرات (الانفتيات)

ورتب دروساً عمومية أو محاضرات دورية بالانفتياتر (المدرج) بسرأي درب الجمايز سنة ١٨٧١ ، فعهد إلى النابيين من أساتذة المدارس إلقاء هذه المحاضرات لتنقيف أذهان الطلبة . وكان يشجع هذه الحركة، فيحضر المحاضرات بنفسه، وحذا حذوه كبار الموظفين في مختلف الوزارات ، وخاصة وزارة المعارف .

وكان يحضرها أيضاً، عدا طلبة المدارس العالية، فريق من طلبة الأزهر، وصاروا نواة دار العلوم التي أنشئت سنة ١٨٧٣ .

وتولى إلقاء المحاضرات طائفة من العلماء للشار إليهم بالبنان، فكان الشيخ حسين المرصفي يدرس الآداب العربية ، واسماعيل باشا القلسكي ناظر المهندسخانة يدرس علوم الفلك باللغة العربية، ومنصور أفندي أحمد أحد أساتذة المهندسخانة يلقي محاضرات في الطبيعيات، والمسوي فيدال (باشا) في فن السكة الحديدية ، وفرانس بك (باشا) كبير مهندسي الأوقاف في المباني، وجيجون بك ناظر مدرسة الفنون والصنائع في الميكانيكا ، وبروكش باشا ناظر مدرسة اللسان لمصرى القديم في التاريخ العام ، والشيخ عبد الرحمن الجراوى في فقه الامام أبى حنيفة ، والشيخ أحمد المرصفي في التفسير والحديث ، والمسوي بكيت في الطبيعيات ، وأحمد بك ندا في علم النباتات ، وغيرهم .

عبد الرحمن الراقى

في العهد القادم

تجد تمة هذا البحث ، ففيه يتناول الاستاذ الراقى بك الكلام على : معمل الكيمياء والطبعة ، أعمال على مبارك الهندسية ، انفصاله عن الوزارة ثم عودته في وزارة نوبار باشا، في عهد الخديوى توفيق ، الثورة العربية ، في وزارة شريف باشا ، في وزارة رياض باشا وفاته .

مميزات الأدب الروسي

بقلم الاستاذ محمد ثابت النندي
إيسانيه في الفلسفة

في قصة « الدخان » من قصص ترجينيف أتيت فرصة لرجل روسي أن يبدى ملاحظة هامة عن طبائع الأمم المختلفة فقال: إذا تحدث رجل انجليزي فإن حديثه، طال أم قصر، لابد منغص إلى الألعاب الرياضية، وإذا تحدث رجل فرنسي فإن حديثه، طال أم قصر، لابد منغص إلى النساء؛ أما إذا تحدث إليك رجل روسي فإن حديثه، طال أم قصر، لابد منغص بك إلى تناول روسيا بكل ما فيها.

كذلك يريد أن يفهم الروسيون أنفسهم؛ وكذلك يفهم أن تفهمهم أيضاً، فإن الروسيين والحق يقال قد أوقفوا حياتهم لروسيا وحدها، لا لأنفسهم وما يشتهون من ألعاب رياضية أو ألعاب نسائية، حتى أن روسيا صارت شغلهم الشاغل، وخطرهم الذي لا ينقضي، وغريزتهم التي عنها يصرون في كل شيء.

وأنت إذا بحثت فيما يميز الأدب الروسي عن غيره من الآداب الأوروبية أو الأفريقية، فأنك لن تجد غير هذه الميزة التي أشار ترجينيف إليها ضمناً، ألا وهي: ميزة القومية أو الاجتماعية. هو أدب قومي لأنه اهتم بشؤون أمة واحدة لا بشؤون الانسان على وجه العموم، اهتم بشؤون الأمة الروسية، ثم هو أدب اجتماعي لأنه لم يعم بالفرد من حيث هو فرد يحتاج إلى الرياضة والراحة، ولكن من حيث هو جزء من مجتمع واسع يتأثر بما تتأثر به الجماعة: يضحك لضحكها، ويبس لبوسها، وهذه الميزة التي أشرنا إليها هي التي جعلت الأدب الروسي في مختلف عصوره أدباً واقعياً قريباً جداً من الحياة في تلك البلاد.

وهذه الميزة عامة في الشعر والنثر على السواء، ثم هي نتيجة ضرورية لمنطق الحياة في روسيا؛ إذ أن الحكومات الاستبدادية كانت تقتل كل نشاط سياسي في مهده، حتى أن جنود الوطن وحزب التقدم كانوا لا يجدون تحت نير ذلك الحكم غير متنفس واحد يتنفسون منه إذا شاءوا أن يشتركوا في بناء مجد الوطن، ذلك هو « الأدب » ولذلك فقد حلت الكتابات الأدبية محل الكتابات والحركات السياسية في روسيا؛ والصراع الشديد الذي كان يفتأ بين المذاهب الأدبية المختلفة لم يكن في جوهره إلا صراعاً بين مذاهب سياسية متعارضة، وذلك أمر أمتاز به

الأدب الروسى دون غيره من الآداب الأوربية؛ فالجتماع الروسى لم ينظر إلى الأدب كأداة لتسليية فوق المسارح أو فى أوقات الفراغ، كما ينظر غيره من المجتمعات الأوربية، ولكنه ينظر إليه كبرامج اجتماعية يقصد بها قبل كل شئ حل مشاكل الحياة كلها وخاصة السياسية، وهكذا كان الأدب مصباحاً يضىء طريق الحياة للناس فى روسيا.

الشعر فى روسيا

والشعر عامة وحتى الشعر الغنائى منه؛ الذى يأخذ بمجامع قلب الرجل الروسى ويثير بلبه ليس هو ذلك الشعر الرائى الجميل الانشاء، الحسن التركيب فى عبارته وفى معناه، ولذلك الشعر الذى يعبر عن المشاعر الباطنة للشاعر، ولكنه ذلك الشعر « الاجتماعى التومى » الذى يعبر عن الجماعة الروسية فى ألمها وأملها، وفى حقائقها الواقعية ومثلها العليا؛ فالشاعر الروسى فى الغالب شاعر اجتماعى يتحدث عن الجماعة وفى الجماعة وللجماعة، ولست أعرف بلداً من بلدان العالم كان الشعر فيه سلاحاً للإصلاح الاجتماعى والسياسى مثل روسيا، فهناك بوشكين قبصر الشعر غير المتوج، كتب نشيداً طويلاً (ODE) عن الحرية، حمل فيه على القياصرة المتوجين وطلب إليهم أن يثأروا الرؤوس أمام القانون الطيبين، وأن يضعوا الحرية وحدها حارساً للعرش. وهناك لمنتوف الذى تزعم دولة الشعر بعد بوشكين، كتب شعراً من نار، طعن فيه على (الطغمة الفاسدة التى تحيط بهروش فصابى الحرية).

وشاعر آخر هو ييليف (PYLIEEV) مجذ فى (الافكار) الأبطال الذين مانوا فى سبيل الحرية، وهؤلاء الأبطال هم الشعراء والكتاب، لأنهم كانوا القادة السياسيين. ثم هناك أجاريوف (OGARIOV) المتأجج حماسة للتأثرين والثورة التى هبت سنة ١٨٤٨، كان شعره كله سياسياً، حتى أن ناقداً وصف ديوانه بأنه ديوان سياسة لا شعر، ولد ومات وهو يلجج بذكر الحرية، حتى أن بعض أشعاره صارت أناشيد قومية، وذلك مثل المقطوعة التالية:

« عند ما كنت طفلاً صغيراً،

وعند ما صرت يافعاً متأججاً،

وعند ما جاوزت الكهولة،

وبالجملة دائماً ودائماً أبداً، مارن فى أذنى غير لفظ واحد،

رن فى أذنى لفظ واحد لم أسمع سواه،

الحرية ! الحرية ! »

هؤلاء هم شعراء النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهم فى الغالب لم يفهموا الحرية كما ينبغي أن تفهم، وكان تصورهم لها تصوراً غامضاً، إلا أن هذا التصور أخذ يتحدد ويتعين فيما

بعد، بفضل التجارب التي اكتسبها روسيا، حتى أن الحرية فهمت على أنها اتحاد وتقدم على ضوء العلم، فقال بلشتشيف (PLECHTCHIEV)

« إلى الامام يا أصحاب ! لا خوف ولا تردد ،

فان المخاطر والمصاعب تنتظرنا ؛

ألا إن يوم الغفران عنا ،

قد أعلنه الله في السموات .

تماسكوا بالأيدي يا أصحاب ، وتقدموا بخطى جريئة إلى الامام ،

تحت سماء العلم والمعرفة ،

يستطيع اتحادنا أن يزداد »

وهذه الآيات صارت أنشودة وطنية فيما بعد، ينشدها الشباب والشيوخ في الحفلات العامة والخاصة ، وهي تمتاز ، ولا شك ، بتجدد معنى الحرية فيها .

وكما نشد الشاعر السالف الذكر الحرية تحت سماء العلم والمعرفة ، نشدها ميناييف MINAEV في التحرر من الاعتقادات الموروثة والمعدول عن كل ما هو قديم ، فظم هذا الشاعر قطعاً تهكمية كثيرة تهكم فيها على الاعتقادات التقليدية ، ونادى بمساواة المرأة بالرجل ، فكان بذلك بطل المذهب « النسوي » FÉMINISME في روسيا .

وعلى العموم فقد كان شعراء الأغاني في ذلك العصر يتأثرون بما يحس به الشعب أكثر من تأثرهم بما يحسونه هم ، فكانوا قبل كل شيء شعراء الجماعة الروسية ، ويشارك الشعراء في ذلك الشعراء : فنثلا الشاعرة بارهوف BARYHOV الطائرة الصيت لم تنظم أفانيها عن الحب وحول الليالي المقمرة وفي التاراج وقمم الجبال والأنهار ، وإنما حول ذلك الشعب البائس الذي يغني بعضه بالآخر ، وبعضه الآخر بالذل ، أو بالفقر ، أو بالجهل ، أو بالمرض ، وكانت في شعرها تعنف « أولئك الشعراء الذين يتغنون بشبهات النفوس ، ويحولون عبرتهم الشعرية إلى شيء يتلى به » وذلك لأنها كانت تظن أن مهمة الشاعر الروسي هي الاحساس بحواس الجماعة .

وكانت السعادة الفردية عند شعراء ذلك الجيل شيء مهمل لا قيمة له إذا فقس بلذة النضال في سبيل سعادة الجماعة ، ثم قال أحد شعراء ذلك العصر : « اترك أمك وأباك ، ولا تبذل لك عشاً ... واقنع دابر العواطف الانسانية في نفسك ، واحتقر الحب والثروة والجد ؛ كن قديساً ، واستبق قلبك نظيفاً بين جنبيك ؛ وأعطه بأكله هبة منك إلى إخوتك البؤساء ، وحيث تسمع الأنين سر وتقدم ؛ ابق فقيراً عارى القدمين ؛ تكن عطيلاً ويخاف العالم منك » .

وفي هذه العبارات الحارة الحائرة لا نجد ذلك الزهد الديني في السلم ، زهد المتصوفين والمتبتلين ، وإنما نجد الزهد النورى ، والتعسف السياسى الذى لا بد منه للجندى في ميدان

الجهاد الوطني ؛ وكثير من شعر ذلك العصر هو من قبيل ذلك الشعر الثورى السياسى ، وهذه
الآيات التى كتبها الناقد الروسى DOBROLUBOV تصور لنا تماماً الحالة الفكرية لهؤلاء الشعراء :

« أى صاحب ! إني أموت ،

لماذا ؟ لأنى كنت أبداً نزيها شريفاً ،

أموت وأنا موقن بأن الوطن لن ينسانى .

أى صاحب ! إني أموت ،

ولكننى مطمئن النفس جداً ،

إنى أباركك وآمل أنك ستتبع نفس طريقى »

ذاك شعر قصير الروح ، سطحي بسيط ، فيه نزعة إلى الزناهة ، وهى صورة من صور الزهد
والامتناع عن الجشع ، وتلك صفات تميز بسيكولوجية الشبيبة الروسية آنئذ ، تلك البسيكولوجية
التي تبعد جداً عن عقلية المفكرين الأوربيين المعقدة التى نراها فى أشعارهم .

وهذا الشعر الذى سماه بعض النقاد « الشعر الممدنى » بلغ أوج كماله بكتابات NEKRASOV
(١٨٢١ — ١٨٧٧) ، وكتابات هذا الشاعر لا تلبس الجميع الناس ، ولا تتذوقها جميع الأتس بالتساوى ،
لحتى عند حافة قبره ، وبعد أن وورى التراب ، مازال الناس يتناقشون بحرارة فى مسألة طالما
تناقش الناس فيها أيام حياته ، وتلك هى مسألة مواهبه الشعرية ، فقد جرده البعض من كل شئ ، حتى
اسم الشاعرية ، فى حين أن آخرين عدواً كبير ألقاب الشرف فى روسيا ؛ وسبب هذا الاختلاف
هو تمسكه بالمذهب الواقعى المتطرف الذى صار فيه مضرب الأمثال . والحق أن « الواقعية »
لا تليق بالشعر كما تليق بالقصص ، إلا أنها لا تفتقر جداً لذلك الشعر الاجتماعى الذى اشتهرت به
روسيا ، وكل من شاء أن يعرف روسيا الحقيقية فى عهد العبودية والاستبداد ، فعليه أن يرجع
إلى هذا الشاعر ، فهو الذى يصور مدينة بطرسبرج بما تعج به من أرسطراطية المال والادارة ،
وما يذوب فى أرضها الرطبة ، وفى صميمها المميت من دماء فقيرة جنباً إلى جنب ، ثم هو يصف
لك فيها حياة الأدباء وأصحاب الأقلام وبؤسهم وعذابهم ، فإذا خرج بك من بطرسبرج ، فهو
أخذك إلى الريف حيث تذوب الرجال كدأ وكدحاً فى سبيل تحصيل كديرة فى آخر النهار ، وهو
فى كل هذا يفتش لك عن قلوب هؤلاء وهؤلاء ، من ذير أن يشقى عليهم ، أو أن يتصور لهم مثلاً
علياً فى الفقر أو الثراء ، وذلك لأنه كما قلنا واقعى إلى أقصى حد .

ولهذا الشاعر أثر فى تبسيط لغة الشعر الروسية ، فكتاباته ميسورة القراءة لكل قارىء ،
ولقد لحنت بعض أشعاره وصارت من أغاني الشعب ، ثم له أثر من جهة أخرى ، فقد صارت
كتاباته مدرسة يتعلم فيها الناشئون الروح الاجتماعية فى الشعر .

ولقد عد المجتمع الروسى آنئذ شعراءه « كمدرسين للحياة » إلا أن هؤلاء المدرسين دفعوا

نحن تلك الدروس غالباً بدلا من أن يكتسبوا منها : فبشكين بعد أن طال تمييه قضى بقية حياته تحت المراقبة السرية ، ولمنتوف كان ضابطاً ولكنه خفف في رتبته ، ثم أقصى عن موطنه بعد ذلك ، وريليف مات بالشفق شرميتة ، وأجاريوف اضطر أن يهجر موطنه والأسى مله فؤاده ، والناقد TCHERNYCHEVSKY أبعد إلى سيبيريا كما أبعد أيضاً دستوفسكى ويعقوبوفتش ، أما تولستوى فقد عاش وأعين البوليس ترمقه ، وأما جوركى فقد فضل أن يبعد نفسه عن روسيا حتى لا تبعده هي عنها .

هؤلاء هم ضحايا الأدب في روسيا ، ولكن كم من الأدباء ممن هم أقل مكانة منهم اتهموا إلى أسوأ مما اتهم إلى هؤلاء ؟ بل كم من القراء — نعم من القراء — قد روقب وشرذ وعذب أو أميت ؟ وكم من الكتب صودر وأعدم لذلك نجد أن آلهة الشعر الروسي — كما قال ناقد حصيف — إنما هم « آلهة الانتقام والحزن » لا أكثر .

وبعد وفاة نكراسوف انقسم الشعراء إلى مدرستين : إحداهما سارت على منهج المدرسة القديمة واحتفظت بالطابع الاجتماعي للشعر ، وأهم زعماء هذه المدرسة هما : ZEMTCHUJNIKOV و YALSIBOVITCH : ما المدرسة الثانية فقد كان شعارها الفن للفن ، تجددت بذلك الشعر الغنائى على طراز نادر النيل ، وزعماء هذه المدرسة هم : MAIKOV و FÉTÈ و TUTTCHÈV و ALEXIS و TOLSTOI .

ولقد صار الأدب الروسى أيضاً كغيره من الآداب منيباً للذة الشخصية الفردية بفضل هؤلاء الذين حملوا راية الفن للفن ، حتى لقد أعلن بعض زعماء تلك المدرسة بصراحة مثل . . . MINSKY و APUKHTIN بأن عواطف الفرد على جانب من الأهمية في الحياة أعظم من عواطف الجماعة ، ولا شك أن هذا انقلاب في اتجاه الأدب الروسى الذى كان من قبل أدباً اجتماعياً . ولقد شاهدنا مفتتح القرن العشرين فريقاً آخر من الشعراء تأثروا في شعرهم بالمذهب الرومانتيكى ، وخاصة بأشعار (شلى SHELLY) التى ترجمت إلى الروسية . وأهم زعماء هذه المدرسة BRUSSOV الذى تغنى بحاسن المصور القديمة وآثارها وأفكارها ، ثم BLOCK الذى أحاط نفسه بأفكار غيبية صوفية ، وأخذ يتطلع إلى اكتشاف « اللا معروف » أى الله .

والآن ما مكانة الشعر الروسى في عالم الشعر ؟ قال CHAMOT الناقد الانجليزى : إن لانجلترا شكسبيرها ، ولفرنسا هوجوها ، وألمانيا جوتتها ، أما روسيا فلا تنجب في عالم الشعر واحداً مثل هؤلاء ، في حين أنها انجبت في عالم المنشور أعظم من كتب بالثر في العالم : تولستوى ، ودستوفسكى . فاشأن هذا الأدب للنور ياترى ؟

ذلك ما سنستكم عنه في العدد المقبل

في جنب دجلة

لشاعر العراق وفيلسوفها الكبير
الاستاذ ذجيل صدقي الزهاوي

الاستاذ الزهاوي من طول الشعراء الذين امتازوا بخصب الشاعرية
وقوة البيان وسلاسة الأسلوب وحسن الأداء التي غير ذلك مما لا يشوف
الا في القليلين.
وحسب ظمرا أن يكون فيلسوف العراق الاكبر وشاعرها الفرد
وقد تفضل ببيت البنا بهذه الفرة البتمة والمزجدة المعنوية التي
نشرها القراء «المعرفة» معجبين في الفهر

أضياء ثم تدلى بإفلى القمر
وخر يذكو شهاب لاح منبتقا
أما النجوم فكانت فيه خائفة
إذ نحن من دجلة في عدوة رحبت
طابت لنا دجلة تجري مسارعة
وبعد ذلك ران النوم يغلبهم
ناموا سوى عندليب فوق أيكته
كأنه كان فيما كان يرسله
يشكو إلى الليل أشجانا ثورقه
لقد شجنتني شكواه برقتها
أفي النهار لسان الشوك آلمه
أم هدمت عشه الغربان ذؤدة
أم غاب عنه ، فلما تاب منتندا
أم مات لف له فالتاع يندبه

زاعلى البان غريدا فهزمه
سمت شفته في فرع أيكته
وخيل لي أنها نار مؤججة
وخيل لي أنها باتت بأرديتي
صوت له شجوه كالسهم منطلق

وصحت أسمعه شعري وأعلمه
شعر حكي العين معناه فيض أسي
أني كما هو شاد ماله وزر
ولفته دمع تلك العين ينهمر

إنا شبيهان في البلوى مجتمع فيه كلانا لقاء الموت ينتظر
أجل كلانا إذا ما الله لم يبق شلو على الأرض ملئى أو دم يهدر

أين القصيد التي أبيتها خرف من القصيد التي أبيتها درر؟
إني وإن كنت قد مارسته عمراً ما قلت شيئاً به أستخو وأفتخر
يا شعر كنت سلاحاً لي أذود به عني الأذى وبه قد كنت أتصبر
عليك مني سلام عرفه عبق فأنا عن قريب عنك لي سفر
لقد بلغت من السبعين غايها فالقبر لي بعد هذا العمر ينتظر

الشعر قد كثرت فيه مقلدة والشعر أوشك أن يردى بما ضعفت
العقل مفتكر والقلب مرتجل المقل للشعر أتمذوه عواطفه
وبليل الروض أنى كان منبره وجدت في الروض بعد الأمل مرقده
إني لم بأخبار الحياة وما عندي سوى الظن عما بعدها خبر

وما لما حارب الأحرار مرهنة وإن التبور لأولى بالأولى عجزوا
لقد طغى الضغف في أرض العراق على حرية الشعب حتى كاذ ينفجر
فلا يحرره إلا عوال والعبر (١) فإن تفجر لا يبقى ولا يذر
فليسعد السيف إن لم يسعد القدر والشعب يطلب حقاً منه مقتصباً

ألمت للسيف في شعري وليس لنا سيف فعل الشعر إن جدت معارضة
وقد يجرده من شل ساعده والشعر ليس بمجد في كفاءته
بل نحن كالشاء لا ناب ولا ظفر مالم يسفله الصمصامة الذكر
وقد يليح به من ليس يقتدر إن أشغل (٢) القوم عنه اللهو والبطر

(١) عبرة : جمع عبرة بمعنى الدفعة .

(٢) أشغل : مثل شغل .

لقد عرفنا لدى التأويب من شلل
الويل للفرد فيما جاء من خطل
ولا صلاح لفرد أو لأسرته
إنا بعد يعاب الصادقون به
للصادقين عقاب في مواطنهم
والسياسة أذئاب بلا نظار
هناك دجلة لم ترقأ مدامها
ما بال ليلتنا سوداء حالكة
تنداد

فينا وأدج أقوام فما عثروا
وأكبر الويل في أن تخطل الأمر
إلا إذا صد عن عاداته البشر
وليس يحمد إلا الكاذب الأشر
كأنما الصدق ذنب ليس يغتفر
والسياسة أقطاب لهم نظار
أنتك أم لأبناء بها غدروا
فهل تقرر أن لا يطلع القمر؟
جميل صدق الزهاوي

حبيبة قلبي؟! ..

حبيبة قلبي ! هل إذا مت تنقضي
وهل أغتدى ، لا الذهن منى مرهف
وينفت في طي التنير تدلني
وهل ياتري إن جاءني الموت وانطوت
ستبكين أم هل سوف تنسين ما البكا
وتنسين أيام اللقاء التي مضت

صباة قلبي أو يموت غرامي؟
يصور فربي منك في الأحلام
ويبعث في ناي القريض سلامي
ضيفة غمري واقضت أيامي
وتنسين من فرط الجحود هيامي
وتنسين ميثاق الغرام السامي

وهل تذكرين المرج: مرج لقائنا
وهل تذكرين البحر؟ .. لله دره
زلت في فلك ، شعاع شراعه

وقد كان مهد الحب والالهام
لقد كان خدنا موجه المتراحم
ومجدافه يحده بالانغام

ذكرت الردي والعيش زهر ومركبي
فما كان أغناني عن الشك في الهوى

إليك ذلول والشباب إمامي
وما كان أغباني بذكر حماتي

حبيبة قلبي ! ما حبيت فأنني
أحبك ؛ إما إن قضيت فأنما

على عهدنا ، والحب كل خطامي
ستبقى على عهد الغرام عظامي
عنتار الوكيل



الضمير

بقلم الاستاذ محمد مهدي علام

استاذ التربية والفلسفة بدار العلوم وقسم التخصص

الاستاذ مهدي علام من خيرة الشباب العلماء ، الذين جمعوا الى الثقافة الغربية الثقافة الغربية ، وهو بحق أحد الاساتذة المجددين الذين تغرهم دار العلوم .

خطر في ذات يوم للقاضي (كورت ريت) الكندي أن يشرب الخمر ، فتجاوز الحد في شربه ، حرّ عاد غير قادر على الوقوف على قدميه ، وخرج من الحانة وهو على هذه الحالة ؛ فلما عرفه رجال الشرطة ثقلوه إلى بيته . وشاع الخبر في المدينة ، وتناقلته الألسن ، وزادت فيه وجسته وفقاً لأغراض البعض ومبولطم ، فلما استوى القاضي (كورت ريت) في اليوم التالي على منصة القضاء ، وهم كاتب الجلسة بتلاوة أسماء المتنازعين والمتخاصمين أوقفه القاضي ، وأخبر الحاضرين بأنه يريد أولاً محاكمة القاضي (كورت ريت) الذي وجدته الشرطة في اليوم الماضي سكران على نارعة الطريق ، وفي الحال أخذ مخاطب نفسه قائلاً : اسمك كورت ريت ، وصناعتك قاض في مدينة (وينيج) الكندية : حسن ! هذه أول مرة في حياتك تسكر فيها ؛ ولكن نص القانون صريح ، لأنه يحرم السكر قطعياً ، والقانون يجب أن يسرى على كل إنسان بدون تطلع إلى مركزه وأهميته الاجتماعية ؛ غير أني نظراً لماضيك الجيد الذي لا تشوبه شائبة حكمت عليك بغرامة قدرها عشرون دولاراً مع إيقاف التنفيذ ، وأملّي ألا تعود إلى مثل هذا العمل الذي يحط من قدرك ، ويضيع هيبتك أمام الناس ، وإلا حكمت عليك بالسجن ، وبدفع هذه الغرامة أيضاً .

وبعد أن حكم هذا القاضي على نفسه بهذه الكيفية ، طلب إلى كاتب الجلسة أن ينادي الأسماء ، وجلس هادئاً ساكناً للفصل في قضايا المتنازعين (١) .

تري ما الذي حمل هذا القاضي على أن يفعل ما فعل ؟ إن هو إلا صوت الضمير يهيم في أذن المرء لدى شروعه في كل عمل ، ليقره عليه إن كان حسناً ، وليبغضه إليه إن كان قبيحاً ، أو يؤنبه من أجله إن كان قد وقع فلا .

فالضمير إذن هو السراج الوهاج الذي منحه الله تعالى كل فرد لكي يضيء له سبيل الحياة ؛

(١) نقلاً عن صحيفة مصرية صادرة في العام الماضي بتعريف قليل في الالفاظ .

أما السراج فمع كل إنسان ، وأما وجهه فيختلف باختلاف الناس : فمنهم من سراجهم وهاج ، ومنهم من سراجهم مضى ، ومنهم من سراجهم مومض ، ومنهم من سراجهم مظلم لا نور فيه ؛ وبعبارة أخرى : منهم ذو النفس الراضية للراضية ، ومنهم ذو النفس التي إن فاتها أن تحول بين صاحبها والقيام بعمل الشر ، فلن يفوتها أن تلومه على عمله ، وتسلفه بالسنة حداد ؛ ومنهم ذو النفس الأماره بالسوء ، وذو النفس المظلمة التي ليس فيها شعاع من أشعة الهدى ، ولا يريق من سراج الضمير .

ويتضمن الضمير أمرين : أولهما إدراك الفرق بين الحق والباطل ، وثانيهما الشعور بوجوب اتباع الأول وتجنب الثاني . وللضمير ثلاث مراتب :

١ — فقد يصدر حكمه قبل الشروع في العمل ، كما إذا كنت تفكر في الانتفاع بمقدار من المال ، وكان عندك رغبتان : إحداها للتجار به ، والأخرى لاقرضه بالربا ، فإذا ضميرك يناديك : « وأحل الله البيع وحرم الربا » ، وهو في هذه الحالة يرشدك إلى التبرع بمحذورك من الشر .
٢ — وقد يرتفع صوت الضمير في أثناء قيامك بالعمل فعلا ، وهو في هذه الحالة يؤثر في اختيارك ويسد خطاك ، إن كان العمل حقا ، ويمارضك ويقم في سبيلك العقبات ، إن كان العمل باطلا .

٣ — وربما جاء صوت الضمير بعد إتمام العمل ، وهنا نحس بسرور وابتهاج إذا علمت أن ضميرك قد أقر على ما فعلت ، أما إذا لم يكن عملك الذي عملت موافقا للحكم الذي يصدره ضميرك : فانك تشعر بحزن واقتباس : تشعر بأنك قد انتهت كرامتك ، وجرحت عزتك ، وأنت أسرا إدا .

يتبين لنا مما تقدم أن حكم الضمير على عمل من الأعمال يستتبع الشعور بواجب من الواجبات لا تجوز مخالفته ؛ فالأعمال التي نحكم بأنها حق يجب علينا أن نعملها ، والأعمال التي نعلم بطلانها يجب علينا أن نتجنبها ، وإن نحن حدثنا عن تنفيذ ذلك ، كننا في الحقيقة مقدمين على : انتحار خلقي ، وانتحار عقلي ؛ أما الأول : فلا نتناخلف الواجب الذي نشعر به ، ونصم أذانتنا عن النداء الباطني الذي يحفزنا إلى ما فيه منفعتنا ؛ وأما الثاني : فلا نتناقض أنفسنا باعتقادنا أمرا وعملنا قبيضا . وفي ذلك يقول ابن المقفع :

« عمل الرجل فيما يعلم أنه خطأ حوى ، والهوى آفة المغاف ، وتركه العمل بما يعلم أنه صواب تهاون ، والتهاون آفة الدين ، وإقدامه على ما لا يدرى أصواب هو أم خطأ جماع ، والجماع آفة العقل » (١) .

سلطان الضمير : قلنا : إن سلطان الضمير يختلف باختلاف الناس : ذلك أننا قد قوى سلطان الضمير علينا ، وقد وضعفه ، بتقدير خضوعنا لأوامره ، فإذا خالفنا ما عليه علينا مرة من المرات ، سهل علينا أن نخالفه ثانية فثالثة ، ولا سيما إذا كان لنا في المخالفة : جلب مسرة ، أو دفع ألم (ولو كان الحصول على تلك المسرة ، أو دفع ذلك الألم وقتياً) ، حتى تصبح تلك المخالفة أمراً عادياً ، وعندئذ يضعف سلطان الضمير الذي كان يوماً من الأيام فاهراً غلاباً ، ولقد يؤول أمره إلى اللوث ، وعند ذلك يصبح صاحبه ميتاً من الوجهة الأخلاقية ، ويخلف قوة البحث عن الحق في المرء ، قوة جديدة : هي قوة البحث وراء التلذذ من سبيل الشر ، عندئذ تتغلب على المرء الناحية الشريرة من نفسه ، تلك الناحية التي وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها : النفس الأمارة بالسوء .

ولا شك أن عمل الضمير بعد حدوث الفعل : أيسر من عمله قبل حدوثه ، أو في أثناءه ، لأن الظروف والأحوال التي كانت تتخيل قبل حدوث الفعل ، والتي كان الضمير يبنى حكمه على تخيلها ، أصبحت الآن حقائق ملموسة ، إذ نحن نعلم الآن أن عملاً خاصاً قد تحقق . وإن يكن أمامنا باب ما يترتب عليه من النتائج مفتوحاً - على أن عمل الضمير في هذه الحالة ليس من السهولة بالمقدار الذي تتصور ، فإنه على الرغم من أن العمل قد وقع فعلاً ، وأن مسألة احتمال وقوعه وعدم وقوعه ليست متوضعة نظر ، ليس عمل الضمير هنا عمل المؤرخ الذي ينظر إلى حادثة تقدمت ليقول فيها كلمته تحييداً أو طعنًا .

إن حكم الضمير هنا متعلق بالحاضر ، ومصرف عنه إلى المستقبل . ويبان هذا : أن ذلك العمل الماضي (أو تلك العزيمة أو الإرادة التي نفذت) إن كان قد فاز بتأييد حكم الضمير له ، فإن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، بل يتجاوز به إلى تقوية الليل والاستعداد عند ذلك الشخص لاتباع مثل ذلك العمل الذي أقره الضمير ، ولسلك تلك الطريق التي حبذها ، وفي هذه الحالة تسود الطمأنينة نفس المرء ، ويتم الرضا قلبه ، وتلك هي الحالة التي وصفها اللولي جل وعلا ، بأنها : النفس مطمئنة الراضية للرضية ، وإن كان العمل الذي اتقضى قد جاء بسخط الضمير وقمته ، فإن الاستعداد لهذا النوع من الأعمال يضعف ، ويقوى على أقاضة طبعه . ميل إلى العمل في الاتجاه الذي يشاءه : وفي هذه الحالة يحصل تأنيب الضمير والندم والتوبة ، وتلك هي الحالة التي وصفها العلم الحكيم بأنها : النفس اللوامة .

الضمير والأرادة : وقبل أن نتكلم في الندم والتوبة نستكمل بحثنا في عمل الضمير بالقياس إلى الأعمال قبل الشروع فيها . ولقد تكلمنا فيما تقدم عن أعمال الإنسان وحكم الضمير عليها سواء أكانت تلك الأعمال قبل الشروع فيها ، أم في أثناء إيقادها ، أم بعد الفراغ منها ؛ ولكن أحكام الضمير ليست مقصورة على الأعمال ، بل هي تتناول حالات أخرى تسمى الأخلاق ، وإن لم نخرج إلى حيز الوجود ، تلك الحالات هي الارادات .

هيك كنت قد عقدت النية على أن تعطى لغيري عت إليك بصفة قيمة من لئال كانت ستصلك ربها لتجارة ، ولكن حدث ما من أجله كسدت تلك التجارة ، فلم تحصل على ثود ، ولم تستطع بناء على ذلك أن تمد يد المساعدة إلى ذلك المعوز ، كما كنت قد عزمتم ؛ أو هيك كنت تريد أن تقامر بتلك القيمة ، ولكن عدم حصولك عليها حال بينك وبين ما تشتهي من المقامرة ، فما عمل الضمير في هاتين الحالتين ؟ هنا يصدر الضمير حكمه على تينك الارادتين ولو لم تنفذا ، ولو لم يترتب عليها نتائج : يصدر حكمه بالارتياح إلى الأولى ، والثفرة والاشتمزاز من الثانية . وليس حكم الضمير في هذه الحالات عديم القيمة ، بل هو حكم له أثر عظيم في تكوين خلق المرء ، فانه حين يجهد النية الأولى - ولو لم تبرز إلى حيز الوجود - يبذر البذور لتحديد كل ما من شأنه مساعدة الفقراء ومد يد للمعونة إليهم ، وإنه حين يحتقر النية الثانية - ولو لم تظاهر في صورة فعلية كذلك - يفرس في النفس احتقار كل رغبة تدعو إلى المقامرة ، ومقت كل هوى يميل به إلى الميسر .

ومن ثم ندرك مرمى الحديث الشريف : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » .

الندم والتوبة : إذا عمل المرء عملا سم فكر فيه بعد أن عمله ، فشرع بالتم نسيان ذلك العمل أو لما ترتب عليه من نتائج ، فذلك الألم النفساني هو الندم أو تأنيب الضمير ، فان انتقل المرء خطوة بعد هذه ، بأن عمله ذلك التأنيب على إصلاح نفسه وتحاشي ذلك العمل وما شابهه في المستقبل ، فقد أخذت التوبة تدب في نفسه ، وبمكنا إذن أن نقول : إن الندم توبة لم يصحبها الأمل في إمكان الإصلاح ، ولم تحملها المقيدة بالقدرة على أن يكون سلوك المرء في المستقبل أفضل من سلوكه في الماضي .

على أن الندم أحيانا قد لا يجدي إجداء عمليا من حيث الأمر الذي وقع - والذي من أجله يتدم النادم ، فإذا يجدي ندم التنازل بالنسبة للمقتول ؛ فأنت ترى أن ليس هنا سبيل إلى إصلاح للماضي ، ولكن هذا لا يمنع الجاني من أن يندم ، وأن يكون ندمه عميقا عمقا يتكافأ مع فداخة الخطيئة التي أخطأها . نعم لا يستطيع القاتل أن يعيد إلى القتيل حياته ، ولا أن يعوضه هو عن تلك الحياة شيئا كائنا ما كان ، فهذا سبيل قد أوصد في وجهه بابه تمام الايصاء . إذ سبق السيف العذل ؛ ولكن هذه الاستمالة نفسها قد تكون من أكبر الدواعي لشدة الألم ، وعمق الندم ، فإذا انبثق في نفسه نور الهدى ، واشتعلت نار العزيمة عزيمة أن يغير من تلك النفس الشريرة ، وأن يمتزج بحق الحياة لغيره ، وألا يسلك مسلكا من شأنه أن يوقعه ثانية فيا وقع فيه أولا ، فهو تأنيب من غير شك ، على شرط ألا يعود ، أو بالأحرى : على شرط ألا يكون في نيته أن يعود ، وإلا كان هازلا مستهزئا . قال الله تعالى : « إنما التوبة على الله للذين يعملون

السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليا حكيما . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما .

والسر في ذلك التشرع الحكيم : هو أن التوبة الصادقة التي تذهب بالخطيئة يجب أن تكون قبل الموت ، حتى يكون هناك متسع من الزمن يظهر فيه التائب استعداده لتحويل مجرى حياته الخاطئة ، وبحول فيه ذلك الجري فدلا ، حتى يكون استعداده الأول قد استؤصل تماما ، فيكون غفران السيئة له عملا معقولا مبررا . أما هؤلاء الذين يتوانون في التوبة ، ويصلون السيئة بالسيئة حتى يأخذهم الموت وهم لا يشعرون ، فليس لهم من الرحمة نصيب ، إذ لم يعد أمامهم وقت متسع لتغيير ما بأنفسهم : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

والاعتراف بالذنب خطوة ضرورية للوصول إلى التوبة ، وإلا : فعم يتوب التائب إذا لم يعترف بأنه قد اقترف إثما ؟ ولعل ذلك هو السبب في أن توبة كثير من الناس لا تبلغ أوجها ، ولا تؤتي ثمارها ، لأنهم في الحقيقة يتلصقون في اعترافهم بأنفسهم ، وإن الاعتراف بغير توبة لأفضل من إعلان التوبة بغير اعتراف . يقول ابن المقفع : « الاعتراف يؤدي إلى التوبة ، والامرار وعاء الذنوب » والحكمة الانكليزية تقول : « الاعتراف نصف الموقعة » (١) ، يقصدون للموقعة النفسية التي تنشب بين المرء ونفسه في محاولة إصلاحها .

ولقد يحدث الندم والتوبة حتى مع عدم تحقق الجريمة فدلا . حب شخصاً كان قد اعترم أن يشهد شهادة الزور ليلقي بها متعها بريثا في أحماق السجون ، وهبه مرض يوم تأدية الشهادة فلم يستطع أن يؤديها ، ثم فكر في الأمر ، فأدرك خطورة الموقف ومقدار الأذى الذي كان سيزله بالإنسان برىء ، ومقدار النقمة التي كان سيزلها من الله تعالى بعمله هذا ، فحمد الله على ذلك المرض الذي عافه عن القيام بذلك العمل الذميمة ، وشكر ذلك الطرف الذي جعل شهادته غير ممكنة ، والذي نجاه من هوة سحيقة كان على وشك أن يرتطم فيها ؛ إذا انعطف بكل ذلك فأقام حول أفكاره سوراً منيعاً يمنع سعى الرغبات أن تقرب إليها ، وألجم شهراته فكبح جماحها ، وأصبح لا يرحب بفكرة لا يقرها ضميره — إذا فعل كل ذلك فقد تاب ذلك الشخص وأتاب . إذا فهمت ذلك اتضح لك أن عين التوبة تنطلق إلى المستقبل ، يدفعها الأسف على ماضى ، ويجذبها الأمل في إصلاح ما تبتى ، وأن عين الندم ترنو بحسرة إلى ذلك الماضى الذي لم يعد في قدرة البشر تغييره ، لهذا كان المخطيء — وهو في حالة ندم فقط ، في حالة موت شخصي ؛ أما وهو في حالة توبة حقيقية كالتي وصفناها فانه يكون في حالة حياة نفسية عظيمة .

محمد مهدي علام

في الاجتماع

المثل الأعلى للزوجية

بقلم الأستاذ مصطفى جاد أبو الملا
دبلوم دار المعلم

الزواج وعلاقته بالمجتمع :

الزواج : هو الوسيلة إلى تكوين العائلة ، ولما كانت العائلة هي نواة الحياة الاجتماعية ، فإن كل ما يحس شرائع الزواج وعاداته يمس أساس النظام الاجتماعي .

ولما كنا أيضاً نعيش في زمن قد تزعزعت فيه العادات والمقائيد إلى حد كبير ، ودخل الشك في جميع طرائق العيش والنظر والتفكير ، حتى صار كل شاب يشعر كأنه ينتكر طريقة جديدة في الحياة ويتساءل عن معنى السعادة وقيمة الحب ، فإن البحث في الزواج قد أصبح من الموضوعات التي تشغل بال الكثيرين ، بمن فيهم مصير الحضارة الراهنة .

ولم يكن من الغريب أن يشمل التنبه العام الذي يجعل الأمم والأفراد تفكر في جميع الأنظمة الاجتماعية « هذه العلاقة الزوجية » بل يشرع بعضها في تجارب جديدة بغية الوصول إلى أحسن الحالات التي تستقر فيها العائلة ، وهذه التجارب ، مع ما فيها من فوضى وتخبط ، هي دليل الحياة والرغبة في الإصلاح ؛ فالتفكير وابتكار الطرق الجديدة ، مع ما فيها من التعرض للخطأ ، خير من الاستسلام والاستئمان للعادات القديمة ، والعرف السائر .

وفوق ذلك فهو حالة دعت إليها طبيعة البشر ، فقرضتها الشرائع الإلهية ، وهو سنة الله في خلقه لدوام العمران ، بل فرض على كل إنسان ، لأنه مكمل لنقصه ، حافظ لكيانه ، صائن لكرامته وشرفه ، فهو إذن رباط ديني طبيعي مدني صحي ، وقد اتفقت الشرائع والأديان كافة على ضرورته لأقامة مراح العائلة ، وحفظ النوع البشري من الاقراض ، وصون الإنسان من الخبيثة والذنوب ، وإيجاد التألف والارتباط بين أفراد ذلك النوع ، وقد قال تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » ومعنى السكون في الآية الكريمة : الأناس بين ، والاعتماد عليهن في جلب المنافع ودفع المضار ، وتوثيق عاطفة المودة والرحمة ، حتى يكون من ثمرة ذلك كله ، النسل الذي عليه مدار الاجتماع الإنساني ، فهو

العامل الطبيعي الأول لتكوين « الأسرة » رأس العمران الذي لولاه لاختل نظام الكون ،
واقترض عقد نظامه .

و الأسرة : كلمة صغيرة للبنى ، إلا أنها كبيرة للمعنى عند علماء العمران ، إذ فيها تندمج معاني
المدنية والارتقاء والنظام ، والطبيعة البشرية باعثة للانسان على الزواج لما ثبت في نفسه من
الشعور بالحاجة إلى شريكة تقاسمه نعيم الحياة وبؤسها ، ومثل هذا الشعور في المرأة يدفعها إلى
التماس الرجل تتخذة عوناً وأزراً لها في الملمات ، وسنداً تطمئن إليه في مشاق الحياة ، ومن ثم
تتكون فكرة الارتباط بين الزوجين ، فيمتزج كلاهما بالآخر قلباً وقالباً ، وتتجلى فيها معنى
الانسانية الصحيحة ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : « يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » .

بالزواج يجد الزوج من زوجه خير رفيق في الحياة يشاطره السراء والضراء ، ويصون
نفسه وعرضه وماله وصحته ، ويخلد بأبنائه منها ذكراً في هذه الحياة ، وغير ذلك فهو عقد
شريف تتوثق به أركان الهيئة الاجتماعية ، وتقوم على أساسه الحضارة والعمران ، فالزواج
والحضارة تلازمان ، وكلما انتشرت روابط الزوجية تضاعفت العوامل الباعثة على الحضارة والارتقاء .
وقد فك الزواج عن النساء قيود الذل والاستعباد ، وأقنهن من يثبات السقوط ، فقسم
الناس (وكانوا جمعاً واحداً) إلى أمر يتميز بعضها عن بعض ، وأوجد أشكالاً منزلية :
وربى رجالاً في البلاد ، ومد أفقار الناس إلى المستقبل بما بثه فيهم من الميل إلى ذريتهم ، وزاد
عطف الأفراد بعضهم على بعض ، وهو يكسب الرجل الشهامة وكظام الغيظ والزناة وسرعة الخاطر
وقوة الذهن وحدة الذهن والحزم والعزم والافدام والاعتماد على النفس في الحياة ، كما يبعث في
المرأة الهمة والنشاط والنيرة والعفة وحسن المداشرة .

لولا الزواج لما كنا ولا كانت هذى البلاد ولا شيدت مبانها

إن الزواج يصون النفس ويصممها عما يحيط بملهاها ويزريها

وقد قال أبقراط : « الزواج مصدر آداب المجتمع الانساني » وقد قال تالر « الزواج قوام
العالم ، وهو الذي يبنى المدن ويملا البيوت والمباني » وقال مونتيني « في الزواج الفائدة والعدل
والشرف والنبات وهو شركة جليلة المنافع لقيامها على العهود المتبادلة » :
الخطبة .

إذا كان الزواج من الخطورة في الحياة بمكان ، فلا بد أن يدنى باختيار الحجب الأول للأساس
حتى تكون حياتنا مشيدة على صرح محدد ، وهو ككتاب ومقدمته الخطبة .
وقبل أن تسلك في الخطبة تأتي بلحمة من عاداتنا المتبعة فيها .
أول تلك العادات التي طالما أفسدت علينا أمر مستقبلنا ، هو أن نذهب أم الزوج أو أخته أو الخاطبة

المأجورة إلى بيت « العروس » ، ومن المعلوم أن الأم أو الأخت مثلاً لا يهبط إلا أن الزوجة تحسن الطهي مثلاً، أو شعرها جميل، أو عيونها دعجا، أو جسمها خصب، وهكذا، ولا تنظر إلى ما وراء ذلك مما عليه دعامة الأسرة من الأخلاق الفاضلة، والتربية الحقة، والآداب الكاملة، وفوق ذلك لا يمكنها أن تحكم على وفق ميول الزوجين حتى ينتهي هذا الزواج بالسعادة، كذلك الخطابة للمأجورة لا يهبط إلا ما تتقاضاه من الأجر، فتذهب إلى منزل « العروس » ترغبها وآلها في الزوج مهما كان منظره أو كانت طباعه أو أخلاقه، حتى تكسب رضاهم جميعاً على هذا الزوج ، ثم تعود وتحمل للزوج من الألفاظ الطيبة والقول المازخرف ، ما يجعل الزوج يقدم على هذا الزواج الذي ربما يكون نواة شقائه، وسبب تلعاسته ، وانهاياره مستقبله ، وهو الغالب ، وقد قيل « ما كل راء خاطباً ، وما كل خاطب جادا في خطبته » ، فإغرب القاعدة التي نسير عليها في مسألة الزواج في وقتنا الحاضر اما أغربها لأننا مع استباحنا الغش واستنكارنا له نجعله أس صرح الزواج ، وكثيرون عندنا ذهبوا ضحية هذا الغش ، ففسى عليهم قضاء لا يفرق بينى عن القتل، والنشاشون الجناة لا يثالبون بحجة ولا يؤاخذون بذنب .

فطريقتنا هذه في الزواج بحجة بحقوق الزوجين ، وهل عادة أقبح من أن يساوم فرد آخر على حرية شخص، على أن تنتهي هذه المساومة باجتماع شخصين معا في مسكن واحد قبل أن يرى أحدهما الآخر ، أو يعرف شيئا عن أخلاقه وعاداته ؟!

لقد أباح الشرع الشريف لنا أن نخطب الرجل زوجته ويصير مخطوبته، والنظر رسول القلب، والاستحسان علة الحب، والحب علة ذلك الكون الذي هو ركن السعادة وسر حقيقة الزوجية ، وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم المنيرة بن شعبة حين خطب امرأة « أفطرت إليها؟ » أجاب: لا . فقال عليه السلام « انظر إليها فانه أخرى أن يؤدم بينكما » أى أن النظر خليق بأن يصلح بينكما أيؤدم بينكما الوفاق : فإذا لم ترق المخطوبة في عين خطيبها بعد رؤيتها ، وامتنع عن الاقتران بها فإذا يكون الحال ؟ الجواب : يجب ألا تنهر الخطبة قبل الزواج .

كيف يخطب الرجل قرينته ؟

لهذه المناسبة يستحسن أن أقول: إن الشريرة السدء لم تبج معاشره الرجل خطيبته للوقوف على طباعها وأخلاقها وعاداتها كما يفعل الغريبون قبل العقد الشرعى ، وذلك خشية الفتنة ، ومع هذا، فالمعاشره قبل الزواج لا تكشف اللثام عن حقيقة الأخلاق والطباع، لأن الفتاة إذا كانت بمرأى ومسمع من خطيبها: تتكاف الظهور أمامه بالمظاهر الذى تتوقع أنه يرضيه، كما يحاول هو أيضاً التجميل بالصناعات الحميدة ليروق في نظرها ، فإذا ماتم الزواج ارتفع الستار عن الأخلاق الحقيقية، وانكشف الللاء الذهبى عن خبث الحديد، وهنا يقعان في شرك البؤس والشقاء : فالشريرة حقاً قضت بما فيه مصلحة الفريقتين؛ ولكنى لا أزال أعتقد بأن السماح برؤية المخطوبة

لا ينبغي كثيراً؛ لأن الرؤية نظراً خادعاً في بعض الأحيان، كما أن استحسان الصور في تخيير الأزواج لا يكفي، وخصوصاً أن الزواج في العادة يعقد في سن الشباب، وهي السن التي تتأجج فيها العواطف والشهوات. والشاب كثيراً ما يعتقد أن السعادة لا تكون إلا بالحب، وهو بالذنب قد يحب لنظرة، وهذا اعتقاد صالح، فإن الحب جوهر لا يتخلو منه قلب بشر، لأنه كونه بوساطته، وهو من أشرف العواطف التي تهذب بها النفس، ومن أكبر المؤثرات على قلب الحب وأخلاقه وميوله، حتى أن هذا السر العجيب الذي يدعونه «حبا» قد يجعل الشرس وديماً، والقاسي حسوياً شفيقاً، والمتسلب ملائماً، والمخارب مسالماً، وهو جوهر يمتاز به الإنسان عن كل مخلوق في الوجود إن لم يدنس ويلتق في الأقدار.

والفضل لمن يبتعد عن حبه غيوم الفساد، وجعله يظهر للعموم بنوره للتألي، والواقع أن السعادة لا تكون في شيء من الأشياء: في الزواج، أو العمل، أو المعيشة، أو غيرها حتى تشعر فيها بالرق المتواصل، وترقى منها إلى هذا الرقي، فادمننا في ارتقاء فنحن في تطور هائئين بهذا التطور الذي هو لباب النفس الانسانية.

ولذلك فإن الحب يثبت ويبقى إذا كان مقروناً إلى التبعات التي يتطلبها الرقي، فهذه التبعات تغذوه وتبنيه وتسامى به، وهذه التبعات هي التي تلجئني إلى استراحة الشريعة السمحة بالمعاشرة قبل العقد الشرعي، وإلى جانب هذه التبعات عدم علم الخطوبة بأن هذا الشاب يريد الاقتران بها، وبذلك يتمكن من عجم عود أخلاقها، ودرس آدابها، وتربيتها، وعاداتها، فلا تتكافى خلاف طبيعتها التي فطرت عليها، وما دام الشاب متيقظاً إلى هذه التبعات، ويقدّر مستقبله، لا يمكن أن تتطلع نفسه إلى ما دون ذلك من خيانة، حتى يعبث بعفاف النشاة كما يظنه البعض بسبب الاختلاط قبل العقد الشرعي، وعلى ذلك لا أغشى الفتنة التي يحذرنا الذرع منها من يريد الزواج حقاً.

وإن تكلمت الآن لا أتكلّم إلا عن شخص ظاهر النفس، كريم الخلد يريد مستقبلاً زاهراً لا تشوبه شائبة أو راسه غبار.

ونستدل على مسئولية التبعات وأهميتها بمقارنة هاتين الدولتين:

الزواج الفرنسي، مع أنه لا يقوم على الحب بل ينطوي في الأكثر على اعتبارات مالية، يعيش ويدوم أكثر من الزواج الروسي القائم على الحب، أو ما يعتقد الشاب الروسي أنه حب، وذلك لأن المزوجين في فرنسا يريان من زواجهما إلى تأسيس أسرة يشتركان في تقويمها ودعمها بالمال، فإذا لم يكن بينهما حب فهذا الاشتراك في التصدق والوسيلة يربطهما مدى الحياة، ولست بذلك أقص قيمة الحب، بل أعني أن الشاب كثيراً ما يخطئ معناه وينظر إليه باعتباره جوعاً جنسياً، وهو بهذا الاعتبار سريع الفناء لا يثبت عليه بناء الأسرة، أما إذا نظر إليه كوسيلة للرقي، لها تبعاتها، فإنه بلا شك يكون من أوكد الوسائل لتحقيق السعادة.

ويجانب ما تقدم لا نفي أن استشارة البنت حق من حقوقها قبل زواجها، ولكن الكثيرين يزوجون بناتهم من يشاءون، مخدوعين بالأحوال الظاهرة والدراهم الوفيرة، غير مراعين القسبة بين الزوجين، فيقذفون بيناتهم في هذه التعاسة والشقاء، ويسددون في وجوههن أبواب الرحمة والهناء، ويميتون في قلوبهن روح العمل، بل وما أنبت فيها من العواطف بالتربية القويعة، فتصبح الفتاة المسكينة كحبة زرعت في أرض مجربة، أو في غير أوانها، فلا نبات ينبت، ولا ثمرة تخرج، وسرعان ما ترى الخلاف حل محل الائتلاف.

الزواج أمر خطير الشأن، كما قيل «الزواج حياة أو موت»، وليس هنالك بين «بنت» و«ابن» إلا ما كان فيه قبل الاقدام عليه، والزواج الذي يبنى على غايات وما كُرب، ولا ينظر فيه إلى الائتلاف قلب الزوجين هو زواج فاسد، وغير ذلك فإن الزواج القهري الذي تذهب إليه الفتاة أو التي انصياها لأمر الآباء أو أحد الآل ليس بزواج، بل هو علة ومرض يتقوض بناؤه بزوال ذلك الغرض، بل هو المصيبة الدهماء في الدنيا والآخر.

إن للآباء حقاً على البنين، ولكن لذلك الحق روابط وحدوداً، حقاً إن للأبوين سلطة تفويضها لتسيير أبنائهم في الطريق التي يستحسنونها، ولكن من الشروط اللازمة أن يكون لها خبرة ودراية وحكمة يعرفان بها كيفية التأثير على ميول الأبناء وعواطفهم، ويجب أن يخضع الأبناء لتلك السلطة طالما والوالدان يقدمان الزواج على العاطفة، وطالما يحكمان عن ضمير حي، ووجدان سليم، نرى الشاب يبحث عن فتاة توافقه ليكملها رفيقة حياته فيجدها، لكنه لا يأمن قبول والدته لها مثلاً، لأن تلك الوالدة تكون قد عرفت فتاة بشت لها وتوددت إليها، مظهرة لها خضوعاً وافتقاراً، وما أكثر اغترار أمهات الشبان بزلاقات البنات الطامعات في رضاهن، ولا يلبث الولد أن يدلن لوالدته رغبته في الزواج ممن اختارها لنفسه رفيقة، حتى تهب لتبيان تقائس تلك التي اختارها، حتى ولو لم يكن فيها قيصرة، وعبثاً يحاول إقناع والدته وحملها على الرجوع عن حكمها، فيجب على ذوي الأمور أن يمنحوا أبنائهم حرية الاستشارة حتى يتم بين الزوجين الوفاق، كأنه يجب على البنت أن تكون صريحة وإلا ساء المآل.

إن أرغموك على زواج فاسد ذرهم فصنعو المرغمين شقاء

ولتذكرن العلم إثر عناقها ولتنبذن المال فهو هواه

مصطفى جاد أبو الملا

واجبات المربي

للاستاذ حامد عبد القادر

أستاذ التربية وعلم النفس بكلية أصول الدين

لست الآن بصدد الوعظ والارشاد، أو الاصلاح الديني أو الاجتماعي؛ فلهذا رجال اختصوا بهاء؛ ولكنني أقف موقف المربي، فعلى أن أبين ما يجب على المربي عمله كي يقوم بالأمر الذي ألقى على عاتقه خير قيام.

ولست أقصد بالمربي المدرس في المدرسة فقط، بل أريد به كل شخص مسؤول عهد إليه بتربية النفس، وعلى الأخص الوالدين.

وأهم ما يجب على المربين مراعاته بالنسبة لقوانين الوراثة :-

أولاً : أن يتمهزوا كل فرصة ممكنة لتعليم النفس هذه القوانين - فن الواجب على الآباء أن يعلموا أبناءهم قواعد الوراثة بالطرق التي يرونها ملائمة لهم حينما يبلغون السن الكافية، وعلى الأمهات أن يعلمن بناتهن هذه القواعد في الأوقات المناسبة، وبالطرق المنتجة .

ولما كانت عقول كثير من رجالنا ونسائنا لم تنضج بعد، أو لم تساعد التربية الماضية على تعرف تلك القوانين، صار من الواجب على المعلمين والمعلمات أن يأخذوا على عاتقهم القيام بهذه المهمة .

وليس النرض من ذلك أن نضيف العلم بوظائف أعضاء التناسل وبأمراضها وقوانين الوراثة إلى منهج الدراسة العام بالمواد؛ ولكننا نريد أن يبدأ بالكلام في هذه الموضوعات عند الفرس المناسبة، وبالطرق الملائمة، كما سبق، وهذا عمل يمكن للتدريين المخلصين القيام به.

فعلى عميد الأسرة في البيت، ومؤدبي التلامذة في المدرسة، أن يلقوا على رجال المستقبل وأمهاته من المعلومات التناسلية ما يساعد على تنظيم شؤونهم الزوجية، ويهديهم إلى تحسين النوع الانساني في المستقبل .

لندع الحياء جانباً، فهذا أمر من الأمور الحيوية التي يضر فيها الحياء، ولا ينشأ عنه إلا مشاكل اجتماعية وأخطاء قد لا يمكن ملاحظتها، ولتأخذ أبناءنا بهذه التعاليم الحيوية، ولتؤدب بناتنا على الأخص هذا الأدب، ولتعلمهن الحقيقة التي لامراء فيها، والتي يمكن تصديقها بفطرتهن، تلك

هي ألا سعادة في الحياة تضارع سعادة المرأة التي ترى أبناءها وبناتها متمتعين بالسعادة ،
عائشين عيشة قوامها الصحة الكاملة، وأساسها الأخلاق القويمة، ومن أهم الوسائل الموصلة إلى
هذه السعادة: العلم بالشؤون الزوجية الوراثية .

هذا ما يجب بالنسبة للنساء، أما ما يجب بالنسبة للرجال البالغين المواجهين منهم وغير
المزوجين، فهو:

أولاً: إنبارة عقولهم وتزويدهم بالمعلومات الضرورية في هذه المسائل - التي نحن بصدددها -
بالطرق المختلفة المناسبة لهم: كإلقاء المحاضرات الخاصة، ونشر الكتب النافعة، وإنشاء مراكز
طبية للاستشارة.

ثانياً: أن يبذلوا قصارى جهدهم في تشجيع الصفات الوراثية القوية للوصول بقوتها إلى
أقصى حد ممكن .

كلنا يعرف أننا متفاوتون في الملكات: فثنا من عنده استعداد فني، وثنا من له ميل طبي
نحو العلم، وثنا من ترقح سسه إلى العمليات، وثنا من يحب البحث في النظريات؛ فن غير المعقول،
بل من العبث، أن نرغم من عنده ميل فطري واستعداد ذاتي لتعلم العلوم على أن يحول بحري
حياته فيوجد في نفسه ميلاً للفنون؛ كذلك لا ينبغي لنا أن نرغم الفنان على أن يكون عالماً، بل
الواجب أن نشجع كلا على السير في طريقه، والوصول إلى الغاية التي أرادتها له طبيعته، فربما
يصبح من المهرة البارعين؛ والأشخاص البارزين في عالمه الخاص؛ وإننا إن أردناه على غير ذلك؛
فربما يكون نصيبه الفشل وخيبة الأمل، ويكون نصيب المجتمع، الحرمان من الانتفاع بمواهبه
في الطريق التي عنده استعداد فطري لسلوكها .

وإذا علمنا أن إمكان تربية الملكات كلها، في شخص واحد بنسبة واحدة، من المسائل الخلافية
التي لم يتفق عليها علماء التربية؛ تبين لنا أنه ربما يكون من العبث أن نحاول أن نجعل الناشئ
من أبنائنا ماهراً في كل شيء بنسبة واحدة؛ فإن في ذلك قضاء على ملكته الخاصة؛ وحجراً على
مميزاته الفردية، ومكونات شخصيته التي تجعله شخصاً ممتازاً عن غيره من الأشخاص في ناحية ما.
ولا معنى بذلك أن نهمل فقط الضعف الوراثية في الناشئ، ولكن الغرض أن تكون عنايتنا
موجهة - على الأخص - نحو النقط القوية، وإن كنا في الوقت نفسه نلبي بالنقط الضعيفة فتقويتها
بدون مغالاة ولا إكراه، بالترغيب تارة، وبالترهيب أخرى، على حسب ما تسمح به الظروف
ثالثاً: ألا يتسرعوا في الحكم، فلا ينبغي لهم أن يحكموا على من تظهر عليه علامات النجابة.
بأنه مبرأ من صفات النقص، وعلى من ترى عليه أمارات النقص أنه خال من صفات حسنة، بل
الواجب أن يعرفوا أنه لا يخلو العنصر الرشيد من عيب كان في نفسه، مهما خفى عنا، وأن العناصر
السيئة لا تعتمد صفات حسنة، وإن عزبت عن ملاحظتنا .

أما صفات النقص المفروض وجودها في العناصر الجيدة، فلا داعي للبحث عنها إذا لم تظهر؛

وأما الصفات الحسنة التي لا تخلو منها العناصر السيئة، فلا بد من البحث عنها بكل الوسائل الممكنة، فإذا ظهر على ابنك أو على تلميذك الغباوة العامة، فلا تيأس من أن تجده ذكياً ماهراً في ناحية ما؛ وإذا تراءى لك أن تلميذك ضعيف في جميع المواد الدراسية، فاعز ذلك لسبب أو أسباب، فابحث عن جميع الأسباب التي تظنها مسؤولة عن هذا الضعف، فإذا عثرت على السبب الذي يعزى إليه ذلك الضعف، فاجتهد في إزالته، وأنا أؤكد لك أن هذا الذي تراه معيماً اليوم يصبح في الغد ذكياً ولو بعد بض الذكاء.

وإننا نعلم أن كثيراً من الأغبياء في الظاهر، ذكياً في أنفسهم، وإنما تنقصهم الثقة بالنفس، أو الراحة العقلية، أو يعوزهم بعض التشجيع؛ وقد يرجع السبب في غباوتهم إلى البيئة التي يتلقون فيها الدروس، أو البيئة التي يسكنونها، أو إلى ضعف في الصحة، أو عدم ملاءمة المواد التي يدرسونها لاستعدادهم الفكري، فاعز في إزالة ما تراه من هذه الموانع بقدر ما يمكنك، وأورد تلاميذك على جميع المناهل؛ فربما يستعدون النهل من أحدها.

وبالحيلة حاول أن توقظ ماعساه أن يكون نائماً من ملكات تلميذك، وكما أن إيقاظ النائم يحتاج إلى شيء من الحكمة والرفق والملاطفة واللين، ومعرفة ما يعيل إليه النائم وما لا يعيل إليه، وما يتأثر به وما لا يتأثر؛ فكذلك يحتاج المربي الذي عليه أن يوقظ النائم من استعدادات تلميذه إلى شيء كثير من الحزم والرفق، كي لا تشابه عليه الأمور فيفضل سواء السبيل.

رابعاً: أن يدرسوا من يربون دراسة تامة؛ فكما أن من يريد إدارة آلة من الآلات كما يجب، ينبغي له أن يعرف أجزائها ومحيط محتوياتها علماً، كذلك يجب على من يريد إدارة الآلة الانسانية الكثيرة الأجزاء المتعددة الأجهزة أن يعرفها حق المعرفة، فالمربي الجيد لا بد أن يكون على علم تام بمن يربي، وذلك لا يكون إلا بدراسته ودراسة طبائعه وميوله؛ فهو كالطبيب الذي يفحص المريض أولاً، ويشخص الداء ثم يصف الدواء؛ وليس الطفل - كما يقول البعض - كالصحيفة البيضاء التي تكتب عليها ما تريد، ولا كالخجر الأملس الذي تنقش عليه ما تود، ولا كالصلصال المرن الذي يمكنك أن تجعل منه أي شكل يترأى لك وتصوره كيفما تشاء؛ ولكنه جسم حي، وكائن معقد التركيب يأتي إلى المدرسة، بل يأتي إلى هذا الوجود وقد زودته الوراثة بكثير من الميول والفرائز والمواهب، وليس هناك من شخصين متساويين تمام المساواة في هذه الأمور حتى ولا التوءمان.

فعلى المربي الكامل: أن يدرس كل هذه ويعرفها معرفة تامة، ثم يعامل كل شخص على حسب طبيعته، ولا يكون كالنذاري الذي يصور الطين بصورة واحدة لوضعه في قالب واحد، وليس للتربية أن تجمع الذرة الذين يفتنون إلى أصول مختلفة وبيوتات تكاد تكون متباينة في الأمور الوراثية في صعيد واحد، وتنتظر منهم أن يتلقوا ما يلقي عليهم بنسبة واحدة، وإنما مثل

المربي، كمثل ضارب النقود الذي يفرق بين الذهب والفضة، وبين المبدن والنحاس، فيصنع من كل، النقد الذي يلائمه، فلا يصنع من الذهب ديلات، ولا من الفضة جنيهات ذهبية: فانه لو فعل ذلك لحسبه الناس بخوناً، ولما عهدوا إليه بمثل هذا العمل الذي لا يحسنه .

فعلى المربي إذن: ألا يعامل كل من عهد إليه بتربيتهم معاملة واحدة، وألا يطبق عليهم كلهم قانوناً واحداً جافاً، لأحياة فيه ولا مرونة، وعليه أن يشخص الداء ثم يصف الدواء، فليشكل داء دواء. بيد أن مرض النفس قد يستعصى على طبيب النفوس، وهو المربي، فيصبح المترى مشكلة من المشاكل، أو لنزأ من الألفاظ التي يصعب حلها؛ ومع ذلك لا يصح للمربي حتى في هذه الحالة أن يقف خائر العزيمة يقلب كفيه على ما أتفق من الوقت بدون جدوى، بل عليه أن ينتقل خطوة أخرى، تلك هي دراسة الأسرة التي نشأ منها المترى، وعلى الأخص أبويه، فإن أحوال الوالدين وصفاتها الوراثية قد تثير الطريق أمام المربي فيمكنه أن يكشف ماغم عليه من أحوال المترى، فما الولد إلا صورة مصغرة من آباءه بحكم الوراثة .

ولذا قد يضطر المربي لدراسة الطائفة أو الشعب أو الجنس الذي ينتمى إليه الفرد في البلاد التي تخرج فيها الشعوب بعضها ببعض، ويحصل فيما بينها التضاهي: فإذا عرف المربي ميول تلميذه معرفة جيدة، وكان على بينة من سمات الأسرة والبيئة اللتين نشأ فيهما، وعلم تمام العلم خصائص الجنس الذي ينتمى إليه، فانه يكون من السهل عليه أن يبدأ عمله ويؤسسه على أساس متين لا يتطرق إليه الوهن .

ومن ذلك كله يتبين لك تفوق الطريقة الاتقراطية في التربية على الطريقة الجمعية: إذ بانواع الأولى يتسنى للمربي أن يدرس طبائع تلاميذه الذين يكون عددهم بالطبع محدوداً، ويمكن أن يعامل كلًا بما يراه مناسباً لطبيعته وميوله .

أما في الطريقة الجمعية: فإن ذلك يصبح متعذراً، لكثرة عدد التلاميذ وتفاوتهم في الاستعدادات، وصعوبة دراسة أحوالهم كلهم، وقلة الفائدة من اتباع طريقة واحدة في تربيتهم: ولذا يقترح بعض المربين على من يدرس لمجموعة من التلاميذ، أن يلقي الدرس بطرق مختلفة، ويسلك فيه مسالك متعددة، فمن لا يستفيد من طريقة يستفيد من أخرى، ومن لا يفهم تعبيراً قد يفهم تعبيراً آخر: وفي ذلك من الصعوبة ومن ضياع الوقت على بعض التلاميذ ما فيه .

خامساً: أن يعنوا بشؤون البيت عناية خاصة .

إننا أثناء بحثنا لم نرد بذكر التلميذ قصر العناية على الذكور: ولكن أردنا بذلك مايشمل التلميذة أيضاً، بل إننا نذهب أبعد من ذلك فنقول: إن من أوجب الواجبات أن نلنى بشأن البيت عناية خاصة - لا سيما في بلادنا المصرية، فانها بالإضافة إلى كونها أحد الأصولين اللذين تنتقل نصف صفاتها الخلقية والخلقية إلى الطفل بالوراثة - تعتبر الشخصية المسؤولة مباشرة عن الجنين، وعن حياة الطفل الأولى .

ولما لها من الميزة الكبرى والمكانة العليا في عالم التربية، كان لها من الحقوق في التربية أكثر مما لأخيها، فأنها لن تكون أما كاملة قادرة على تنشئة أولادها تنشئة كاملة إلا إذا أعدت لذلك العمل إعداداً تاماً .

وهذا الاعداد يطلب أمرين: أحدهما هو صحتها الجسمية والعقلية كما سبق، وثانيهما تزويدها بالمعلومات الكافية اللازمة للمحافظة على صحة الطفل والقيام بشؤونه حق القيام، لا بعد الميلاد فقط، ولكن قبل الولادة أيضاً .

ويؤخذ من ذلك أننا لانذهب في تربية البنت مذهب من يسوونها بالولد من جميع الوجوه تقريباً؛ بل إننا نقول إنه من الواجب أن نسلك بالبنت والولد مسلكاً طبيعياً، ونسير بهما سيراً ملائماً لتكوينهما الفطري .

فإنه تعالى خلق الرجل ليكون رجلاً، والمرأة لتكون امرأة، وأراد أن يكون عمل كل منهما في الحياة مثلاً لعمل الآخر لا مساوياً له؛ وإذا أردنا المرأة على أن تخرج عن دائرتها التي حددتها لها فطرتها، فإن أحد أمرين واقع لا محالة: فإما أن ينقلب نظام المجتمع انقلاباً ليس من مصلحة النوع الانساني ولا من سعادته في شيء، وإما أن تنقلب طبيعة المرأة عليها فتزجج إلى رشدتها. وإن تنازلي الأمرين واقعين في البلاد المتعدنية، حيث أخذت المرأة تمسك على حقوق الرجل وتزاحمه في معارك الحياة، وتركها الخاصة بها .

وهذه للناسبة يقول مرب أمريكي كبير: « إني مع عدم تعرضي لبحث تلك للمشكلة التي قتلها الناس بحثاً في كل زمان ومكان، ألا وهي مشكلة منزلة المرأة في المجتمع، لا أرى مانعاً من التصريح برأبي في هذه المسألة بكل بساطة فأقول :

« إن المرأة يجب أن تربي تربية تكفل سعادتها وتضمن سعادة زوجها في آن واحد، فيجب أن تمد نفسها للقيام بمهمة خاصة، لا للقيام بمهام عامة، فتعدها لها البيت والدراسة لا المنبر الوعظ، ولا لمنصة القضاء، ومن الواجب أن تكون تربيتها على نسق تربية أخيها؛ لكن في النظام والطرق على العموم، لا في اللذائج والطرق الخاصة، حيث يجب مراعاة طبيعة المرأة الخاصة ووظيفتها في الحياة القاهرة عليها »

« ومن أهم ما يجب عليها معرفته أمران هما: التدبير المنزلي، وواجبات الأمومة، وهذا ماأظنه جازياً على فطرة المرأة، وهذه هي المبادئ التي سيكون لها الفوز والنصر المؤزر، عاجلاً أو آجلاً، وحينما يعلن انتصارها النهائي، وتحتل المرأة مركزها الجدير بها في المجتمع، وفي المدرسة وفي البيت، تصبح إذئذ الركن الركين، والعماد الوحيد الذي يعتمد عليه في تحسين أحوال النوع، والانتفاع بقوانين الوراثة إلى أقصى حد ممكن »

« وسنعمل للمرأة حينئذ أن هذه هي وظيفتها الحيوية في المجتمع، وهي الوظيفة التي توقفت

عليها سعادتها الكاملة : مهما تظاهرت بأنها ترى سعادتها في غيرها من الوظائف، ومهما ادعت أنها قانعة بحياتها حين تقوم بأعمال هي إلى أعمال الرجل أقرب وإليه أنسب .

هذه حقائق لا يكاد يشك في صحتها من له إلمام بأحوال المجتمعات التي تمنح فيها الحرية للمرأة بلا قيد ولا شرط، فتجد من هذه الحرية زريعة إلى الاستقلال الاقتصادي والاستغناء عن الزوج، فيترتب على ذلك : انهيار نظام الأسرة من أساسه، وقلة النسل، وكثرة العمال العاطلين من الرجال؛ وفي آخر الأمر نرى طبيعة المرأة تتغلب عليها فتهم على وجهها، وترجع إلى رشدتها؛ ولكن بعد أن يفوت الوقت المناسب، فتضطر إلى إرضاء طبيعتها بطرق غير مشروعة .

وما أشد حاجتنا إلى الانتفاع بمثل هذه النصائح التي يلقيها علينا علماء التربية في البلاد الأوربية وغيرها من الممالك المتقدمة، فانهم لم يصلوا إلى هذه النتائج إلا بعد التجارب والبحث الفنيني؛ وإذا كانت هذه التجربة (أي تجربة تربية البنات) على نسق تربية الولد لم تفلح تماماً في البلاد الأجنبية التي ضربت في الحضارة بسهم، فبالإمكان أن تتسلك بأذيال ذلك النظام الذي لم يرض به واضعوه، ولم يطمئن إليه أصحابه؛ وما لنا نترك تقاليدنا الاجتماعية، وتجاهل طبيعة بلادنا وبمزات شعبنا، ونحاول أن نقلد أقواماً لا يمتنون إلينا بصلة، ولا تجمعنا بهم رابطة ؟ ولماذا نفض الطرف عن المسائل الأساسية، ونعلق أهمية كبرى على الأمور السكالية التي لا يصح أن تفكر فيها إلا بعد توفيق البنات، وتحسين أحوال المعيشة المنزلية التي وصلت في بلادنا إلى حالة لا يصح السكوت عليها؛ إننا لا نريد من بناتنا أن يكن : مهندسات، ولا قاضيات، ولا محاميات، ولا عالمات بالكيمياء، والطبيعة، والتاريخ، والجغرافيا، حتى ولا موظفات في مصالح الحكومة، فليدنا من الرجال من هم أكثر عدداً من هذه الوظائف كثرة فاحشة .

ولكننا نريد منهن أن يكن ربات بيوت وأمهات بمعنى الكلمة، والبنات، لكي تعدن أنفسهن لأن تكون ربة بيت وأماً كاملة، يحب عليها أن تتعلم أشياء عدة قد تقضى في تعلمها سني شبابها، بل وحياتها كلها إذا أرادت، فلا تجد وقتاً كافياً لتلك الأمور السكالية الزائدة عن الحاجة . أليس من الواجب أن يتعلم بناتنا : تدبير الصحة، وعلم وظائف الأعضاء، وعلوم النفس، والتربية، وتدبير المنزل، واللوسيقى، بدلا من أن يتوغلن في تعلم التاريخ والجغرافيا والكيمياء والطبيعة ؟ وهل من الحزم أن نرسل بناتنا إلى الخارج ليتخصصن في التاريخ أو الجغرافيا أو الكيمياء أو الطبيعة، ونحن أحوج ما نكون إلى مربيات قديرات ملهمات بشؤون التربية من جميع أطرافها؛ إنني لأريد أن يغلق الباب في وجه الطالبات منهن، فأحرم عليهن التخصص في مادة قد يكون لدى بعضهن استعداد كبير لها؛ ولكنني أرى أن المجتمع للصيرى أحوج في الوقت الحاضر إلى مهات متملمات منه إلى رياضيات أو مؤرخات؛ ولا أنكر أن الأمة الراقية لا بد أن يكون فيها النابغون والنايفات في جميع العلوم والفنون؛ ولكنني في الوقت نفسه مقتنع بأنه من العبث بل من الحق أن نعني بالسكاليات قبل أن نعني بالضروريات .

نظريات في

نشأة التطور الاخلاقي

للربية الفضلى : السيدة نائلة الحكيم

تحدثت الكاتبة الفاضلة في العدد السابق عن أن الاخلاق لا تنم الا في العمل، ودعمت رأيها بجياش طلبة مستعدة من علم الحياة، فتحدثت عن نشأة الكائن نباتا كان أم حيوانا، ديتشا كان أم رافيا، وأثبتت أن هذه النشأة انهي الا حرب مع البيئة لا نجيا فيها الا الاصليح والاقوي، ولكن المدنية الفاسدة سطت على ميدان الفطرة والطبيعة، فامتطى الجيد من ليس اهلا له، وارتقى المناصب غير ذوي الخبرة والقدرة، وفي هذا المقال تتمة هذا البحث المنع في العدد

ما الذي حمل رجلا كجون استيوارد مل J.S.Mill على طول المناقاة بأهمية الفرد في حد ذاته، وفي نفس الوقت كان يحمل حملة شعواء على أصناف الحكومات؛ حتى الذي يوقر املى منها ؟ لأنه كان يحجل قيمة النظام ؟ أم لأنه كان يظن أنه من الممكن أن تسير دفة الأمور في أية بلد بدون حكومة ؟

كلا ! إنه أولا رأى أن وجود الحكومات ضرر لا بد منه؛ ولكنه رأى أيضا أهمية الفرد ومقدار ما تجنيه الأمم من الأفراد، إذا ما أعملوا الفكر ووجدوا الجور المناسب للعمل الذي ينمي مواهبهم، ويشجع ابتكارهم؛ ولم يقع (مل) في خطأ (هيجل) الألماني الذي أنكر حياة الفرد إلا في ظل الحكومات والدول.

فكان (مل) ينقم من الحكومات لجرد اعتقاده بأن للحكومات نفلا تدعو إلى توحيد الأعمال وسيرها على نمط واحد؛ بما قد يقيد تمكيد الفرد ويحصره في نواحي معينة، كما يتمشى مع روح النظام الحكومي، فكيف بك يا (مل) الآن إذا كنت معنا، وعلت أن الحكومات في الوقت الحاضر - حتى في أرق البلدان - سائرة إلى خطأ أكبر، إذ هي في الواقع تشجع الفرد على الكسل وعدم إعمال فكره، فتحمله بذلك على أن يصبح حالة على الأمة، يتنص من دمه ولا يعضها شيئا في نظيره ؟

إذا فكرنا في أحوال المحسوبة وغيرها، بما أثقل كاهل ماليات الأمم؛ بالرغم من أنها تن تحت أعباء أزمات مالية، وصناعية، وعلمية، وفكرنا في حظوظ الأفراد من معونة أمتهم - وسبحان من قسم الحظوظ - نجد هذا يتغنى (كازنبر) في خلية النحل، وذلك يبيكي انهيارا، وذلك يفتك فيه الفقر، والمرضى والجهل، وذلك ينهش في أموال الأمة وليس له من وظيفة إلا مشاركته لنفيره في الهواء الذي يستنشقه.

كنت أتسكلم إلى رجل ألماني في شأن الأزمة الاقتصادية في العالم، نتحدثنا في أمور عدة حتى وصل بنا الحديث إلى نقطة قرر عندها هذا الرجل: أن متاعب الأفراد ناشئة من أن العدد الأكبر من المصالح الحكومية يديرها فئة الكتاب، وهؤلاء مع أنهم يستحقون الشكر إلا أن إدارتهم لا بد أن تكون ناقصة بحكم قصص معلوماتهم، أما الرؤساء فلكونهم يصلون أعلى مناصبهم بدون استحقاق، فانهم يصبحون على جانب عظيم من الغرور، ولا يعاينون بالأعمال، لأن المادة التي كانوا يسمون إليها قد حصلوا عليها بسهولة، فهم يجلسون إلى مكاتبهم لأمضاء الأوراق فقط، ووضع بعض الملاحظات التي كثيراً ما توضع خطأ على الأوراق، لعدم اهتمام الرئيس بقرائة الأوراق وفهم المطلوب منها. ولقد صدق هذا الرجل فيما قال «لأن عدداً كبيراً من الأفراد في مختلف الأمم يعامل بما أتيته (الرفق المزيّف) الذي يشجعهم على الكسل».

ألا إن هذه المعاملة في حد ذاتها منافية لما أودعت الطبيعة فينا: فالطبيعة قد أعدتنا للعمل وللتغلب على الصعاب في الحياة، فإن نحن عشنا حسب وحى الطبيعة، فانما نعيش جسماً وعقلاً، والجهاد في الحياة هو أحسن أنواع الرياضة الطبيعية.

وصلت أعظم الأمم الآن، وأعني بها إنجلترا، إلى نتيجة عملية من جراء تشجيع العاطلين، فانها بعد الحرب الكبرى منحت مرتبات (حسب نظام THE DOLE) للرجال الذين فقدوا وظائفهم، كما أنها منحت الفتيات والنساء العاطلات إعانة أسبوعية حتى يجدن عملاً يرتزقن منه: فمع ما في هذا العمل من الخير - لأنه قائم على مبدأ راق - فإنه لحصول بعض التهاون، قد شجع هؤلاء الأفراد على التسكسل وعدم البحث عن عمل.

قرأت فقرة من تقرير اللجنة الملكية المكلفة بدراسة مسألة الضمانات الاجتماعية وملخصها: قد بلغت النفقات الاجتماعية ١٩٢ مليون جنيه، أي نحو ٣٤ ونصف في المائة من مجموع ميزانية النفقات، فإذا أضفنا إلى ذلك معاشات التقاعد وفوائد الديون وغير ذلك، أدركنا فداحة المبالغ التي تنفقها إنجلترا على أمور غير مشورة.

على أن أهم الأعباء التي تروح تحتها الميزانية الانجليزية: هي أعباء الإعانات المخصصة للعاملين، والأخذة في الازدياد من أسبوع إلى آخر: فقد كان مجموع هذه الإعانات ١٢ مليون جنيه في سنة ١٩٢٨، فبلغ في السنة الحالية ٣٦ مليوناً، وسيزيد إلى ٥٥ مليوناً في السنة المقبلة.

إزاء هذه النفقات الباهظة، وحالة الكساد، وتفاقم الأزمة الاقتصادية، رأت وزارة المالية البريطانية أن تتروح جمل المبالغ المقرّر صرفها في هذه السنة: لإعانة العمال العاطلين، الحد الأقصى لما ينفق عليهم في المستقبل مما بلغ عددهم: وفي هذه الحالة لا بد من حصول أحد ثلاثة أمور

(١) إما أن تنقص الاعانات فلا تمد تكفى لاعانة المعاملين؛ (٢) وإما أن تزداد المبالغ المذروسة أداؤها على أصحاب الأعمال ، على ما هم عليه الآن من سوء الحال ؛ (٣) وإما أن يكلف ولاية الأمور المحليون في المناطق الصناعية وغيرها بمد يد المساعدة إلى العمال الذين لا عمل لهم ، بمقتضى إعانة الفقراء ؛ ولكن هذه الحلول كلها تؤدي إلى نتيجة واحدة ، وهي ارتفاع أسعار المعيشة ونقص الصادرات .

وبديهي أن خمس سكان إنجلترا لا يمكنهم أن يعيشوا إلى الأبد على نفقة الحكومة ... إلى آخر ما ورد في تلك الفقرة .

فإذا كانت هذه هي نتيجة عمل إنسانى كهذا في بلد من أحرم البلاد على مصالحها ، فكيف بالأمم الأخرى التي تبدأ بفكرة الانتقام من الأفراد على حساب مالية الأمة ؟ لقد قدمت للقارىء في العدد للماضى أنه من أثر جهاد الكائن أو الانسان في المرحلة الأولى من حياته تنشأ في الجسم فضيلة المناورة على حل مسائل ومشاكل الحياة ، مع إخضاع أعضاء الجسم لنتيجة في جهات خاصة ، تتناسب مع وظائفه للتبائية ؛ كما أن بالفريزة في هذه المرحلة الفكرية تخلق طرفها نوعا ما ، وتعمل القيادة للعقل لترى إذا كان سيحسن التدبير أو يسيئه ، فلم لا تعطى العقل فرصته ونفذه يتعلم ويرقى من تجاربه الخاصة ؟ لم نشأ حركته ونمته في مهده بذلك العطف المزيّف أو الجاملة المردولة ؟

إن عطف الأم على ابنها الذي يؤدي إلى سلبه ميزة العمل العقل هو جريمة شنيعة ، والرئيس الذي يجامل في العمل إنما جرمته أكبر فتاعة ، لأنه يحرم الأمم من جهودات الأفراد ، ويعودهم التواكل ، مضافا إلى ذلك ما يحصل من التعدي على مبدأ العدالة القوي .

ولا شك أن حضرات القراء يعلمون أن مبدأ الجاملة ومبدأ العدالة خصمان لا يجتمعان ؛ فقد علمتنا الحياة في العمل والوظائف أن الرئيس الذي يجامل شخصا لا بد فثالم لآخر ، وميت الواهب محسوبة ؛ والشخص الذي يثأل معتمداً على تفكير غيره لا يلبث أن يعود إلى مرتبته الأولى وما هذه ؟ (إنها الحيوانية - بلا ريب - التي يعمل فيها حسب وحى الفريزة لا العقل) . ومع أن المرحلة الحيوانية انتهت إلى طلوع فجر العقل ، بل وأوصلته إلى مرحلة - كما قدمت - أخذ الجسم فيها والعقل يتميزان بفضيلة المناورة على الكفاح وحل المسائل ، أضف إلى ذلك ما ينتج من عملية التفكير من التمييز بين الأشياء ، وإيجاد أوجه الشبه والخلاف بينهما ، والوقوف على نسب الأشياء بعضها لبعض ، فيدرك الانسان من حقائقها الكثير ، وعليه فكما استمر الجهاد والتغلب على الصعاب ، كلما انكشفت للعقل أسرار الكون ، وبذلك يصل الانسان الى مرتبة سيطرة العقل بالمعنى الصحيح على الجسم ونزعاته ، إذ هو يخضع للشور كى لا يقف في سبيل العمل المراد تأديته بناء على اختيار مبدأ خاص ؛ نعم قد تنور في نفس الانسان عوامل مختلفة عند

القيام بعمل من الأعمال : كشعور الملل ، أو الحقد ، أو اليأس والاستسلام ، أو الانانية ، وما إلى ذلك ؛ فإذا لم يسيطر العقل في هذه الأحوال ، فقليل أن يصل الإنسان إلى غاية منشودة عن طريق شريف ، لأن جميع الأعمال مخفوفة بالصعاب ، وفي إخضاع الشعور لسلطان العقل مران على كبح جماح النفس الحيوانية ، وإعطاء المكانة الأولى للنفس الراقية العلوية ؛ وهنا نجد حلقة الاتصال بين نتيجة هذا التحليل ، وبين نظرية الصوفية ، من حيث تقسيم النفس : بالأمارة ، والوامة ، والمتحنة ، والملمة ، والمطمئنة ، والراضية ، والمرضية .

وقد رأيت أن أشير إلى مبدأ الصوفية ، لأن هذا التقسيم إنما هو نتيجة حمل فكري أعقبه تحليل قس ، ليكن ما يكون إن خطأ أو صواباً ، ولكنه مثل للصوفيين نتيجة قبلتها عقولهم وأطاعوا إليها واسترشدوا بها في حياتهم الفعلية ، فوجه الشبه هنا منظور إليه على اعتبار النظريات التحليلية السابقة من حيث إنها سلسلة تدرج إلى الرقي في كفاح النفس ومغالبة الظروف المحيطة للوصول إلى الأفق الأعلى من مراتبها ، ولذلك فالعمل والتفكير هما خير الطرق للتهديب . ومبدأ هذه السلسلة من حيث التدرج والرقي ، يضع الأساس الأول لفضيلة المتابعة ، وهنا يصح الانتفاع برأي أفلاطون القائل : بأن الفضيلة تأتي عن طريق العادة ، إذا يتضح أن من نتائج فضيلة المتابعة تكوين فضيلة أخرى هي فضيلة الشجاعة والاقدام ، لأن الفوز مع المتابعة يشجع على التغلب على جزء آخر من الصعاب ، فما كان يصعب على النفس مغالبته في المبدأ يصبح سهل التناول في الكفاح ، ويقوى العزم على مواجهة ما هو أكبر منها خطراً ومسئولية ، وينجح الإنسان في اجتياز الصعوبات تتولد فيه فضيلة الآباء ، والآباء هو أن يربأ الإنسان من أن يستحل لنفسه ما اكتسبه غيره ؛ فيعرف لنفسه حقها ، ولغيره حقه ، ولا يركن أو يعتمد على أحد ، وبذلك تكون شجاعته موجهة لما هو في مقدوره ، (وهذا يزيل منه رذيلة القنور والاقدام على ما لا يستطيعه) . هذا هو ما أقصده بالآباء في معناه العمل ، والعاقل من قام بمقدرته على مقدرة غيره واعترف بالحقيقة ، فالاعتراف بالحق فضيلة وإباء .

ونتيجة الآباء تؤدي إلى فضيلة الثقة بالنفس إلى حد معين ، وهذه تبعد الإنسان عن الخاس الموعونة من الآخرين بلاحق ولا موجب ، وتربأ به عن إذلال نفسه في الرجاء وإخضاع عزتها إلى ما لا يلائم كرامتها ؛ لأن حق النفس يحتم - منطلقاً - أن ينحصر في نيلها ما هو مشروع لجهدا ، لا على أنه مكافأة لم تكسبه بالفعل .

إن الإنسان إذا نجح في مساعيه يكون قد حقق الغاية ، التي عمل لها على مبدأ اقتنع بصحته قبل البدء في العمل ، ويكون بذلك قد اكتسب ما عمل لبوغه بثرف ونبل ، وإن هو أخفق من حيث النتيجة ، فقد اكتسب الخبرة ولم يمرض بكرامته إلى الهوان ؛ ومعنى هذا أن الأجر يساوي الجهد ، وفي هذا أكبر معنى للمعدل .

ومن النجاح والاختراق في ميدان الحياة تتولد في النفس فضيلة الصبر، فضيلة الاعتراف بمواطن الضعف، وبذلك لا تمرض نفسه بداء الغيرة ممن يزود أو يزونه في الحياة في ناحية من نواحيها، لأنه بخبرته للأموال ومعرفة له مقدار ما تتطلبه من مجهود، يستيقظ فيه شعور تقدير الآخرين، فيستدح فيهم شجاعتهم ويحترم مواهبهم ومؤهلاتهم، وبذلك تشفى نفسه من داء الحقد، ويتحلى بفضيلة العدل، فلا ينتصر إلا للمستحق، لأنه يرى نوعاً من السعادة في تأييد مبدأ العدالة لذاته، وهو إن قم بمن ينال ما لا يستحق، فما ذلك لأنه يعتقد عليه في شخصه، وإنما لأن شعور العدالة الذي ينسه يتأذى لاذلال العدل في ذاته، دون تأثر بالعوامل الشخصية، ويمكن أن يقوم البرهان على صدق هذه الظاهرة في كثير من حوادث الحياة: فثلاً إذا سمعنا بأن أحداً جد واجتهد، ثم قلب عليه ثيره بدون وجه حق، فأننا نتألم مع الشخص المظلوم، ونثور ضد الظالم، لامراعاة للأشخاص ولكن مراعاة للعدالة.

ثلاً بعض أبطال الروايات الذين لا يقيم إتيان الحرفة من قعة السامعين، لأن أشخاصهم تمثل الظلم والحياة، وقد نخنى ضعف المثل إذا كان يمثل دور العادل أو الأمين، إذا فالخصومة الشريفة هي التي تقوم دفعا عن مبدأ، لا بالنسبة للمشاحنات الشخصية.

نما تقدم يتضح أن الذي خبر هذا كله، وتكونت في نفسه هذه الفضائل، وانمحي منه ما يصادها من الرذائل، يصبح شخصاً حكماً يرى الأشياء على طبيعتها، ويقدرها بقاديرها الحقيقية، فلا تتورق نفسه لموامل أو حوادث هو أدري بنتائجها من غيره، ولا تهزه اضطرابات نفسية هو أعلم بطبائعها من سواه، ولو أنه في حالته هذه يرى أمام الآخرين بحالتين:

١ — إما الجبن لأنه لا يواجه الحوادث بنفس الحدة التي لا يواجهها بقليل الخبرة (والحدة هنا بعدها قليل الخبرة شجاعة) وهكذا الجبل بالأمور محل الرذيلة محل الفضيلة.

٢ — وإما الغرسة لاستخفافه بالصعاب، حالة أنه ينظر إلى العالم نظرة عدم اكتراث لأنه فهم من أسرار الحياة، ويميزات البشر، وسنن الطبيعة والوجود، ما جعله يقابل كل جديد بجأش ثابت، ولا يترع انتباهه شيء من مظاهر الحياة إلا ما احتاج في ذاته إلى تقدير يقبله العقل باعتدال، فتنشأ فيه فضيلة الاعتدال مكملة لكل ما سبق من الفضائل، وهي في نظري أم الفضائل التي يعتمد عليها الإنسان في حياته.

ومن هنا يمكن التصديق بنفارية سقراط، من حيث إنه أفضل مرتبة يصل إليها الإنسان، هي التي لا يمكن فيها إثارة النفس بعوامل عارضية، وكذلك عبر أرسطو طاليس عن نفس المعنى بقوله: إن أحسن حياة يصل إليها الإنسان هي حياة (الثيوربا) أي حياة الفكر التي لا تتورق فيها عاصفة المواقف، فكل ما تمر عليه في الحياة نجده مكاتته بين باقي خبرائنا، ومن ذلك نصل إلى الحد المتوسط، حيث نرى الأشياء في نسبها المعتدلة، ونعطيها قيمتها المناسبة، ونشعر نحوها الشعور

التفاوتى بدون إفراط أو إسراف يدعو إلى التهييج، وبدون نقص أو بخل يدعو إلى عدم التوازن والارتباك، وعليه فتكون أفضل حال يصل إليها الإنسان، هي تلك التي يظهر فيها هدوء الشعور بعد طول التجربة، ومن هنا فصل إلى: مرتبة النفس المثلثة، فالراضية، فالراضية، ولو على مبدأ الصوفية؛ وهذه النظريات يصح أيضاً تأييدها بمباحث علم النفس، إذ أن كل جديد وكل غريب يسترعى الانتباه ويثير الشعور، ولكن الأشياء المألوفة والتي حل الفكر وموزها مرة ماء، يحتمل أن يترتب عليها، مما يحتمل أن تصل العقول البشرية إلى معرفته منها، فانه يصبح من الأشياء العادية، فلا يتهيج له الإنسان، وهنا نجد حلقات الاتصال بين العقول للفكرة، فقام العلماء الذين فكروا في هذه الناحية، (أي ناحية التطور الانساني والنشوء الأخلاقي) سواء أكان تفكيرهم يبدأ عن طريق البيولوجي، أو عن طريق الصوفية، أو الفلسفة، وعلم النفس الخ، فقد وصلوا جميعاً إلى نتائج متشابهة من حيث الرحلة الأخيرة، ألا وهي طمأنينة النفس، وهي بحق للرتبة التي يظهر فيها رقى الإنسان الحقيقي، ومقدار الثقافة التي اكتسبها، والتي تجعله ينطق بحكمة ويتكلم بعقل.

لقد قلت الحكم في عهدنا لمدى أعمال الفكر، فخذوا مثلاً لبعض الحكم الجارية بحرى المثل (صاحب بالبن كداب) هذه حكمة لا يصل إليها إلا من جرب واستنتج، وهذه الحكمة بعينها تعب في إثباتها أكبر علماء النفس، فقاموا بعمل مباحث مطالة حتى وصلوا في النهاية إلى أن الإنسان لا يستطيع القيام بعملين في وقت واحد، إلا إذا عمل أحدهما بطريقة آلية، لأن قسمة الانتباه غير ممكنة.

خذوا حكمتين أخريين هما :

١- (في الثاني السلامة، وفي العجلة الندامة) — ٢- (خير البر عاجله) .

نفس التناقض في هاتين الحكمتين على قيمة التجربة، وما تؤدي إليه من استنتاجات مقنعة في الطرف الخاص، حل يصل إلى تلك الحكم وغيرها متقاعد كقول: كلا ثم كلا، إن العامل لا يترتب له أخلاق، ولا تصدر عنه حكمة، وهو إن استعمل الحكمة، فأنما يفوه بها على سبيل التقليد كالبناء.

هنا نحن قد تتبعنا أطوار نشوء الكائن ووجدنا أن وصوله إلى المرتبة النهائية، مرتبة الهدوء النفسي، متوقف على مجرده العمل .

ألا فلنعمل، ومن جد وجد، ولكل مجتهد نصيب، العمل العمل به تخيل الأفكار، وعلى طريقه ترقى الأمم وتحيا الجواهر باستعمالها، فجود العين مثلاً ينعدم نوره إذا توقف إبصاره، بأن سادت الظلمة : ألا وإن نور البصائر متوقف على التفكير وتقبيل الحقائق، فدعونا نعيش للاحق بالعمل، فهو الرياضة الطبيعية المشروعة لبني الإنسان، وبه يسترد حريته ويحيا حياة مجيدة .

نظرة الحكيم سعيد

أبو عامر بن شهيد

بقلم الدكتور زكي مبارك

« ابن شهيد » اسم يطلق على عدة رجال من أعلام الأندلس؛ ينتسبون إلى شهيد بن عيسى ابن شهيد، مولى معاوية بن مروان بن الحكم، وكان من سبي الأبرار، وقيل إنه رومي (١) وأشهر بني شهيد أبو عامر أحمد عبد الملك، وهو حفيد ابن شهيد وزير الناصر عبد الرحمن الأموي، وكان ابن شهيد الوزير معروفاً بالدهاء وحسن التدبير (٢)، وكان كذلك من أبرع الشعراء، وهو الذي يقول :

تري البدر منها طالعا فكاونا يحول وشاحها على لؤلؤ رطب
بعيدة مهوى القرط شظيفة الحصى ومنعمة الخلد مال مقعة القلب ٣
من اللآلئ لم يرحلن فوق رواحل ولا سرز يومآ في ركاب ولا ركب
ولا أيرزهن المدام لثشوة وشدو كآشدو القيان على الثرب

ولد أبو عامر سنة ٣٨٢هـ، وقد ورث عن أجداده الغرام بظاهر الصبوة والفتوة، والشغف بتلاعب الحسن والجمال، ولم يقدر له أن يظهر بما فطر به أجداده من أسباب الجاه والمال والملك، لأن قتل سمع حجبته عن الاتصال بالملك والوزراء (٤)، ولكنه ائقاد لشبابه وهواد، وأسلم زمامه لقطارته وطبعه، فجاء شعره وثره في أعلى درجات البيان.

كان حمأبي عامر أن « يعيش » ولذلك أجمع من عرضوا لذكركه على وصفه بالتهتك (٥). والعيش في عرف أبي عامر بن شهيد، هو مجموعة من الحسن والجر والأدب؛ فالحياة عنده: وجه أصبح، أو كأس مترعة، أو رسالة أنيقة، أو قصيدة بديدة، فإن خلت الدنيا من بعض ذلك فهي لثو وفصول وعيش الأديب فيها عبء ثقيل.

وما ظن القاريء برجل يبيت في الكنائس لينعم بما فيها من الجر الدقيق والحسن الطريف، ثم يقول في وصف التيسيس والدير والرهبان :

(١) فتح الطيب ج ٣١ ص ٢ طبع ليدن (٢) فتح الطيب ج ١٢ ص ٢٤٦ (٣) انقلب بالقصر سوار المرأة، والمنعم بالقاف من النعم بالكهربك، وهو كما نس التميز بالإحدى ميل والارتفاع في الاليتين، والمراد هنا وصف السوار بالارتفاع لامتلاء المعاصم (٤) انظر الذخيرة ج ١ ص ١٢٣ (٥) وصفه صاحب فتح الطيب بالتهتك في بطاكته ج ١ ص ٣١٩ وتحدث عنه صاحب الذخيرة فقال : أبو عامر بن شهيد فني الطرائف - كان - بقرطبة في رفته وبراعة ظرفه غلبها التهتك في بطاكته وأعجب الناس تفاوتا بين قوله وفعله، وأحكمهم في هوي نفسه، وأهنتهم لمرغه، وأجرأهم على خالقه ج ١ ص ٢٦

ولرب حان قد شمت بديره خر الصبا مزجت بصرف عصيره
في فتية جعلوا السرور شعارهم متصاغر ين تخشعاً لكبيره
والقس نما شاء طول مقامنا يدعو بمود حولنا يزوره
يهدي لنا بالراح كل عفر كالغشف خفزه التام خفيره ١١
يقناول الظرفاء فيه وشربهم لسلافه والأكل من خثيره ١٢

أو يتعرض لجارية من أهل قرطبة ذهبت للصلاة (وأمامها مقل لها كأنه غصن أس ،
و ظبي يرح في كناس) فتصرف مروعة خشية أن يفصحها بشعره ، فيتبعها ويقول :

ونافرة تحت على القناع دعاها إلى الله بالخير داعي
سعت خفية تبتغي منزلاً لوصل التبتل والاقطاع
فجأت تهادي كمثل الرموم ٣ تناعى غزالا بروض البقاع ٤
وجالت بموضعنا جولة فخل الربيع بتلك البقاع
أقننا تبخر في مشيها فخلت بواد كثير السباع
وربعت حذاراً على طفلها فناديت يا هذه لاتراعي
غزالك تفرق منه الليوث وتنصاع منه كآة المصاع ٥
فولت وللهك في ذيلها على الأرض خط كذيل الشجاع ٦

وكان مع تهتكه كريم النفس محمود الخلال حتى لراه أشرف الناس إذ يقول :

إن الكريم إذا نالته نخصة أبدى إلى الناس شبة وهو طيبان ٧
يحنى الضلوع على مثل اللظى حرقاً والوجه غمر بماء البشر ملآن

أو حين يقول :

أملت بالحب (٨) حتى لو دنا أجلى لما وجدت لطعم الموت من ألم

كلا الندى والهوى فدمأولعت به (٩) ويلي من الحب أو ويلي من الكرم

وذكر ابن حبان أن أبا عامر (كان من أصحاب الناس رأياً لمن استشاره ، وأضلهم عنه في ذاته ،
وأشدهم جناية على حاله ونفسه ، وكان له في الكرم والجود انهمك مع شرب وبطالة حتى شارف

[١] المنبر : المنوع ، والمشتب بالتبليث ولد الغاي [٢] راجع فتح الطيب ص ١٣٤ م ١ (٣) الرموم : الطيبة
الالوف [٤] والبقاع ما ارتفع من الأرض (٥) الكماة جمع كمي وهو الشجاع ، والمصاع الضرب بالسيف
[٦] الشجاع : الذكر من الحيات (٧) طيبان : من الطوى وهو الجوع . وفي رواية أخرى ربا وهو طيبان .
انظر هامش الفتح ص ١٠ م ١٠ [٨] أولى رواية أخرى « كملت بالحب » [٩] وفي رواية أخرى - وذادني كرمي
عن ولعت به وهي أفسح من الرواية السابقة « وعانني كرمي »

(الاملاق) ١١. ومن العجيب في تشابه المخطوط، أن النقاد الرئيسيين يصفون (لافوتيين) بهذا الوصف: فيذكرون (أنه كان من أصح الناس رأياً لمن استشاره، وأضلهم عنه في ذاته) ١٢ وما أكثر ما يتشابه رجال الأدب في سوء الحال !

قلت: إن أبا عامر بن شهيد كان يحب الحياة حباً شديداً، وكان يرى العيش كل العيش في معاقرة الجمال والصهبا، فلنذكر الآن أنه كان لذلك من أشد الناس إحساساً بكرهه الموت، وقد بلغ من تهزعه أن شعر معاصروه جميعاً بألمه، وامتعاضه وتهالكه على التشبث بأذيال الحياة. قال ابن بسام: «ولما طال بأبي عامر ألمه، وتزايد سقمه، وغلب عليه الفالج الذي عرض له في مستهل ذي القعدة سنة خمس وعشرين وأربعمائة، لم يده منه حركة ولا قلب، وكان يثني إلى حاجته على عصا مرة، واعتماداً على إنسان مرة، إلى قبل وفاته بعشرين يوماً فإنه صار حجراً لا يبرح ولا يتقلب، ولا يتحمل أن يحرك لعظيم الأوجاع مع ضغط الأتقاس وعدم الصبر حتى تم بقتل نفسه» ١٣. فلنتصور فسوة المرض التي تحمل رجلاً كابن شهيد على التفكير في الانتحار، ولنقرأ بحزوين قوله في ذلك:

أنوح على نفسي وأندب نبلها	إذا أنا في الضراء أزمعت قتلها
رضيت قضاء الله في كل حالة	على وأحكاماً تيقنت عدلها
أذل قعيد الداء تجنبتني العصا	على ضعف ساق أو من السقم رجلها
ألا رب خضع قد كفيت وكربة	كشفت ودار كنت في الخلل وبلها
ودب فريض كالجرىض: بعته	إلى خطبة لا ينكر الجمع فصلها
فمن مبلغ الفتيان أن أخاهم	أخو فتكة شنعاء ما كان شكها
عليكم سلام من فتي غصه الردى	فلم ينس عيناً ثبتت فيه نبلها
يبين وكف الموت يخلع نفسه	وداخلها حب يهون ثكلها

ولم يفت ابن شهيد أن يظل على عنف المرض ظريف الحس والروح، فقد حدث أبو بكر اللصحنى، قال:

دخلت يوماً على أبي عامر بن شهيد، وقد ابتدأت به علته التي مات منها، فتأنس بي وجرى الحديث إلى أن شكوت له تجنى بعض إخواني على وتقاربه عني، فقال: سأسعى لإصلاح ذات البين، فاتفق لقائي لذلك المتجنى مع بعض إخواني وأعزهم على، فلما رأني مولياً عن ذلك الصديق أنكر على وسأل عن السبب للوجب فأخبره وزاد في مشيها حتى لحقتني، وعزم

[١] الذخيرة ١٦٠ ص ٢٩٤ [٢] استطاع La Fontaine أن يكون أحكام الناس، وأن يفرح حكمته في شعره على الرئيسين من شباب وكحول، وأن يظل في طليعة الحكماء على اختلاف الأجيال، ولكنه عجز عن الظفر باستقامة الخلق في حياته الشخصية فلم يكن لزوجه ولا لولده من رفاهية نصيب. وسبحان من تفرّد بالكمال! ٣ الذخيرة ١٦٥ ص ١ [٣] الجربى بالجيم البريق، وهي في نسخة الذخيرة: بالحاء المهملة.

على في تكليم صاحبي ، وتعاتبنا عتاباً أرق من الهوى ، وأشهى من الماء على الفم ، حتى جئنا دار أبي عامر ، فلما رأنا جميعاً ضحك وقال : من كان تولى إصلاح ما سررنا بنساده ؟ قلنا : قد كان ما كان ! فأطرق ملياً ثم أنشد :

من لا أحمي ولا أبوح به أصلح بيني وبين من أهوى
أرسلت من كبدي الهوى فدرى كيف تداوى مواضع البلوى
ولي حقوق في الحب ظاهرة لكن إلفي بعدها دعوى (١)

وحدث المصنف أيضاً قال : دخلت عليه يوماً في تلك العلة ومعى غلام وسيم من إخواننا ، وكان أبو عامر قبل ذلك يحب بمنازحته فينا فره ، حتى خاطب أبو عامر بعض إخوانه بشعر مسه فيه بطرف لسانه ، فقال له ذلك الغلام : هجوتني يا أبا عامر دون أن تثبت في أمري ، ولا تعلم من سرى ما يوجب ذلك ؟ فقال : على تكثيره بما يحويه من القراطيس والصدور ، وكان ذلك أثر صلاة العشاء الأولى ، فطفنا بالجامع ثم انصرفنا إليه فأنشدنا :

ألا بأبي زائر في العتم بوجه يحلى سواد الظلم
تكنم بالليل في ظله وهل يمكن الصبح أن يكتنم
أني يستجير إلينا به كما جاور الباز رطب العتم (٢)

وقد أخذ ابن شهيد يخاطب بالشعر أحبابه وأصدقائه خطاب الوداع فأرسل إلى أبي محمد ابن حزم هذه الآيات :

ولما رأيت العيش ولي برأسه وأيقنت أن الموت لاشك لاحتي
تمنيت أني ساكن في عباءة بأعلى مهب الريح في رأس شاهتي
خليلي من ذاق المنية مرة فقد ذقتها خمسين قولة صادق
كأنني وقد حان ارتحالي ولم أفز قدماً من الدنيا بلحة بارق
فمن بلغ عن ابن حزم وكان لي بدأ في ملهاتي وعند مضايقي
عليك سلام الله إني مفارق وحسبك زاداً من حبيب مفارق
فلا تنس تأييني إذا ما فقدتني وتذكر أيامي وفضل خلائقي (٣)

وكان ابن شهيد يشعر أنه أهل لأن يبكي حين يموت ، ويقول في ذلك :

سني الله فتياناً كأن وجوههم وجوه مصابيح النجوم الزواهر
إذا ذكروني والثرى فوق أعظمي بكوا بعيون كالسحاب المواهر
يقولون : قد أودى أبو عامر العلى أقلوا فقديماً مات أبناء عامر

[١] الفخيرة ج ١ ص ١٦٣ [٢] تمصيدة بقية مطوية بحمد الفاري ، في الفخيرة ج ١ ص ١٦٤ [٣] انظر جواب ابن حزم على هذه الآيات في ص ١٦٦ من الفخيرة .

هو الموت لم يصرف بأجر اس غائب ١١
 ولم يحتجب للبطش مهجة قادر
 عمل عرى الجبار في دار ملكه
 وليس عجيباً أن تدانت منيتي
 ولكن عجيب أن بين جوانحي
 نركني والموت بجفر همي (٢)

وهذا حقاً عجيب ، فان ابن شهيد ظل يتلف في أيام علته المهلكة إلى محبوب له اسمه عمرو ،
 وكان حبه له مشهوراً يعرفه القريب والبعيد ، وانظار كيف يتوجع ودو مخاطبه خطاب
 المفاقر المشتاق :

اقرأ السلام على الاصحاب أجمعهم
 وقل له يا أعز الناس كلهم
 الله جارك من ذي منعمة ففرت
 ما كان حبك إلا صوب غادية
 إن شاء صرف الردى قديم أطوعنا
 عشنا رقيقين في بر الهوى زمناً
 فشتت نوب الأيام إلتننا
 وحسب القارىء أن يعلم أن آخر شعر
 إخوانه ومحبوبه آخر وداع :

استودع الله إخواني وعشرتهم
 وفتية كنجوم الغرب نيرهم
 وكوكبا لي منهم كان مغربه
 الله يعلم أن ما أفارقه
 فان أعش فلعل الدهر يجمعنا
 لا ضيع الله إلا من يضيعه
 قد كان بردى إذا ما مسني كلف
 إن لأرمقه والموت يضغطني

وكل خرق إلى العليا سباق
 يهدي وصلبهمو يودي بأحراق
 قلبي ومشرقه ما بين أطواق
 إلا وفي الصدر منى حر مشتاق
 وإن أمت فسيمة الردى الساق
 ومن تخلق فيه غير أخلاق
 لا يشلم الحب أذابي وأعرافى
 فأقتضى فرجة ترتد أرمافى

ثم أوصى أن يدفن بجانب صديقه أبى الوليد الزجال ، ويكتب على قبره في لوح رخام هذه الكلمة :

(البقية على الصفحة رقم ٨٤)

[١] مخاطب : الخطيب ، وهي لفظة غلبة الاستعمال وأذكر أنى رأيتها في كلام الجاحظ ، وهي أكثر موازنة لكلمة كاتب وصحة شاعر (٢) بجمر : بقطر

التدبير الغذائي

في علاج البـول السكرى

للككتور محمود فريد

تفضل حفرة الدكتور محمود فريد الاختصاصي في الامراض الباطنية والاشعة تحت البنجابية الموضوح
القيم وهو المختص الحاضرة التي ألقاها على المؤتمر الطبي الخامس

كان مرض السكر معتبرا من الامراض التي لا تشفى، وكان يعد رسولا للموت والهلاك، واليوم خفت كثير من مخاوفه ومخاطره: فقد كنا منذ سنين قلائل نقف أمام الحالات الصعبة أو مضاعفاتها مكتوفي الأيدي حيارى لا نملك لأصحابها تفعلاً، بل نعجز عن مد يد المساعدة لأولئك المنكودي الحظ، فما أبعد اليوم من الأمس! فأمثال هذه الحوادث اليوم أجدى ما يكون فيها نجاح العلاج، ولو أنه أصعب ما يطرق في الأبواب العلاجية.

فرض السكر اليوم من الوجهة النظرية، بل من الوجهة العملية أيضاً، مرض يشفى. ويقصد من نوال المرضى للشفاء زوال الأعراض المرضية زوالاً تاماً وبصفة مستديمة، ولكن ليس بمعنى أن يصلح ما عطب، ويرجع كل شيء إلى أصله. ولا يرجع هذا الانقلاب الهائل في نجاح علاج البول السكرى إلا لاكتشاف الأنسولين واستعماله بطريقة عملية في العلاج: على أن الآمال الواسعة التي كانت معقودة عليه لم تتحقق بعد، ولم يكن بد من تقليل كمية ما يتناول المرضى من الطعام غصب، بل نرى بالعكس أن الأصول المارعية قديماً في التدبير الغذائي لعلاج مرض السكر لم تزل حافظة لأهميتها كاملة، ولم يزل جميع المؤلفين معتبرين أنها وحدها الأصل الفعال في نجاح العلاج، بل لا يرجع نجاح العلاج بالأنسولين نفسه إلا للتدبير الغذائي! فبالأنسولين يرجع الفضل في كسر شوكة التضيق الشديد في التغذية والسماح للمرضى بأطعمة كانوا منها محرومين، ولا يزال التدبير الغذائي يعتبر بمثابة السلسلة الفقرية لعلاج البول السكرى، ولم يزل عماد العلاج، وهو الذي يؤدي بنا وحده إلى الغرض المقصود في شفاء الحالات البسيطة من البول السكرى.

ونجاح العلاج يتوقف على إقصاء السكر والاسينون (الاحماض) من البول: وتنمية قوة تسامح الجسم لتناول المواد السكرية بادرانية (النشوية والخضراوات والفواكه) دون أن

يفرز السكر في البول أو يزداد سكر الدم، فالحالات البسيطة يمكن مباشرة علاجها في منزل المريض من أي طبيب، أما الحالات الصعبة فيلزم مباشرتها في المستشفى من أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، وتكون بملاحظة طبيب إخصائي.

ولا يجب أن يكون في اتباع نظام التدبير الغذائي غشاضة على المريض وعذابه، وكما لا يجب المبالغة في إقاص كميات الأغذية التي يتناولها المريض حتى يشكو ألم الجوع، هذا استمرار على تناول ما قدر له من التغذية ازداد جسمه نحولا، وإذا لم يتمكن من ضبط نفسه سطا على الأظعمة دون أن يحسب للعاقبة حسابا، ولوعلم أن فيه الضرر كله، فلا معنى للاستمرار على إقاص التغذية لغير المصابين بالسمن أو بمرض القلب، كأن ازدادت كمية الأغذية فوق حاجة الجسم ضارة به من غير شك، ويستحسن منع المرضى يوماً في الأسبوع من تناول المواد (الكاربوايدرات) وعلى الطبيب المعالج أن يشرح للمريض حالته جيداً، ويفهمه معنى التزامه لمقادير خاصة في التغذية حتى يعمل على تنفيذ أوامر الطبيب بالدقة، فتتم أفعابنا وينال بذلك الشفاء أو تقربه منه على الأقل.

أشكال التغذية

وقد شرحنا أمام المؤتمرات الطرق المختلفة في التغذية وهي للاصابات البسيطة أو المتوسطة أو الصعبة، ويرجع تاريخها كلها إلى ما قبل عصر الأنسولين فنها ما يتميز بالاعتصار على أطعمة خاصة كالافلال من المواد الكاربوايدراتية والزلاية (الاحوم) فلا يسمح إلا بالبيض فيها، ومنها ما يوصى بزيادة كمية المواد النشوية كالأرز والشعير، وأول من وضع هذه النظرية DURING عام ١٨٦٨: ويتميز هذا النوع من التغذية بقله المواد الدهنية، وكثرة ما يعطى فيه من الاحوم، وقد رجع بعض المؤلفين الحديثين ALLEN إلى هذا الرأي بشرط إعطاء الأنسولين، ودلت أبحاث ADSBERRY و PORGES حديثاً على أن كثرة المواد الدهنية في طعام السليم تقلل من قوة فعلة للمواد الكاربوايدراتية، ولذلك ينصحان بتقليلها في غذاء المريض بالسكري، وثبت أخيراً أن نجاح العلاج بالسماح بتعاطي المواد النشوية عند اختصار المرضى على أيام يكفون فيها على تناول الشعير مثلاً إنما يرجع إلى ما اكتشفه العالم الفسيولوجي COLLIP حيث إنه توصل باتباعه نفس الطريقة التي تتبع في تحضير الأنسولين باستخراج مادة من بعض النباتات تشبه في تأثيرها الأنسولين سماها GLYPOPININ فهي تقلل سكر الدم وتزيل السكر من البول فنها: الحميرة والبقول والخس والبصل وبعض الحشائش والبطاطس والكرفس والبنجر والفجل والخرشوف والسبانخ والفاصولية وأبو فروة... الخ.

وقد عرضنا طائفة من المشاهدات عالجناها كلها بالتدبير الغذائي دون الالتجاء فيها للحقن بالأنسولين، وذلك بإشارتنا على المرضى بتناول طعام خاص.

وقد كانت النتائج التي فدها كما يلي: نقص السكر من ٧٨ في المائة إلى ٢٧ في المائة أي من ٣١٢ جراماً إلى ٣٨.٨٨. جراماً سكرأ في مدة ٦ أيام فقط، من بدء انعكاف المرضى على الطعام

الخاص، وقد صار البول خالياً من السكر بعد مضي ٢٣ يوماً، ولم تظهر على المريض أى مضاعفات. وفي إحدى المشاهدات كان المريض يفرز ١٠ لتر بولاً يقابلها ٦٠ جراماً سكر في اليوم الواحد وهي نسبة كبيرة، وبعد ٦ أيام من بدء العلاج بالتغذية الخاصة نقصت كمية البول فصارت ٢ لتر فقط، وكمية ما يفرزه المريض من السكر ٢٥ جراماً مقابل ٦٠٠. وقد احتاج هذا المريض لعشرين يوماً ليكون السكر في البول سلبياً، ويسمح لمريضه بعد اختفاء السكر من البول بتناول كميات يسيرة من المواد السكرية بادرانية في شكل خضار أولاً ثم خبزانياً، يزيد للقدار تدريجاً حتى يتمكن المريض من تناول الطعام العادي أو ما يقرب، دون ظهور السكر في البول وقد مضى على علاج أكثرهم ما يزيد عن خمس سنوات، دون أن يعاودهم المرض أو يظهر للسكر أثر في البول، مما يشجع بلامراء على إتباع هذه السنة في التغذية مع مرضى البول السكري الأقوياء البنية.

محمود فريد

أبو عامر بن شهيد

(بقية المنشور على الصفحة رقم ٨١)

« بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو نبأ عظيم أتم عنه معروضون . هذا قبر أحمد بن عبد الملك بن شهيد المذنب ، مات وهو يشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . وأن الجنة حق ، والنار حق ، والبعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور . ومات في شهر كذا من عام كذا » ويكتب تحت هذا النثر هذه الأبيات ، وهو مخاطب به صديقه المدفون :

يا صاحبي قم فقد أطلنا	أنحن طول المدى هجوداً !
فقال لي : لن تقوم منها	مادام من فوقنا الصعيد
تذكر كم ليلة نعمنا	في ظلها والزمنا عيد
وكم سرور هي علينا	سحابه نيرة تجود
كل كان لم يكن تقضى	وشؤمه حاضر غيب
حصله كاتب حفظ	وضمه صادق شهيد
يا ويلتنا إن تفككتنا	رحمة من بطشه شديد
يارب عفوا فأت مولى	فصر في شكره العبيد

قال ابن بسام : وكان أبو عامر كثيراً ما يخشى صعوبة الموت ، وشدة السوق ، فيسر الله عليه ، وما زال يتكلم ويرغب إلى الله أن يرفق به ، ويكثر من ذكره ، وقد أيقن بفرار الدنيا ، إلى أن ذهبت نفسه . رحمه الله . يوم الجمعة آخر يوم من جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة ، ولم يشهد على قبر أحد ما شهد على قبره من البكاء والعيول .

زكي مبارك

العلم

كيف خلق وكيف تطور؟

بحث في تطوّر الفكر البشري

للاستاذ محمد مظهر سعيد

أستاذ التربية وعلم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

تاريخ الانسان حافل : بالمشكلات العقلية ، والقضايا الفكرية المعقدة ، التي لا تنفصل عن
قلنا : إنها ولدت ودرجت معه ، وتطورت بتطوره ، وكانت له في كل أدواره التي مر عليها من
هجية وتمدين ، وتقدم وانحطاط : ظله الذي يلزمه ، وشغله الشاغل ؛ ولكنه مع هذا كله ،
لم يستطع فيما مضى - ولن يستطيع فيما سيأتي - أن يسبر لها غوراً ، أو يعرف لها حقيقة ،
مادام إنساناً له عقله المحدود وتفكيره الأدنى . ولا تقف خطورة هذه المعضلات عند حد
بقائها أسراراً وملاسم خفية ؛ ولكنها أصبحت الآن موضع نزاع بين العلم والدين من جهة ،
والدين والأساطير من جهة أخرى ، وهدفاً يصيبه كل منهما من ناحية : فلا يلتفتان .

وستتسع الهوة وتبعد شقة الخلاف : كما ازداد الانسان تقدماً في العلوم المادية ؛ ولا جدال
في أن الموضوع الذي نتناوله اليوم بالبحث ، هو أهم هذه الموضوعات خطورة ، وأصلحها
جميعها للدلالة على صحة رأينا هذا ؛ فقد لجأ الانسان في حل معضلاته باديء ذي بدء ، إلى
الأساطير والقصص الخرافية ، التي لا تستند إلى أي أساس علمي ، أو منطقي معقول . على الأقل .
فلا تصالح لأن تكون أداة صالحة للوصول إلى الحقائق الكونية .

ثم احتضن بالقصص المجازية التي ذكرتها الكتب السماوية عن خلق العالم ، وتكوينه بأسلوب
بسيط يتفق وعقول العامة ، الذين تنزلت في عهدهم هذه الكتب ، لأشباع ما فيهم من نزعة
للمعرفة والسؤال عن المجهول ، ولم يكلف نفسه مؤونة الغوص وراء ما تنطوي عليه هذه القصص
من حقائق ، وحكم معنوية ، لا تدركها عقول العامة ، وغاب عنه المعنى في سبيل تمسكه باللفظ .
وغلل الانسان قروناً طويلة يؤمن بصحة هذه الآراء الدينية وغيرها ، من قصص الطوفان ،
وعمر الدنيا والمعجزات ، عن عقيدة ، لا عن اقتناع ، حتى ظهر القرن العشرون بنزعه العلمية
المادية للبحث ، المتحررة من ذير الأساطير والدين ، وحتى الفلسفة الجدلية القديمة ؛ وأصبح

كله مجموعة حقائق، تبنى على حقائق، ليس للظن أو التخمين مجال فيها، ولا يقام لأى وزن، إلا إذا قام الدليل على صحتها، وإن تلك التجارب العملية. واستطاع العلماء بفضل أجهزتهم وآلاتهم الدقيقة وطرقتهم المضبوطة فى البحث، كشف القناع عن الكثير من أسرار الطبيعة التى تتصل بموضوع خلق العالم؛ ولم يبق هناك مفر من قبول هذه النتائج، ولو فى شئ، من التحفظ، من ناحية العلم، وشئ، كثير من المرونة فى التفسير من ناحية الدين.

ولكن هذا العلم الذى تغنى به، ونعمده مفخرة القرن العشرين، لم يزل بعدفتياً، قاصراً عن حل رموز الطبيعة، وكشف أسرار العالم المعقدة؛ أليس غريباً أن يتوصل الإنسان بالعلم الحديث إلى كشف الكهرباء، وتسخيرها لخدمته، دون أن يفهم ماهى الكهرباء؟ ويستعين بالحرارة على توليد البخار، فيسره كيف يشاء، دون أن يفهم ماهى الحرارة؟ هذا المخلوق العظيم بعلمه، الخفي لجهله، المسيطر على العالم، المتسلط على مفاتيح العلم، المتصرف فى كنوز الحكمة، يقف حائراً لا يدرك أمام مظاهر الحياة، وعجائب الكون، ولطالما ذهب فى تفسيرها، منذ القدم مذاهب شتى؛ فتارة كان يصيب، وطوراً كان يخطئ، بقدر نصيبه من العلم والتفكير الصحيح، وقد خلق محباً للاستطلاع، كثير الاستفهام، يسأل نفسه عن حقيقة ماحوله، ويطلب من الطبيعة، أو من نفسه - الجواب عن كل ما يعرفه وما لا يعرفه، ميالاً للبحث والتعميل؛ فإذا أعياه الأمر، حار وارتابك، وسلك إحدى سبيلين؛ إما الاقتناع بالمعجز والسكوت، وهذا شأنه فى العقائد الدينية المثزلة، أو الطقوس التى يفرضها عليه رؤسائه أو زعماء أرقى منه عقلاً، وأكثر قوة، فيؤمن بها، ويسلم بصحتها، ويقتنع بحكمتها من غير تفكير أو مناقشة؛ وإما المكابرة والتضليل، والاستمانة بالمنطق الفاسد والخيال المعتقد، على إقامة ما يظنه دليلاً مقولاً يقتنع هو به، ثم يطلب إلى الناس أن يقتنعوا به معه، فهو كابنه الطفل يظنك الألوف من الأسئلة، ويطلب اليك الإجابة عنها فى وقت واحد، كأنها جميعها ترتبط ببعضها ارتباطاً وثيقاً، ويقبل منك أى جواب تلقىه عليه، إن تعقله اعتقد فى صحته، نوقله إلى سواء من الصبية، فى لهجة الواثق العارف بدقائق الأمور، وإن تعذر عليه الفهم تركك وشأنك واتمس لنفسه بنفسه حلاً يناسب عقليته، ثم يملؤه الغرور، فيظن أنه فأنك علماً وأنت الرجل العالم المحرب! وقد يخرج عليك ويرميك بالجهل، وهذا شأنه فى الأساطير والخرافات، التى صورها له خياله، وابشكرها عقله، لتكون حلاً مؤقتاً لمشكلة علمية شغلت باله، ثم نقلها إلى أولاده، وهؤلاء إلى أحفاده من بعده، حتى أصبحت عقائد وقوانين وطقوس، يمارسها الناس. من غير أن يفهموا لها معنى. ويعاقبون من يخرج عليها، ويفتخمون إلى فسادها بأشد أنواع الأذى - وهل الإنسان على حداثة عهده فى الوجود إلا كالطفل أمام الطبيعة الهرمة لن يتسنى له فهمها حق الفهم؟ ولكن على كل حال، كلما عمر فى الأرض كلما قرب

رأيه من الصواب ، وبلغ علمه شيئاً من شبه الكمال ، وهناك طريق ثالث يتبعه بعض الذين كشف الله الحجاب عنهم من العلماء والفلاسفة ، يعرفون شيئاً من حقيقة الوجود ، فيستنبطون الجوهر لا تصهم ، ويظهرون أعراضه للناس مستورة في رداء كثيف : من الطلام ، والرموز ، والأساطير ، فيستهوهم ما فيها من خيال رائع ، وقصص أخاذة - وذلك شأن الانسان الأول الذي نشأ في بحر التاريخ في مصر وبابل وغيرها : في الأساطير التي لقنها له كهنته ورؤساء دينه عن الآلهة والعالم وسر الخلق والوجود .

هكذا وقف الانسان أمام سر خلق العالم ونشأته وتطوره حائراً لا يدري ، وهكذا تدرج فكره ، وتطورت عقيدته ، من خرافات نسجها عقله الأول البسيط ، إلى أساطير ، وضعها له الكهنة ، إلى قصص مجازية ذكرتها الكتب المقدسة ، بأسلوب يتفق وعقلية الناس ، وقت زول هذه الكتب ، حتى وصل أخيراً إلى ربوة العلم يشرف منها على آخر ما أوصله إليه من بحوث ونتائج لا يسمعه إلا التسليم بصحتها ، ولو خالفت ما عرفه من قبل .

نشأ والطبيعة تحوطه بظواهرها المتغيرة من كل جانب : فكان أول ما استرعى نظره ، وشغل فكره : السماء ، والأرض ، وما فيها من شمس تشرق عليه ، فيقوم لمعاشه ، وتشتد حرارتها ظهراً ، فيلجأ إلى ظلمها ، مستقيماً من حرها ، ثم يتلطف الجو عصفراً ، فيعود لأمره . ثم تقرب ، فيؤوب إلى مربيه ، ويقع طول ليله ، وتحيط به الظلمة ، فيخضع ، حتى إذا ظهر القمر ، ابتهج لرؤيته ، وقام يستنير به في دياجير الحلك . وهكذا يتدرج بين حر وبرد ، ونور وظلام ، وليل ونهار ، مصدرها الشمس والقمر : وفي لحظة أخرى يتجهج له وجه الطبيعة ، وتكثر له عن أنيابها ، فتمود السماء وترجرجر ، وتصلبه صواعق من نار وشهب ، تحرق له أرضه ، وتقتل له مواشيه ، وتتمزق الجبال فوق رأسه ، فيسمع لها رعداً متواصلًا يصم أذنيه ، وتفتح له أفواهها فتمطره سيولا جارفة ، يحاول منها أنقار ولا مفر ، فيتملكه الخوف والذعر ، وينذر في سره النذور والقرابين لهذه القوى التي غضبت عليه : إن من كنهته شر هذا البلاء ، ولظلمها وقف بعد هذا كله يناجى الطبيعة في خضوع وخشوع ، يسأئله عن حقيقة ما حوله تارة : فلا تجيبه ، ويسأل منه ماورا فيزداد ارتباكاً ، وحاول أن يتلمس في أركان عقله المظلم بصيصاً من النور ، يهتدي به فلم يفلح وأعياء الأمر ، وامتلاء قلبه خشوعاً ورهبة ، وانتهى به إلى تأليه هذه القوى وعبادتها ، وهكذا نشأ الانسان الأول يسجد الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والمطر ، والنور ، وغيرهما من آلهة التأثير ، والرعد والبرق ، والنار والظلام وغيرها من آلهة الثمر ، وقدم القرابين والقبائح استدرار الخير الأولى : واتقاء لغضب الثانية : ثم تدرج من هذا إلى عبادة الحيوان ، ثم آبائه وأجداده وملوكه وحكامه ، ثم تماثيله وأصنامة ، وأخيراً اهتدى إلى عبادة الواحد القهار ، وهو بين هذا وذاك منعرف إلى أمور معاشه ومعاده : من : أرض يزرعها ، إلى

زراع يحصد، إلى كوخ يئنيه ، إلى عدو يقهره ، وحيوان يسخره ، يسير سيراً حثيثاً نحو بوادر التفكير وجحر المدنية ، فأذا خلا لنفسه ، سوات له أن يفكر في حقيقة آلهته هذه وفي ماهيتها ومكانها ، وعين حقيقة الوجود ، وكيف خلق العالم : وكيف وجد من العدم : وإلى أين مصيره ؟ — أسئلة معضلة لأجواب لها : ولكنه لن يعجز عن تلمس حل يرضيه ويقنعه ، فلينظر إلى الطير كيف يجتمع الذكر بالأنثى فتبيض وتحتضن بيضها ، ثم تنقرد في الوقت المناسب ، فتخرج منها صغارها كاملة النمو ، فيها كل عناصر الحياة ، وليتمثل خلق العالم كله على هذا النحو ، بعد أن يغذيه بئى ، من الخيال ، ويهول فيه ، ويخرج للناس أسطورة جميلة رائعة تعجدها عامة عند الأمم المنقرضة التي عاشت في فجر التاريخ : وإلى اليوم عند الهنود الجر ، وسكان أستراليا ، وبورنيو ، وغيرهم من القبائل التي ظلت على الفطرة .

فهنود الاسكا يمثلون الخالق كغراب يمسك بقناع على هيئة وجه إنسان يلقحه وينفخ فيه الحياة ، فيصير إنساناً كاملاً : وهناك نموذج لهذا محفوظ في متحف (جامعة بنسلفانيا) : وهنود الشمال الغربي لأمريكا أساطير غريبة ، عن مخلوق مضحك ، في هيئة البازي أو الغراب الأسود ، يقولون عنه إنه سرق الشمس والقمر والكواكب من صندوقها ونثرها في السماء لتضيء الأرض ، وأخذ جزءاً من الطين لثعبه بلفاحه ، فاستحال إلى بيضة خرجت منها كل الكائنات الحية ، ويقول أهل الجزائر الاسترالية — وهم أغنى أهل الأرض جميعاً بمجموعة أساطيرهم — : إن الإله الأعظم ، كان في الأصل طائراً عظيم الحجم يخلق فوق الماء ، وهناك وضع بيضة تولد من قشرها السماء والأرض ، وإنه لا يزال يعيش إلى الآن في قوقعة أو بيضة يكسرها من آن لآخر ، فتنشأ الجزائر الاسترالية من قشرها ، وبذلك يزداد العالم عاماً بعد عام ولا ينقرض .

ولأهل اليابان كذلك أسطورة قديمة يمثلونها في إحدى هياكلهم (ببلدة مياكو) بنور من الذهب الخالص بين مقدمتيه بيضة من الذهب والأحجار الكريمة ، تدفعها الأمواج إليه ، فيبقرها بقرنيه ، فتخرج منها كل عناصر الحياة ، ثم ينفخ فيها فيخرج منها الإنسان . فأنت ترى من هذه الأمثلة القليلة أن أساطير الإنسان الأول على ما فيها من خيال غريب ، ووصف رائع ، على غاية من البساطة ، كالنوع الذي يخلقه خيال الأطفال : وأظهر ما في هذه الأساطير ، استنتاج فكرة خلق العالم من عملية التلقيح والتوالد للمادى ، فيكون الخالق أو وسيط الخلق طيراً أو حيواناً آخر غير مألوف ، له قوى خارقة للعادة ! يستطيع بمقتضاها أن يخلق العالم من بيضة الوجود الأزلية ، وقد يتطور هذا الحيوان بأن يصير إلهاً ، أو يحل فيه فيه إله كامل بالفعل : وعندها فقط يستطيع خلق الإنسان .

بزغت شمس المدنية الأولية في مصر وبابل وغيرها من الأمم المعاصرة ، وقطع الإنسان شوطاً — ليس بالقصير — في التفكير المعقول ، أوصله إلى معرفة الآلهة ، ثم الإله الواحد

الأحد ، وفلسفة الوجود والعدم ، وطبيعة الخير والشر ، وغير هذا من النقاط الفلسفية ، التي لم يكن في مقدور الإنسان الأول أن يتناولها بالبحث ، فكان طبيعيا أن تتطور فكرته عن خلق العالم ونشأته تبعا لهذا التطور العام . ولذلك نجد أن كهنة الديانات القديمة في مصر وبابل وغيرها ، قد تناولوا الأساطير القديمة بيد المسح والتعديل ، فأضافوا إليها الكثير من أسماء الآلهة التي تمثل المظاهر المتعددة للاله الواحد ، وصورا رمزية ، وعبارات مجازية ، تتضمن الكثير من حقيقة الوجود ، ولكن بأسلوب يخفيها عن أنظار العامة ، وهي تلخص فيما يلي :

١ — استبدال فكرة اتصال الذكر بالأنثى بالظلام والنور أو العدم والوجود ، وغير ذلك من المظاهر المتعددة التي يجمعها مذهب ازدواج أو المذهب الثنائي (ديالزم) .
٢ — تأليه العدم أو القوضى أو الظلام ، على اعتبار أنه أصل الوجود ، أو ما وجد قبل الوجود .

٣ — تأليه الماء والنور ، على اعتبار أنها أول ما استخدم من الوسائل لخلق العالم المادى .
٤ — إعلاء الخالق من مرتبة الحيوانية إلى الألوهية ، فيكون إله الآلهة يخلق الجوهر الأزل للوجود ، وتليه آلهة أخرى ثانوية تتم عملية الخلق ، أو تنوب عنه في الإشراف على العمل ، وبعبارة أخرى يخلق كبير الآلهة العالم إجمالا ثم يترك التفاصيل لغيره .
٥ — خلق العالم على أدوار متعاقبة ، يرتاح الخالق بعد كل دور منها مدة تناسب صعوبة العمل الذي قام به في الدور السابق .

وهناك تعديلات أخرى ثانوية: منها تمثيل العالم بالإنسان أو العكس ، واعتبار أن السماء كانت في الأصل ماء .

ولكن هناك صعوبتين لم تستطع عقول واضعي الأساطير ، أن تتعلب عليهما ، وهما : خلق المادة من لا شيء ، والكيفية التي خلق بها العالم ، أي مادة كما يفعل الإنسان في كل شيء يصنعه ، أم هي مجردة فيكفى أن يقول الإله للشيء كن فيكون ؟ ذلك لأن العقل البشري في ذلك الدور من تطوره ، لم يكن يستطيع تصور خلق شيء من لا شيء ، ولا فهم صورة الإله مجردة من ثوب المادة والحس ، فكان لزاما عليه أن يحتفظ بجوهر الأساطير التي وضعها من سبقه من البربر والتوحشين الذين عاشوا في فجر التاريخ ، ولذلك نجد لبيضة الوجود مقاما كبيرا في كل الأساطير المتأخرة .

ولا أدل على هذا التطور في الفكرة من أنك نجد للهنود الحمر أساطير متأخرة أرقى من التي ذكرناها سابقا بكثير .

فقبائل الايروكويس يقولون - كما كان يقول أهل مصر وأشور وبابل : في الأصل كانت السماء فوق الماء كالجزيرة ، وكانت الجنة على الأرض ، فيينا الآلهة (آماناسيك) تريض فيها ،

سقطت من السماء — وهى حامل — فوقعت على ظهر سلحفاة هائلة الحجم ، مغطاة بالطين (وهى التى تحمل السموات والأرضين) وهناك مكثت حتى ولدت بنتا ، وهذه بدورها ولدت توأمين : (ولا ندرى كيف ولدتهما) أحدهما كان شريرا فقتل أمه وخلق الأرض والنباتات ليعيث فيها فساداً ، فلم يكن من الثانى إلا أن يخلق السماء ليهرب إليها ، والحيوان والإنسان انتقاماً من أخيه ، (وأنت ترى هنا وجه الشبه بين هذه القصة ، وبين قصة هاييل وقايل ، كما هى مذكورة فى التوراة) . هذه هى قصة العامة .

أما السكينة فلم يرموز خفية يفسرون بها كل أساطيرهم تفسيراً معنوياً ، فهم يسمون الأم (ذات الجلد الأسمر) أى الأرض ، والابن الأول الثلج ، أى كل ما يتلف الأرض ويقتلها ، والثانى البذرة الصالحة التى هى أصل كل الكائنات ، ويحتفظون كذلك بأكله أخرى لا يخرجونها للعامة ، منها : (باشا كامو) إله النيران السكينة فى باطن الأرض ، و (فيراكوشا) الذى خلق الماء ، والآله الرجل القادر (مونيو) وأخته زوجه (موما) بيضة العالم ، التى تحولت بعد أن لقحها الرجل إلى الشمس واقمر .

ولهم أسطوره أخرى قديمة تقول بأن ابن الخالق الكر (كذا) رأى عالم السموات والنجوم الذى خلقه أبوه جيلاً ، فأكل الحسد قلبه ، فأقسم أن يفسد كل ما صنعه أبوه ، فغضب عليه أبوه وطرده من السماء ، فذهب إلى الأرض ، وهناك خلق لنفسه حيوانات وأدميين وبحاراً وجزائر يعيث فيها فساداً كما يشاء ، (مما يتائل قصة إبليس وطرده آدم من الجنة)

وكذلك لسكان استراليا أساطير جميلة غير التى ذكرناها سابقاً ، يؤلهون فيها بو (الظلام) إله الآلهة الذى خرجت منه كل الأشياء ، الواحد الذى ليس له شريك !

ويقول الماورى (١) إنه عند بدء خلق العالم ، كانت الأرض والسماء قطعة واحدة ، فتمزقت السماء وانفصلت عن (بابا) الأرض ، كما كان يقول أهل مصر وبابل ، ومن ذلك نشأ (تونجالو) إله البحر والأسماك والحفوات .

وسنتكلم فى العدد المقبل عن معتقدات مصر وبابل والمدنيات القديمة إن شاء الله ما
محمد مظهر سعيد

تاريخ الخرائط^(١)

بقلم الأديب محمد بهجت

الخرائط القديمة :

من منا لا يستعمل الخرائط في الآونة الحاضرة ؟ لاشك أننا إذا ما فكرنا في مكان قريب أو قصى سارعنا إليها لتبينته عليها ؛ غير أن الذين يدرون كيف تسمى رسم مواقع الأماكن التي تقع عليها أنظارنا قليلون جداً .

ولما كان الإنسان مميزاً عن سواه من الحيوانات بمعارفه التي تميزه عن ماعداه ، فلا يضره أن تتعته بالحيوان المصور ، وهذه خاصية فيه منذ نشأته ؛ ويلوح أن جميع أفراد البشر بالسليقة يعربون عن آرائهم برسم أنواع شتى من الصور ، فأولى ملاءم الطفل أن يخطط تداريج مشوشة لا تدل على شيء ، ينعتها منزلاً أو رجلاً ، وليست هذه نزعة المتمدين فقط ، بل هي سجية المتبرير المتخبط في دججور الجهالة ، فهو يعبر عن أفكاره برسوم تخطيطية على الحجر أو الخشب أو بالوشم على جسمه ، وليس أدل على هذا الميل في غريزة الإنسان من الكتابة الهيروغليفية عند قدماء المصريين ، والكتابة التصويرية عند المكسيكيين الغابريين .

فاذا ما استمال الإنسان شيء بادر إلى رسمه بأشكال تخطيطية . وقد نما هذا الفن بين القبائل الرحل المتبربرة ، فكان أكبر مرشد لباقي عشائهم في افتقاء آثارهم ؛ ولا تأخذك الدهشة إذا عرفت أن أكبر معوان لـ (بباري) و (كيلنتوك) في رحلتهم لا اكتشاف المناطق القطبية ، هي أمثال تلك الخرائط التي قدمها الأسكيمو الأقزام لها .

ولقد كان المصريون أسبق الشعوب إلى رسم الخرائط في العصور الخالية ، فقد حدثنا (أبولونوس ١٢) عن الخرائط المصرية الخشبية التي عملت في عهد رمسيس الثاني أي حوالي عام ١٣٠٠ ق.م. التي كانت تتناقلها الملوك بالميراث ، ويوجد في متحف (تورين) إحدى أوراق البردي القديمة رسمت عليها منذ أربعة عشر قرناً قبل الميلاد الطرق والتاسيح والأسماك تسبح في البم ؛ وقد اكتشف (لا يارد) المنقب عن خرائب (نينيفيا) خرائط في آشور ، ولا يرى فيها سوى رسم الطرق ، ولا يمكن مطلقاً اعتبارها خرائط علمية ؛ أي التي تبحث في تقاسيم الكرة إلى يابس وماء وأطوال الحدود كالخرائط الحديثة ، وطريقة أننا الآن ترتبط تمام الارتباط بعلم الفلك . وإنا تقدم مع الفخر من كان لهم الأسبقية في نيل قصب السبق في هذا المضمار وهم المصريون ثم الكلدانيون ، وقد ذكر بعض المؤرخين أن الأهرام لم تكن فقط مقابر ملوكية بل كانت أيضاً مراصد فلكية ، وإنا وإن حدا بنا عامل الشك في عدم وصول المصريين إلى معرفة كروية

الأرض ، وأنكرنا ذلك بتماماً ، فإن تأكدنا من معرفتهم لأوقات الخسوف والكسوف تحو
عالمى الشك والتكران ، فهذا يصعب حسابه ما لم يكن هناك إلمام تام بمعرفة كروية الأرض ؛
وأخذنا بعدئذ من اليونانيين الذين عرفوا ذلك من البابليين أن الدائرة تنقسم إلى ٣٦٠ درجة ،
والدرجة تنقسم إلى ٦٠ دقيقة ، والدقيقة تنقسم إلى ٦٠ ثانية .

وعلى ذلك نرى أن المبادئ الأساسية الجوهريّة التي بنى عليها علم تخطيط البلدان وضعها
المديّنات القديمة التي تبهر عظمتها الأبصار ، وتوجب علينا الثناء عليها والفخر بها كلها
قرأنا أو تحدثنا عنها ، وبمالماء فيه أن الرومانيين مدينون بكثير من علومهم إلى المصريين ،
كما وأنهم — كما وصلت إليهم معلوماتنا — أول من حاول وضع الخرائط العلمية ، أعني أنهم أول
من استعمل الآلات لرصد الأجرام السماوية ليبينوا المواقع الحقيقية للأماكن بالنسبة لبعضها ، وبذا
تسنى لهم شيئاً فشيئاً وضع خرائط لأقاليم صغيرة من الأرض ، وأمكنهم في النهاية رسم ممالك
برمتها ، ثم خريطة الدنيا ، كما وصلت إليه معارفهم .

وأول خطوة محدودة في هذا السبيل خطاها (أنا كيمنادر) ٥٦٠ ق.م ، فقد حاول
رسم خريطة الدنيا ، ولكنه كان كالرومانيين عموماً فلم يضع نظرية يبنى عليها عمله ، بل جمع
الحقائق المتوافقة التي أمكنه الوصول إليها مع بعض نظريات وهمية ، ورسم خريطته . وهي أن
الأرض تكون دائرة واليونان مركزها ، وسار على هذا في رسم الممالك حوله .

وبعد نحو مائة عام بعدئذ رأى (ديمكريتوس ١١) بعد رحلاته إلى الشرق — وربما إلى
الهند — أن الشكل الذي عمله سابقه لا يمكن أن يكون صحيحاً : فأملت عليه تصورات غير
المدعومة بأسس علمية — لأن درايته برصد الأنلاك تكاد تكون معدومة — أن يرسم خريطة
للدنيا اتساعاً من الشرق إلى الغرب نصف اتساعها من الشمال إلى الجنوب .

وفي عهد الاسكندر الأكبر اختلط الرومانيون بالمصريين ، فأخذ الأول من معلومات
الآخرين شتى العلوم والمعارف ، فقام سائح روماني يرصد خط عرض مدينة مرسيلا بعد وفاة
هذا الفاتح بعام ، كما أن فلاسفة الرومان الذين أنجبتهُم مدرسة الاسكندرية تعلموا منها أن
الأرض كروية ، حاول (إيراتوستينس ١٢) أن يجد مساحتها فكانت مرامي أبحاثه ونظرياته من
وجهة المسافات التي تربط الأمكنة بعضها ببعض أقرب للصحة ، وذلك باستعماله شبكة من خطوط
الطول والعرض .

ولكن الفيلسوف العظيم (هيبارشس ١٣) (١٥٠ ق.م) هو الذي وصل إلى المبادئ
الصحيحة لرسم الخرائط بأدق الدليل على وجوب حساب خطوط الطول والعرض بعلم الفلك ،
غير أن (كراتس) رسم الكرة كما توهم أكثر مما تحقق ، ففعلها بالماء حول خط الاستواء
ثم قسمها بعدئذ إلى أربعة فارات ، أنصاف أرباع دوائر شاغلة لباقي الكرة .

ثم جاء الفيلسوف الأشهر (كلوديوس بطليموس) وهو ثاني فيلسوف عظيم وأكبر كاتب

في علم الجغرافيا أنبتته أرض أثينا . فتوصل الى حساب خطوط الطول والعرض لسكن الأمكنة المعروفة بدقة ، مستعينا بما لديه من المعلومات الفلكية التي تأكد منها ، ولكن لسوء الحظ كبا كبره ، إذ غانه حسابه في إحداها ، فأدى ذلك إلى خطأ في النتيجة ، ولكنه لم يضع نفسه خرائط ، ولو أن الخرائط وضعت على أساس حسابه ولا زالت تعرف باسمه ، وأهم خطأ فيها هو أن البحر الأبيض ملويل جداً ، وأن القارة الأوروبية ضيقة للغاية ، والقارة الآسيوية مترامية نحو الشرق البعيد ، وليس فيها شبه جزيرة الهند ، مع إثباته جزيرة سيلان ذات مساحة كبيرة ، أما أفريقيا فرسمها جنوبي خط الاستواء ذات اتساع شاسع ، ورسم قطعة كبيرة من الأرض في الجنوب للمحيط الهندي ، وبمكتنا أن نهتبر في الجملة أن هذه الكرة بالنسبة لسابقتها متوسطة في صحتها .

الخرائط في العصور المظلمة : يمكن أن يقال إن جغرافية (بطليموس) هي أقصى ما وصل اليه في الزمن القديم ، مع العلم بأن الرومانيين ليسوا قومًا علميين ، ولذا وضعوا خرائط في منتهى الأبداع للطرق والمدن للأعمال الحربية ، ولم يحولوا أفكارهم نحو طريقة (هيبار شص) العلمية ، وضرروا صنعا عن ما وصل اليهم من معرفة كروية الأرض ، ثم تلا ذلك سقوط الدولة الرومانية ومعه ولت العلوم . هذا وخرائط الكرة الأرضية في العصور المظلمة غريبة ومضحكة وشكها العمومي كما هو مبين بالرسم .



ولكنها كانت تحلى بمهارة زائدة ، فكانت ترسم مدينة بيت المقدس بمنازلها وفلاها في وسطها : ففي الشرق الأقصى الذي يعتبر قمة الخريطة ، ترى جنة عدن بسياجها البديع المتصوير يقوم في وسطها آدم وحواء ، والبحر يرسم بأموالجه تخر فيه السفن وتسمح فيه الدلافين والحيتان ، — ولما أن كانت الكنيسة تقول بانبساط الأرض : وجب على الناس في ذلك العهد أن ينبدوا العلم ويتبعوا ما قالته الكنيسة .

وفي النهاية بدد النور غياهب الظلمات ، واكتسح جحافل الحلك ، وانتصرت المعرفة على الجهل ، فجاء (ماركو بولو) السائح البندقي بعد أن جاب أعظم مدن الصين واليابان عام ١٢٩٥ وسجن في (جنوة) : فكتب عبارة عن كل ما شاهده في تلك البلاد : وهو في غياهب سجنه . فأنارت قصصه الغريبة الأذهان ، وحولت الأنظار إلى مرام بعبدية ، بل قل إنها كانت السبب الأكبر في كسر قيود الجهالة .

وعرفت البوصلة البحرية في نفس الوقت وشاع استعمالها ، بينا أن المدن التجارية الإيطالية الكبيرة كانت محط رجال تجارة العالم ، ومهبط الجمل الغفير من مختلف النحل والشعوب ، كما أن أسطولها التجاري أخذ يرتاد كل ميناء معروف ، فوصل قواد سفنه لعمل ما يسمونه

(الوح البوصلة) ، ومن عدة قطع اعتبروها مرا كثر نابتة مدوا منها وإليها كثير من الخطوط التي لعبت بالبوصلة ، وبذلك أمكنهم معرفة كل الموانئ والرؤوس بتقابل كل خطين من مركزين مختلفين ، وعلى هذا وضعوا خريطة حسنة لشواطئ البحر الأبيض المتوسط الخرائط الحديثة : عند ما بزغ فجر العلوم ، وانتعشت المعارف ، وترقت الفنون ، ترجمت إلى اللاتينية أعمال (بطليموس) العظيمة عام ١٤٠٩ وطبعت عام ١٤٧٥ ، ومنذ ذلك العهد اعتبرت تقديراته ولوماته التي رسمت على نتائج حساب المرجع الأكبر . أما تقديرات (ماركو بولو) وغيره من جواني الأمصار فإبعد لها اعتبار ، وأخذ الاعتقاد بكروية الأرض يجد له معضدين ومؤمنين ، حتى أن (كولمبوس) وجد السيل ممهدا عند ما أخذ على عاتقه إقاز مشروعه العظيم .

وتقديرات (بطليموس) تجعل الشاطئ الإسباني أكثر بهذا إلى الغرب والصين في بعد سحيق من الشرق ، وقد قدر (كولمبوس) المسافة بينهما في عرض المحيط أقل مما هي عليه ، وبذلك اعتقد أنه وصل إلى جزائر الهند الشرقية عندما خط رحاله في بهاما . ولقد كان كل اكتشاف جديد مدعاة لتكلمة الخرائط الحديثة ووضوحها : ففي عام ١٥٤٤ وضع (سباستيان كابوت) خريطة للعالم ، وفي سنة ١٥٦٩ وضع (هنري لويذ) العالم خريطة عن إنجلترا ، وفي سنة ١٥٧٥ طبع (ساكسون) أطلسا إنجليزيا مكونا من ستة وعشرين لوحة ، أما (مركاتور) الذي اسمه الحقيقي (جيرارد كرامر) ، فكان أعظم جغرافي في ذلك العصر ، فقد وضع عدة خرائط وطبعها بنفسه بطريقة حسابية ابتكرها هو شخصيا .

وانشق فجر القرن السابع عشر بتغيرات عظيمة ، فقد أصاب (بيكون) كبد الحقيقة ، وعلمنا طريقة البحث الصحيحة ، وأثبت أن هذا العلم خير ما تخرج للأصول به إلى كمال وخير الإنسانية ، وأخضع بمدئذ (التلسكوب) المنظار المعظم ، واكتشف (جاليليو) عام ١٦١٠ أقمار النجم (جوبيتر) ، وبعدهد بنحوستين عاما حقق (كاسيني) أقواين حركاتها ، وبذا أتحضنا بطريقة محكمة قيمة عن خطوط الطول ، وقد اشتغل الأخير برفقة أحد أولاده وابنه الأكبر بالأعمال الجغرافية الجميلة ، فقام الأولان قوس نصف النهار بالقرب من باريس إلى ذلك ، وحصل لأول مرة على نتيجة تكاد تكون صحيحة ، بينا أن الابن الثاني أخذ على عاتقه عملا أجل وأعظم وهو القيام بمساحة فرنسا وقد تمت عام ١٧٥٠ .

وقبل أن ينصرم هذا القرن أدخلت تحسينات عظيمة في آلات الرصد فتوصل (جاسكويجيني) قبل وفاته في حرب (مارستون مور) في سن الرابعة والعشرين كيف يستعمل سلكين متوازيين في منظاره المعظم ، كي يتسنى له قياس الزوايا الصغيرة ، وبه أمكنه قياس أقطار دوائر القمر والنجوم ، ولكن موته المبكر حال دون طبع بحوثه ، ولذا كان أول تحسين اكتشافه (بيكارد) والآخر بمعرفة (أوزوت) . وتوصل (هيوجينر) ، إلى استعمال البندول في الساعة الفلكية ، ويمكن الفلكيين أن يحكموا بمنتهى الدقة على الوقت المضبوط لأي رصد .

واخترع رومر آلة الانتقال التي يمكن للفلكيين بها أن يخبروا بدقة عن متى يعبر أى نجم نصف نهار المرصد .

وهذه الآلات الفلكية كانت أكبر عون للأخذ بيد علم الجغرافيا، وبها توصلنا الى معرفة حركات الأجرام السماوية بالتحقيق ، وهذا العلم كان أول خطوة في طريق احتساب أطوال الطول والعرض .

أما غرة القرن الثامن عشر، فقد تأكد العالم فيها من كروية الارض ، وأصبحت حقيقة لا جدال فيها ، ففى كل نقطة معينة عند خط معين يدق البندول مرة في كل ثانية ، ولكن وجدت أماكن لها أطوال مختلفة بتغيير دقات البندول ، وهذا يؤكد لنا بأن مسافات الأما كن من مركز الكرة الأرضية ليست متساوية .

ثم قام الرياضيون وأثبتوا أن كل جسم مائع يدور حول محوره لا يمكن أن يأخذ شكل كرة، ولا يدور حول محوره إلا كل جسم كروي أو كروي مفرطح عند قطبيه .

ولقد برهن على شكل الأرض الحقيقي بمقياس أطوال درجات خطوط أنصاف نهار مختلفة بمنتهى الاتقان : وهذه المسافات وجد أنها تختلف شيئاً ما عما قدر ، فتريد قليلا عند خط الاستواء ونقل نحو القطبين، وباحتساب قطر دائرة الكرة عند خط الاستواء حكم بأن طوله ٧٩٢٥٠٢ ميلا وفي القطبين ٨٩٩٩٢ ميلا .

وأهم عمل عمل في هذا القرن القيام بأنجاز مساحات عظيمة على أساس الطرائق والآلات التي استنبطها العلم لهذا الغرض ، وإذا ما أتينا على وصف مساحة المثلثات يجب أن نفهم أولا ماهيتها : فقد قامت تقريبا جميع الحكومات الأوروبية بهذا العمل وكذا الولايات المتحدة والممالك التي غزاها الأوروبيون ، حتى بعض الممالك التي نالتها مسحة من المدنية ، فأخذت كل مملكة في وضع خرائط لشواطئ أراضيها بمنتهى الدقة لقواد البحار ، وزود المكشفون لمناطق المبحرين بالآلات الرصد وكيفية استعمالها، ومعلوماتنا عن داخلات البلاد الغريبة الآن تكاد تكون تامة ، وفي كل عام يضيء النور على بقعة مجهولة مظلمة : ولو أنه لا تزال هناك بقع لم يصل اليها المكشفون بعد ، إلا أن الأول قوى في الوصول إلى ما لم يصلوا اليه حتى الآن .

ولقد قام عدة رحالين في الماضي بمخاطرات ومجازفات في اكتشاف مجاهل الكرة يستحقون من أجلها التعجيل والثناء وتوسج هاماتهم بأكاليل الفخار أمثال : (كوك) و (مانجو) و (بوبارك) و (ليفنجستون) و (ستانلي) . ولقد كان عملهم أكبر مشجع لمن خطا بعدهم الخيولان الواسعة للوفقة التي عادت على العالم بالتحدين والعمران .

محمد بهجت

موظف بالمساحة بالقاهرة

حظ الأديب في مصر



وما لمن دونه عيشة رغد
بئس المصاحب، فتركني به وحدي
وكنت أحجوك: إن لم تجد لاندري
بين الصحائف لا ألوي على قصد
مواقف الدهر مني أذهبت رشدي
يوماً، وماله لم يخل من نكد
بما يعبث في الغيب من جند
سوى همومي وما عندي من الوجد
لأمنح الناس ما يحلو من الشهد
من الصحاب ولم يبقوا على عهدي
وأقطع الليل في حزن وفي سر
جاءوا إلى أريهم بعض ما عندي
هذا مصابي فلا نهضن به وحدي

ما للأديب بمصر عائر الجد
حتام بالأديب في الدهر تصحيني
فقد رأيتك تردى من تصاحبه
دعني فالذي إن عشت مضطرباً
ولا تلمني إذا تكبت عن رشد
وكيف عيشة من لم تصف عيشته
أصارع الدهر أحياناً وبصر عني
فأنتي متمبلاً لاشيء يؤنسني
واليوم أكرع صاب الدهر منفرداً
وقد تفرق عني من أوامله
وخلفوني أناجي لهم مكتئباً
يستكثر الناس بلوأم وليتهمو
قالوا: نواسيك بلوأك، قلت لهم



هي البضاعة لا تقني ولا تجدي
لكن لنيرك فأحذره فقد يردي
وينفق الوقت من دوني على الترد!!
ويصرف الليل بين الكأس والخرد
في أن أصادف حفلاً غير مسود
وما شهدت حياتي كوكب السعد
وقد بلغت المدى في الأئى والجهد
إن السعادة لاشيء سوى الكمد
ويصرف الهم عني باسم الورد
لى الخيال دليل البغض والصمد
لما تجمع في قسي صدى الرعد

طلبه محمد عبده

دار العلوم

دع الموامب: لا تغبط بها أحدا
إن الذكاء سراج أنت توقده
أوثق الوقت في علم وفي أدب
يقضى النهار على مقهى يلازمها
أسود حظي في الدنيا فلا أمل
وكوكب النجس قد أمسى يلازمي
أينقضى العمر لم أبلغ به وطراً
وأوهم النفس أن يجمع بها بطلر
وأطرق الروض على الروض يؤنسني
فأبصر الروض في صمت يصوره
وأسمع البئر أحياناً فأحسبه

بين ذكاء الانسان والحيوان

بقلم الاستاذ أحمد فؤاد الالهوانى
مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية

من الظواهر النفسية العميرة الادراك ، والى كثير الجدل حولها ، بل كان ولا يزال من الصعب الاتفاق على معناها وحدودها : الذكاء ؛ ودليلنا على هذه الصعوبة هو قلة من تكلم فى هذا الباب من القدماء ، وإذا تكلم أحدهم فإن رأيه اليوم بعيد عن الاعتداد به كل البعد ، وهذا يعكس بعض الظواهر الأخرى التى تناوَلها الفلاسفة من قديم : كالعادة ، والذاكرة ، وتداعى المعانى ... الخ ، وما زلنا نأخذ بوجهة نظرهم فيها مع شئ من التعديل كثير أو قليل ، وقد تعجب إذا علمت أن أول من تكلم فى الذكاء بصفة علمية هو (بينيه) BINET ، وعهد بينيه ليس عنا ببعيد ، بل نستطيع أن نعتبره معاصراً لنا ؛ ذلك أن التفرقة بين الناس من حيث الذكاء ، أى أن هذا ذكى وهذا غبي ، هى تفرقة نسبية ، فأنت تحكم على (قيمة) عملياته العقلية ، وقيم الأشياء تختلف حسب وجهات النظر ، بل أكثر من ذلك لا نستطيع أن نخضع الأشياء من حيث قيمها إلى قانون علمى أو قاعدة صحيحة . من هنا كان من الصعب ومن العسير تحديد الذكاء ومعناه ، ومن هنا كان من الصعب إلى حد ما ، قياس الذكاء واختلاف العلماء فى طرق هذا القياس ، لأنك لا تستطيع أن تقيس شيئاً إلا إذا عرفت ، واتفقت مع العلماء على مدى معناه ؛ ومع ما فى هذا من الصعوبة كما رأيت ، سنبدأ بتعريف الذكاء إذ لا مندوحة لنا من ذلك ، وستجد هذا التعريف متعدد النواحي ، هو خلاصة آراء كثير من العلماء والمدارس ، كل واحد على حدة ناقص بنفسه ، ولكنها فى مجموعها صحيحة إلى حد ما : فالذكاء هو مظهر الآلة العقلية ، هو القدرة على أداء الأعمال أداء صحيحاً ، هو الوصول إلى نتائج حسنة ، هو حل المشكلات عملية كانت أم نظرية .

من هذه التعاريف المتعددة نستطيع أن نخترها فى رأيين : الأول أن الذكاء هو مجموع العمليات العقلية أو هو جماع هذه الآلات ، وهذا هو رأى بينيه ، لأنه إذ أراد أن يقيس الذكاء قاس هذه العمليات العقلية ، مبتدئاً بأدائها إلى أرقاها ، مبتدئاً بالاحساس خصوصاً عند الأطفال الصغار ، ثم الادراك الحسى ، والتذكر ، والتخيل ، والتفكير ، والاستدلال ، والتهم . والرأى الثانى أن الذكاء هو التصرف ، أو هو حل مشكلة من المشكلات ، وبمعنى آخر لا ذكاء إلا فى العمل وفى النتيجة ، وهذا رأى حديث نستطيع القول بأنه نتيجة الفلسفة العملية التى سادت أمريكا ، والى يسمونها برجماتزم PRAGMATISM ، أما قياس الشئ بنتيجته فمرفوف ، ولكن فى مجال

آخر غير مجال علم النفس ، في ميدان الاخلاق ؛ قال ابن ربيع في كتابه سلوك المالك (١) :
 « فأول نعمة أنعمها الله على الأعجم والفصيح حياة الروح ، لأن الحياة يدق الذوات ، وينال
 الشهوات ، وهي نعمة عامة على جميع الحيوان ليست خاصة للإنسان ، لكن النعمة التي بها مخصوص
 العقل (٢) وبه حصل له النبل ، وبقوته ملك الحيوان وقهره ، وساس الأشياء ودبره . والآخر منه
 العلم وهو نتيجة العقل ، وبه التفاضل بمقدار النقص والفضل ، وبحسب الطلب والحث ، وبقدر
 الفحص والبحث ، وغاية ما خلق له وطلب منه العمل ، وهو الذي أجرى إليه وأنبأ عليه ..
 ولا حياة بالحقيقة لمن لا روح له ، ولا عقل لمن لا حياة له ، ولا علم لمن لا عقل له ... وقد
 سبق القول أن الذي خلق له الإنسان وأريد منه هو العلم والعمل » .

بهذا التعريف الثاني الذي فصله العلماء المحدثون تفصيلاً حسناً ، نستطيع التفرقة بين ذكاء
 الحيوان والإنسان ، إن كان للحيوان ذكاء ؛ وقد فطن القدماء إلى مثل هذا ، ولو أنهم يخلطون
 حديثهم بالمسائل الدينية ، فقد قال ابن مسكويه (٣) : « ثم لا تزال هذه الأحوال تزايد في الحيوان
 حتى يقرب من أفق الإنسان ... كالقردة وما أشبهها ، ويبلغ من ذكائها أن تكفي في التأدب
 بأن ترى الإنسان يعمل عملاً فتعمل مثله من غير أن تحوج الإنسان إلى تعب ورياضة لها ، وهذه
 غاية أفق الحيوان التي إن تجاوزها وقبل زيادة يسيرة خرج بها من أفقه وصار في أفق الإنسان الذي
 يقبل العقل والتمييز والنطق والآلات التي يستعملها والصور التي تلائمها » .

ولا نريد أن نفرض رأى ابن مسكويه طويلاً فرأيه في الذكاء بالمعنى الذي نريده وهو
 ما يرادف الكلمة الأجنبية INTELLIGENCE ظاهر الخطأ ، إذ محاكاة القردة أو أي حيوان
 آخر أو الإنسان نفسه إذا ما كان غير لا يعد كل هذا ذكاء ، وإنما هو شيء آخر ليس مجال بحثنا
 اليوم ؛ ولكن ما أريد أن أفق عنده في رأيه مسألتان : الأولى تقسيمه العمليات العقلية
 إلى آفاق ، فهناك الأفق الحيواني ، ثم الأفق الإنساني ، وهي فكرة في مجموعها صحيحة ولكنه
 لا فصلها التفصيل الكافي ، وهذا الأفق الحيواني والإنساني يسميه المحدثون المستوى
 NIVEAU ، وقد تعود إلى بحث هذه النقطة فيما بعد ؛ والمسألة الثانية هي شرحه للأفق الإنساني
 بأنه يقبل العقل والتمييز والنطق والآلات التي يستعملها ، يريد الحواس والمدرجات الحسية ، ثم
 الصور التي تلائمها ، وهذه في الواقع هي بالتقريب كل العمليات العقلية التي يتكون من مجموعها
 الذكاء كما قدمنا ، وبما ذكر (بينيه) عندما أراد قياس الذكاء .

ثم يقول في موضع آخر ، وهنا يطابق رأى ابن أبي ربيع ، ولو أنه ليس واضحاً وضوحه ،
 ويطابق الرأي الذي نذهب إليه من أن الذكاء هو التصرف فيقول : « وأواخر الزنج وأشبههم

(١) كتاب سلوك المالك في تدبير المالك لشهاب الدين بن أبي ربيع - طبعة الكردي بمصر ص ١٢ و ٤٣ .

(٢) يريد بالعقل الذكاء .

(٣) تهذيب الاخلاق لابن مسكويه - طبعة الكردي ١٣٢٩ هـ ص ٨٣ و ٨٤ .



قبل أن يستعمل القرود العصا يجب عليه أن يبنى مرتعاً من الصناديق،
يضعها تحت الشيء الذي يقصده ، حتى يستطيع الوصول إليه.

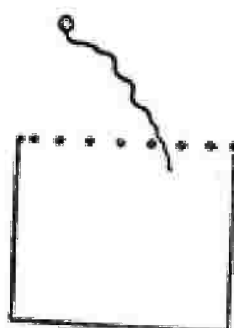
من الأمم التي لا تميز عن القروء إلا بمرتبة يسيرة ، ثم تزايد فيهم قوة التمييز والفهم إلى أن يصيروا إلى وسط الأقاليم ، فيحدث فيهم الذكاء ، وسرعة الفهم ، والقبول للفضائل ، وإلى هذا الموضع ينتهي فعل الطبيعة التي وكلها الله عز وجل بالمسوسات ، ثم يستعد بهذا القبول لا اكتساب الفضائل واقتنائها بالإرادة والسعي والاجتهاد »

بهذا الرأي عن الذكاء ، وهو وجود مشكلة يحاول الإنسان حلها ، ويتقدر توفيقه في الحل يكون ذكاءه ، نستطيع القول بأن الحيوانات الراقية عندها ذكاء ، ونستطيع من ناحية أخرى معرفة مدى هذا الذكاء بملاحظتها ملاحظة خارجية عند تحقيق بعض الأعمال ، طالما كنا لانستطيع أن نتغذى إلى عقل الحيوان ومعرفة ما يدور بخلفه ، وقد يقول قائل : إن أعمال الحيوان التي ندعي أنها نتيجة الذكاء ، إن هي إلا أعمال غريزية لا تدخل للعقل فيها ، ولا سلطان له عليها ، أو هي نتيجة التجربة وحذف الأخطاء ESSAIS ET EREURS ولذا وجبت التفرقة بينها . فالأعمال الغريزية هي سلوك فطري أمام مؤثر خارجي ، وهذا السلوك نوعي أي عام في جميع أفراد النوع ، ولا يتغير بتاتا أمام هذا المؤثر الواحد ، بينما أعمال الذكاء هي على العكس من ذلك : غير موروثية ، وشخصية ، ومرنة ، وتصدر عند مؤثر أو موقف جديد يتغير غير ثابت . يجب إذن إذا أردت مشاهدة ذكاء الحيوان أن تدفعه إلى موقف لم يسبق أن وقفه ، ولم يسبق له أن تصرف فيه وسلوكه ، ثم ترى ما ذا يفعل ؟ وهذا ما عمله العالم الألماني (كوهلر) في تجاربه على القروء الراقية المسماة « الشمبازي » والتي أودعها كتابه « عقلية القروء » ويعتبر كتابه هذا حجة لكل من أراد الاطلاع على عقلية الحيوانات ممثلة في أرقاها وهي القروء .

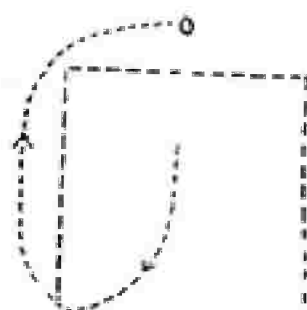
ولنتقل ما يقوله (كوهلر) في هذا الصدد : « إذا قدمت إلى قرد غذاءه ، فانه ينحو إليه الطريق العادي : الخط المستقيم ، فإذا اعترض الطريق عقبات مختلفة الأنواع والأحجام كان عليه أن يجد لنفسه مخرجاً ؛ إنك لا تجد أي قرد يضطرب أمام العثرات المعقدة التي تصعب على الكلب أو القط ، وتكون أكثر صعوبة بالنسبة لقرخة ؛ لنفرض إذن أن هذه العقبة كأداء لا يستطيع أن يتخطاها ، ولكن الهدف (ليكن أي نوع من المأكولات أو العلكة) مربوط بخيط طرفه في متناول الحيوان ، تجد القرد يعرف كيف يستعمله لجذب الهدف الذي هو في دائرة بصره ، بينما يعسر على الكلب هذا العمل ، مع عدم وجود أي عائق فيسولوجي يمنعه من ذلك .

والآن إذا كانت هذه الآلة - التي تستعمل في الوصول إلى الهدف غير متصلة بالهدف وكانت عصا يجب استعمالها للوصول إلى الغرض ، فأنك تجد أن أي قرد منخط لا يستطيع استعمالها ، مع أنه يستطيع إمساك العصا بيده ، إنه يسحب العصا إذا مارأها متصلة بالشيء ، ولكنه لا يستطيع أن يبيد هذا الاتصال المنقسم بل لا يحاوله ، وعلى العكس من هذا يستعمل الشمبازي العصا كما يفعل الإنسان .

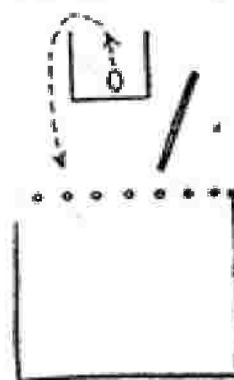
فإذا تعقدت المسألة أكثر من هذا ، فوضع الهدف في صندوق مفتوح من أعلاه ومن الجانب المضاد للتقصص ، كان على القرد للحصول على الهدف أن يدفعه ، وأن يبعده عنه ، حتى يخرج من هذا السوار إذا ما ضرب حائط الصندوق العرضي ، فالغاية النهائية هي تقريب الشيء ، والوسيلة أو الغرض الثانوي هو إخراج من السوار المحيط به بإبعاده ، فهذا العمل الثانوي لا معنى له في ذاته إلا بالنسبة للعمل الرئيسي ، ثم هو فوق ذلك يجبر الحيوان على أن يغالب النزعة الطبيعية لتقريب الشيء منه ؛ فأذكاء الشمبانزي وحدهم هم الذين ينتجون حلاً صحيحاً لهذه المشكلة .



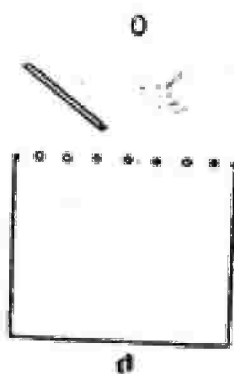
c
قص ذوقضبان
والهدف مربوط بالحيط



a
سور
يجب أن يلف حوله



e
يجب أن يبعد الشيء عنه
مع استعمال العصا



d
مشكلة استعمال العصا

جميع هذه المواقف الصناعية جديدة على الحيوان وتتطلب من ناحيته ابتكاراً يجب أن تتوقف تصاعيفه على الظروف .

فأنت ترى من الأمثلة السابقة أن تصرف الحيوان فيها هو نتيجة الذكاء لأنه خاص ببعض الأفراد دون النوع ، لأنه تصرف في حل مشكلة جديدة وغير ثابتة ، فهو تصرف غير غريزي .
أحمد فؤاد الأهواني

فاطمة

بقلم الاديب عبد الحميد المصري

انحدرت فاطمة من صلب أبيها طفلة وضاعة الجبين مشرقة الوجه ، أخذت تنمو في طريق الحياة كزهرة مزدهرة تعلمن عن نفسها بالرفقة والملاحاة ، لا حظ لها إلا تضيئة الوقت ، لعبها طروباً مع زميلاتها وصوت عباتها ، وبفضل ما حبتها به الطبيعة من تاج الحسن والدلال أقر لها الفتيات عن مليحة خاطر بالرياسة في كل أدوار اللعب ، مع أن فيهن من يفقنها سناً ، ولكنها سنة الله طبعت النفوس على النظام والخضوع أمام عظمة الجمال وأهنته ..

لم تكن فتاتنا من فتيات القصور أو ربوات الخدور ، بل لم تكن تلك من حطام الدنيا سوى بهجتها وروائها : روحاً وخلقة وخلقاء ، وكمن في التفيرات من يستحقن بمقدارة تسخير بنات القصور بين أيديهن وتحت أقدامهن ..

عزمت أسرتهما على الترحال ميمعة القاهرة عليها تجدد فيها من أبواب الرزق ما يسد مطالبها ، وفي حى السيدة ، لقت عصا التسيار ، وسعى رب الأسرة في إلحاق ابنه وبنته الثانية للخدمة في البيوت ، وبقيت فاطمة سالوة وقرّة عين ، وكأن سحرها أبقى على أمها قبول زوجها في بيت تهاون فيه وتضام ، فاحتفظت بها لتخصصها بنصيب من العناية وأقر ، إذ تؤمل لها مستقبلاً في دولة الحسن والدلال . وإن من يرى الفرق بينها وبين بقية الأسرة ليحكم بأنها ورثت هذه الصورة من جدة عليها بعد أن توارث حقبة من الزمن ..

مرت الأيام يتلو بعضها بعضاً ، والأسرة يرفرف عليها طائر المحبة والحناءة ، فأنعة راضية لا تحتاج إلى مزيد ، ولا تقطع في ادخار... وجفأة ، اقتطع الرجل عن عمله وبقي الشهر والشهرين معللاً نفسه بالمرض فلم يعثر على ضالته ، ولم يجد عملاً يرتزق منه ، وأصبحت أجرة أولاده لا تكفي المعيشة ، وصارت الأم أمام واقع فاضطرت مرغمة بين اليأس والقنوط إلى إبداع ابتئها عند « ح . م . بك » مقابل إلحاق زوجها (بشلة ميري) . انصرف حبل الأيام وانقرط عقد العام حتى سمح الخدم وقبل تعيين أجرة لخادمته بعد الإلحاح الشديد بالإبقاء تارة وبالإشارة أخرى . درجت فاطمة في أحضان البيت كطفلة يهد إليها بحمل حقيبة محمود إلى المدرسة وملافة صبيها والعودة معه عصرًا . لم يجد الطفل الساذج غضاضة من تضيئة وقت فراغه في اللعب مع خادمته الخفيفة جرياً في الشوارع ، واختباء في الحديقة ، وهروباً بين الدواليب كأفراخ العصافير تروض أنفسها

على الطيران ، أو كصغار الغزلان تجد لفة في الجرى والقفز والعناق ، وكلما تقدمت الخدمة في السن استروح غصنها وبرزت محاسنها؛ فأصبحت فتنة للناظرين ، ومحط أنظار المارين . وطمحت نفس محمود الفتية في أن تبقى خادمتها ملازمة له في غدوه ورواحه كما سبق عهدا، لكنها خضعت للتقاليد فأنزرت بالملاءة والتفت بها في انتظام، فبدأ وجه البدر ليلة تمه ، وعلى جانب صفحة الجبين تدلت خصلة من الشعر هامة في قوس الحاجبين « إن هذا لسكر مبين » .

شب محمود نزع من الحياة الهائجة المضطربة التي ليست لها غاية تدرك كما كان يتصورها، خرج إلى الحياة المحدودة ، الحياة الشخصية التي جعلته يحصر تفكيره في نفسه ، فألقى قلبه مليئا بالرغبات والميول ، والازعاج والأهواء ، وما زادت الأيام إلا تنقيا في ذهنه ، وإرهاقا في أذنه ، وتحديدًا في مدركاته ، حتى أصبح شغوقا ببيع ما يتفوه به الشباب في المدرسة من أنواع الخلاعة وضروب الدعابة التي تجري لهم مع جاراتهم ومرمحات الشوارع ، فتوقفت عواطفه ، وأرغمته على تقديم الغذاء لها ، تبصص في الطرقات فأكثر ما وقع عليه نظره وجوه سويت تنوءاتها، وملئت تجاعيدها بالأصباغ، والادهان، فعاقت نفسه وأعرض ونأى بجانبه؛ ولما لم يجد في الخارج ما يطقى، ظمأه ، ويشبع نهمه الذي أبقظه خلان السوء، لم يجد بدا من الالتجاء إلى طريق آخر . نظر فلم يلق إلا الكعاب الحسناء (فاطمة) فوقع بين تارين ، واضطرب بين سميرين ، أيسمح لخدمته بأن تكون أول من يلج قلبه أم يكبت عواطفه ويكبح جراح نوره ؟ لم يصل عقله وتبلغ به إرادته إلى التغلب على وجدانه، وهو الحدث ريبب النعمة واليسار ، وبأكورة أم أعقبته بنان بعد عقم طلال ، فأولتها حنانا زائدا ، وحبها شفقة غائقة ، وأحمة أن في رفع الرقابة عن ابنيها وإطلاق أيديهما في كل ما يصلان إليه ذريعة إلى إسماعدها ، وإنعاش الروحهما ، وفتحها جديدا في حياتهما الهنيئة ..

ازداد محمود عناية بهندامه ، وأكثر من الوقوف أمام المرأة ليطمئن إلى وسامة طلعتة ، ورشاقة برته ، ثم فكر في تلك التي تمكنت من التسلط على قلبه ، وإشغال لبه ، وفكر طويلا في كيفية الوصول إليها ، وإعلامها بما يكنه لها ، بل من يضمن له أن تقابل المثل بالمثل فتبادله العواطف وتقاسمه اللواعج ، وهي الرقيقة التي من أخص صفاتها التحصن والعفاف ؟ وبالرغم من تجاوزها منتصف العقد الثاني مازالت تتبعه بحقيقته جريا وراء العادات القديمة البالية التي تركزت في رهوس المصريين الذين بلغ بهم جهل التربية إلى الخوف على أولادهم مما لا يخاف منه فيشبهون جبناء متوا كان غير وأتقين من أنفسهم فتموت فيهم صفات الرجولة ، ويعيشون هيابين وجلين فيسبقهم غيرهم في مضمار الحياة ممن أوتوا شجاعة وإقداما : وما الحياة إلا للشجاع المقدم في حزم و يقين ..

لجأ محمود إلى ما يلجأ إليه كل غر في دور المراهقة، فتارة يعرج في طريقه على بائع الحلوى

فيرضى نفسه بواحدة وفاطمة باثنتين، وأخرى يلزمها ملازمة القائل لصاحبه مدفوعاً بحرارة قلبه النائر، وهو لا يجروء على مصارحتها ومكاشفتها، وثالثة يتحين الفرص ويكثر من إلقاء أوامره عليها، لاجبا في قضاء مطالب بل توفانا إلى محادثتها ومكالمتها، إذ كان يجد في ذلك برذا وسلاماً على قلبه، وفاطمة من طبيعتها الهدوء والسكون وحب العزلة مما يدل على الثبات والرزانة فكان ذلك مشعلاً لوله محمود فعمظت في عينه، ومرور الأيام ضاعف شغفه بها فتعددت تفحاته وتنوعت مبراته ..

لاحظت فاطمة على ابن سيدها تغيراً في سلوكه عن أيام الصبا وتبدلاً في معاملته فدهشت وصعدت إلى التفكير في الأمر، ولكن سرعان ما تركت التفكير جانباً، وغرقتها الهدايا وأمرتها العطايا، وأرجعت ذلك إلى كرم الأبناء، وسخاء الشبان الذين لا يعنيه من أمر المعيشة إلا أنفسهم فعمظته وأحلت له منزلة تليق به، ومالت إليه ميل الفقير إلى الحسن إليه، وميل المريض إلى من خلص حياته من برائن الموت، ميلاً بريئاً خالصاً من شوائب الادراخ. رأى منها ذلك فصره حسب هواه، وظنها بدأت تحس وتشمع بما يخرج في صدره فتقدم في ميدان الجهاد جاعلاً دروسه دير أذنه وتحت قدمه وصار يختلس الأوقات ليجالسها ويلقى على أسماعها ما يبلله من الحوادث الغرامية التي كان يستمع إليها من خلالته فوقعت كلمات الحب والعشق والغرام في نفسها موقع البذور في الأرض الخصبة فنشأت في النماء شيئاً فشيئاً ومحمود يرودها بطيب هباته وممسول حكاياته وخب وعوده حتى ترعرعت الشجرة في حشايا صدرها وتفرعت أغصانها في حنايا ضلوعها، فكلمها أحست بمحمود يكلمها، هبت رياح هيامها على أغصان الشجرة فحركت ذوائبها وعلا الصدر بنهوده وانخفض تبعاً لحركاتها واستمتع ذلك تصعد الزفرات الحارة في رنين التهديدات الكاوية ..

وقت السيدة على بعض السر وأدركت ما بين الفتى والفتاة من تبادل النظرات واختلاس الابتسامات، فلم تأخذ للأمر عذته ولم تحفل بالعاقبة، بل دفعها حنو الجاهلات للمستهترات إلى الاغضاء عن فتى يقوده الترق ويحدوه العليش، فتفقدته عند الرقاد في إحدى الليالي فلم تجده في سريره، فأطلت من نافذة الغرفة في الطابق الثاني على بهو خلف البيت لتسأل عنه الخادمة فوقعت عن السؤال فجاء حين أبصرت ما أذهلها، أبصرت غرفة المايخ مضاعة وانسل من نافذتها ظل في حركة مستمرة، واقتراب وتباعده، فتتبعته بنفاسها حتى أتت على آخره فإذا أيدى تمتد لتجذب وأخرى تنبسط لتدفع، وإذا رأس للأمام تميل وأخرى للخلف تنحلم، فعمظت للأمر وأدركت سر الاشكال، فزلت بسرعة وبخطى خفيفة، وحتى لا تعاجز، فتأها بما يرعبه أو يخطر له قلبه تنظمرت بعدم المعرفة، وقالت ضاحكة: لماذا تضرب خادمك يا محمود؟ ماذا فعلت يا فاطمة حتى ينضب عليك؟ فكانت مفاجأة، وكان خجل احمرت منه الوجنات وتندت له الجباه ..

ضاق محمود ذرعا من تمنع فاطمة ولم يعد يستطيع صبرا على تجنبها، لا يلتفت بدرس ولا يفكر في كتاب، ولا يعد التفكير عن ذهنه ليله ونهاره حتى برحه الوجد وأضاء الشوق وانتهى به الأمر أن رفت من المدرسة لسوبه سنتين فما أدم ولا حزن، ولم يهتم أو يحزن؟ ونفسه نائرة، ونزعاته عطشى، وعقله عتف، وثروة أبيه فيها مطمع، وليس وراءها مترع... يئس منه أبوه ولم يدر من حبه شيئا، فلم يبال بغضب أبيه مادامت له أم تحميه ومن شر العدوان تقيه..

زادت أوقات الخلوة بفاطمة بينها وبينه، يناجيها وتناجيها إذ وثقت من براق وعوده بأنه لها دون سواه، وهي له لن تتخطاه، فحفظتها هذه الثقة وما ورثته من عفاف قروى إلى تحصين نفسها، والتحرز من سقطات نزعاتها فما كانت تلبى نداء الخلوة أو تستجيب لهاتف الغفوة، وإذا قد تجاوز القتي العشرين وبرزت حياته العقلية الرزينة نوعا ما، ونازعت منازع الوجدان منازعة ما... ففكر في الأمر مليا عليه ينال خلا مرضيا، فاما سلو، وإما إقدام، فانهى به التفكير إلى الضن بفاطمة، والحرص عليها من الاقلاط، وهي التي درجت معه من الصغر وشبت وترعرعا سويا:

علقتها غرا غلاما نكثنا غرض الشباب وعلقتني جارية
حتى استويننا لم نزل لي خلة أبكى إذا ظننت بعين باكية

وأصبح محمود لا يأبه بما يشترطه الشبان عند إرادة التبنى على عروس من ضياع وعقارات وأموال، بل عول على الثقة والجمال والاخلاص، وعد فقرها وهي متوجة بهذه الصفات بمحبة أخرى يزدان بها مفرق الجبين. غابت عنه خليلته الهيفاء ليلتين في زيارة أسرتها فكانت أول مرة أحس فيها بنار البين تكوى كبده، وتلتهم صبره، فأدرك ألم الحب وذاق طعمه، وعرف كيف يكون في البدء سلوى وفي النهاية جراً، لازمه السهاد، وعافه الرقاد، فطلق يقطع أرض الحجر جيفة وذهابا، وأمل من النافذة فأبصر قرصا أبيض على بساط من زبرجد فأنشد:

قد قلت للبدر واستعبرت حين بدا يا بدر ما فيك لي من وجهها خلف
تبدو لنا كلما شئنا محاسنها وأنت تنقص أحيانا وتنكسف

فلما عادت الخلية وهي عازمة: إما على إرجاع فتاها عن هذه الخطة التي طالت فطالت معها التباريح، وإما على الإقدام من طرقه للشروعة إذ قد طلب يدها كثيرون وإن لم يبلغوا معشار ما بلغ من الثراء والجاء، فوجهة نظرها أنها ترى سمادتها في الاخلاص للتبادل، والتفاني في المحبة، ولما كانت أحكم منه عقلا وأجراً، أو مات إليه بدخيلة نفسها فصمم على تلبية نداءها، وإجابة متمناها، وطلب إليها الثاني، ثم قصد أمه سو قد جرأته على عدم الداراة فقال لها وهو يحاورها: اثنتان وعشرون سنة! ألا تكفى للتفكير الآن في.... في أمر الزواج؟ فظنته

سازحا كماداته؛ وأخذت تجاريه ذاكرة له فتيات أغرابا وقريبات، وكل واحدة يسوئها في عين والدته ويأني لها بحكايات مختلفة، ولم يك ذلك في يوم أو يومين بل مرت أيام وما يتحاوران حتى استطاع بخداعه أن يبذر بذور الجد والرغبة الحقيقية في زواجه في عقل أمه، فهمت هي بالأمرو شاع خبر بحمها، ولكنه يعاكسها في كل من تذكرهن له حتى أيست، بل حزنت أن لم تزوج ابنها وتمتع بذرايه، فاستغل هذا الظرف وكنى لها عن رغبته في التبنى على... على... فاطمة... فعضت على نواجذها. ولا أمر في الخلق من بنان الندم! وأدركت أنها أهملت وأخطأت حيال ابنها، وعزمت على أن تحول بينه وبين مراميه ما استطاعت إلى ذلك سبيلا. واهمة أنه هاذ في قوله، غير جاد في دعواه، فأحكمت المراقبة، وجدت في التجسس، كل ذلك والآب على غير علم بالثرر الذي يتطير في بيته..

أحس اللتي والفتاة بما يحبك حولها، فارتعدت فرائص فاطمة في حين ازدادا تعلقا وشغفا، تسليا بالدموع يسكبها، والزفرات يصعدانها وتمثل محمود بقوله:

ولو نظروا بين الجوانح والحشا رأوا من كتاب الحب في كبدي سطرأ
ولو جربوا ما قد لقيت من الهوى إذا عذروني أو جعلت لهم عذرا
لم تكن التوسلات، ولم تشفع التضرعات حتى أيسا من الخلاص وزاد يأس محمود إذ علم أن أباه قد علم بطبيعة الخبر، فأرغى وأزبد؛ وهدد وتوعد، وشرع في البحث عن ماله لطرده فاطمة، فلم ير الفتى إلا القوة يشهرها في وجه أبيه وأمه فيرغمها على الخضوع لأبيه، ولم يقصد بالقوة قولا بقوله، أو سيفاً يستله، أو سلاحا يصوبه، بل أمر آخر أمر وأوجع... عجل بالأمر وعجل، واتهم غطيظ أبويه في نومها وسارع إلى الحسنة الكاعب في الطابق الأرضي فتذا كرا الخطر الذي يندرها، ويلوح لها بهد كيانهما؛ ثم أخذ يهدى روعها كالغزال في شبائك الصيد، ويمدها بالأخوف عليها، ويمنيها في إيقان وتأكيده حتى اطمانت إليه، ومالت عليه، فضمها وطلوقها، فغابا عن رشدهما وشملتتهما غيبوبة الثورة، فلم يبقا إلا وقد حكم القدر حكمه وقضى الأمر المرير... الأمر الذي كانت تخشاه الفتاة وتحذره، الأمر الموجه لأبويه أيضا، فأوقفهما مشدوهين أمام الواقع فجعل الآب إلى والدته الفتاة طالبا يدها بدعوى أنها تربت في أحضانهم، ووقفوا منها، ومالوا إليها، وليسوا من الذين يتأفقون من مشيقاتها، فأبى والدها وتمنع، معتقدا أن زواجها بتغير مثله أجدى لها، وأبقى على رابطة الزوجية، وما زالوا به جميعا حتى تنازل عن تمنعه..

مرت أيام قلائل وبدأ منكر ونكير يعملان بحرق على تخليص ابنهما من هذه الفقرة التي تحط من قدر الأسرة؛ وتسمها بسمة العار، مغرورين بما ينعمان فيه من بدخ ورقة، متناسين أن الحياة التي واتهما؛ وأسبغت عليهما حباها قد تواتى فقيرة كهذه، وترفعها فوق أترابها

وقريناتها . ضرب الفتى برأيها عرض الحائط بعد أن يش من إقناعهما وتخطئة فكريتهما، فذب ديب الغيرة في قلب الأم ، وأخذت تصب جام غضبها على العروس فقابلتها هذه بالخضوع، والتفاني في الطاعة والتجاة ، محاولة أن تبرهن لها على أن ستكون لدم العبد ونعم العشير ، ولما لم يجد كل ذلك لم تيأس بل اتفقت على التمازج لتنفرد في بيت أبيها أياما، عل ثورة حماها وحمايتها تهدأ ، وإيذاءها ينقطع ، وتبرمهما بإيهما ينمحي ، فازدادت الأم الجهول ثورة على ثورة وحنقا على حنق حتى تعب فؤادها ومرض قلبها فذبل جسمها ، ولازمت الفراش ، ولم تمهلها المفادير حتى تجرعت كأس تصرفها سريرة، وذهبت ضحية التثبث بأذيال زوج غنية موسرة لابنها ..

واصل الأب حبل التفكير في الفارقة بين ابنه وبين من عاشرها في صباه فراقته له، وخالطها في شبابه فأحبها، وفتح بها كزوج فأخلص لها. ولما جاء الأب بعروس جديدة له تعهدت هذه بتثبيت الشمل، لا بين التي وفتاته، بل بين والدوا ابنه، فعمدت إلى الفتى بالتقريع مرة ، وتذكيره بأمه أخرى ، وبالأمانى الطيبة ثالثة وبالحرمان من الميراث رابعة ، فلا عجب إن رأينا الذي أطبق على عروسه بين الشفاف والقلب، أن رأينا حدثه تنكسر ، وشدة تمسكه بها تقتر ، وصلابته تنزعزع أمام هائف نعمته بالعاق لآمه الجحود بأبيه . بانت منه فتاته وألقى نفسه فريدا وحيدا لأم ولا زوج قفر من زوج أبيه وشجر الخلاف بينه وبينها ، واعتقد أنها خدعته فاقترف أمرا إذا وأقدم على فعلة شنعاء ذهبت ضحيتها عروس ما أضمرت شرا ، وما حوت إلا طمرا، وبالتالي أخذت زوج الأب في التخلص من الفتى كما تخلصت من فتاته فوسوست إلى الأب وسلطت شيطان إبعائها ، وبذا فقد البيت اثنين من مؤسسه: أحدهما ضمه القبر مهموما، وثانيهما يشغل الآن في البحيرة بالكفاءة مطرودا، ثم فاطمة التي ما فتئت تبكي حظها وتندب بعلمها ، وتنعى على المدينة ما فيها من تدهور وانحطاط .

لم يقف سبيل الكارثة عند هذا، بل ما لبثت الزوج حتى دب ديب الشقاق بينها وبين زوجها، وكيف لها أن تستقر معه وهي الفتية الطروب وهو الرجل الكهل لم تجد فيه ما يشبع رغبتها، فباتت منه بعد أن سلبت يده وصبره وتركته كئيها لا أمين ولا نصير .

هكذا تأتى دولة الفساد الا الشيوع والديوع بين طبقة المقتدرين فيصوبونها إلى نخور الضعفاء الوادعين ، فاما أن ينحدروا نحو حياة العريضة، وإما أن ينتهى أمرهم بمأساة كهذه قاضية على الظالم قبل المظلوم .

عبد الحميد العمروسي

الفوتغرافيه والادب

طالعنا الصحف في أواخر شهر مارس الفارط ، بنياً انتحار المستر جورج إيستان المليونير
الامريكي ، مخترع آلة التصوير الفوتغرافي ، المعروفة باسم كوداك ، ولمناسبة اقضاء أجل هذا
المخترع ، رأيت أن أنشر على صفحات هذه المجلة المحبوبة من الجميع ، شيئاً عن الأثر الباقي
للجيل ، الذي قد أحدثته الفوتغرافيا في فن الأدب العربي الحديث .

إن مزيا انتشار التصوير الفوتغرافي بيننا لم تكن محصورة في تخليد ذكرى المشاهد
التاريخية النادرة ، وصور الأشخاص ، أو ترقية فن الصحافة غلب ؛ ولكن قد أصبحت
لا انتشار التصوير الشمسي مزيا أخرى ، بمعنى أنه قد أدخل على آدابنا لونا جديداً من ألوان الشعر
العصري ، لم يكن معروفاً في ماضي الشعر ، وهذا الشعر الجديد ، هو ما تعود شعراؤنا
كتابته على صورهم الشمسية ، سواء أكان ذلك للاحتفاظ بها لديهم ، أو لاهدائها إلى أصدقائهم ،
ومن هذا الشعر أيضاً ما يكتبه الشعراء على صور أولئك الاصدقاء ، تقديرآ منهم لوفائهم .

وهو كما أسلفت ضرب من الشعر جديد ، ولا عهد لأدينا العربي به قبل ٤٨ سنة ، أغنى
قبل أن يخترع المستر إيستان الفوتغرافيا في عام ١٨٨٤ م .

وإني سأعرض فيما يلي نموذجات وقع عليها اختياري من هذا الشعر الفوتغرافي :

صورة من غير روح !

وفي طليعة الذين نظموا في هذا المعنى ، أمير الشعر والشعراء أحمد شوقي بك ، فقد
بث يوماً لأحد أصدقائه بصورة الشمسية بعد أن كتب له عليها :

سعت لك صورتني وأتاك رسي وسار الظل نحوك والجهات

لأن الروح عندك وهي أصل وحيث الروح تسكن الملحقات

وهيها صورة من غير روح أليس من القبول لها حياة ؟

أخاف أن تنساه !

وقد أتيج لي أن أشاهد صورة للرحوم ولي الدين يكن ، مهداة منه لصديقه فقيد الصحافة
الكاتب الفكاهة ، الأستاذ سليم مركيس ، وعليها هذه الأبيات الرقيقة ، مكتوبة بخط ولي
الدين البديع وهي :-

هي صورة لأخ أسوت كلومه ولقلما واسبى سواك أخاد

يريدكها لا خوف نسيان له ما مثل قلبك تنقضي ذكراه !

لكن أتاني منك فضل أخوة فأخاف يا (مركيس) أن تنساه !

الحياة سباق !

حدثني صديق مصري قال : كان شيخ الأدباء اسماعيل باشا صبرى ، يزور في ذات يوم منزل صديقه الأستاذ سليم ، الذى تقدم ذكره ، وفي الوقت الذى جلس فيه الاديبان الكبيران يتباحثان في المواضيع الأدبية ، ويخوضان بحور الشعر منتقدين ومقرطين ، كان الطفل «أنور» نجل صاحب الدار ، يلعب بدوره أمامهما بكرته يدحرجها، ثم يذنى يمدو خلفها ، ويتمتر ويثب في خفة ورشاقة، كأنه رشاً غرير، على وعاء الرمال !! وضحكات الطقولة الناعمة تملأ شذقيه، وتتدفق من بين شفثيه ، وبعد أن يظفر بألعوبته يستأنف دوره من جديد .

وقد نبه لعب هذا الطفل دوره شيطان شاعرنا صبرى من غفوته ، فطلب إلى صديقه أن يقدم إليه صورة طفله « أنور » التى كانت تزين أحد جدران قاعة الجلوس :

فأتاه بها فتناولها وكتب تحتها هذه الأبيات التى أملاها عليه شيطانه العبقري الظريف ، هذا إذا صح أن الشياطين هى التى توحى إلى الشعراء بما يقولون ، قال :

هذا شبابك ياسليم تزينه تلك الخلال الفر والاخلاق

حاكك «أنور» منلما حاكته فبامضى فتبارك الخلاق

أنت الذى علمته نهب الخطي وأريته أن الحياة سباق

وقد ورد ذكر هذه الأبيات فى المحاضرة التى ألقاها الأستاذ محمد صبرى، عن اسماعيل صبرى بالجامعة المصرية .

رق ديني ورق مالى

الأستاذ بشارة الخورى صاحب جريدة البرق البيروتية ، شاعر من شعراء الشام الافذاذ ، وقد قال عنه أحد الأدباء ، إن لم يسم جريدته « البرق » فروحه كالبرق تشيقك وتروعك ! وأقول إنك لو اجدت فى أبياته الآتية التى نشرت قديماً تحت صورته ، شيئاً من روعة تلك الروح الشائقة ، قال والآسى العميق يساور نفسه :

عشت شقياً ولم أبال ولم يمر الهنا ببالى

أغلل النفس فى نهاري وألزم الدرس فى الليالى

رق شعورى فرق جسمي ورق ديني ورق مالى

صورة الحبيب

وقال الأستاذ المقاد يناعى صورة حبيبه بأبيات وجدانية منها :

كملت صنعة المصور فيه وتحدثه صنعة الرسام

هى نور من السماء وظل وارف للجمال والالهام

ما أحبلى ابتسامه فيه تنبى وقليل جداً بقاء ابتسام

إيه يا صورة الحبيب ألى وأنيرى لبالى المستهام

خذ فكرتى

وقال الأستاذ أمين ناصر الدين يناجى رسماً راق في نظره ويندب نكد طالعه :
أراك يارسم لا تنفك مبتسماً أذاك شأنك أم ذوق الذى رسماً
تستقبل الصبح جذلاً بلا سبب ولا يسوؤك أن تستقبل الظلماً
كفأك يارسم غفراً أن مثلك لم ينقل لحاجته فوق الثرى قدما
كفأك عزة نص أن تدوم ولا تأنيك منه إنسان قد احتسماً !
أراك تصيح صما فيك من طرب وإن عدت لساناً ناطقاً وها !
لك الطبيعة صفو العيش قد قسمت وضده وجزيل اليأس لى قسماً
كن موضعى ولا كن رسماً فذلك لى خيرو خذ فكرتى والطرس والقاسماً

نفع بلادى !

وقد كتب صديقنا ومواطننا المحبوب، الأستاذ توفيق أحمد الطالب الآن بالجامعة المصرية قسم الحقوق ، هذه الآيات السامية المعنى ، على صورة صديق له قد برأ منه لوفائه ، وإعجاباً بقوميته ، قال :

رمز الفضيلة قد تشكك قبل ذا فوق العيون وفى صميم قوادى
إن ضاع ذكر الحسين فأنما ذكراك فى الدنيا لغير نقاد
وإذا رجوت إلى البلاد سعادة فلائت من أرجو لنفع بلادى

حتى الأفكار

وفى أثناء مدة إقامتى بالقاهرة من ١٩٢٨ إلى ١٩٣١ ، قد تكرم صديق زجال مصر الأشهر، الأستاذ أبو الوفا محمود رمزى نظم ، يوم تشرفت بزيارة داره بحدائق القبة ، فى يوم ١٩٢٩-٦٠ ، فأهدانى رسمة الكرم ، بعد أن كتب عليه ارتجالاً هذا الجمل من زجله الرقيق
أعدي المبارك إبراهيم ابن السودان صورتي تذكراً
روحي وروحه متحدين فى كل شىء حتى الأفكار !

غضنفر فى وثاق !

اعتدت منذ بضع سنوات مضت ، أن أجتمع إلى بعض رفاق لى ، لنصرف أوقات الفراغ فى مذاكرة الأدب ، وقراءة ما استجد من كتبه ، وفيما نحن مجتمعون ، كعادتنا ، ذات مساء لندرس كتاب الأخلاق عند النزلى ، وقد وصل إلينا حديثاً ، لمؤلفه الدكتور زكى مبارك ، اقترح على أحد الرفاق ، أن أشرط الآيات الثلاثة الواردة تحت صورة المؤلف المنشورة بالكتاب .
وفد أيد بقية الرفاق هذا الاقتراح ، نسبة للتشابه الموجود بين اسمى والدكتور ، ولما لم أجد طريقاً للأفلات من هذا الاقتراح ، لمضايقتهم لى ، طلبت إليهم أن يهلونى برهة ، ثم طفقت

أحلق بأجنحة الفكر في سماء الخيال، أغازل بنات الشعر وأطاردها وأسترضيها ، وأخيراً أقدمت لرفاق الأبيات مكتوبة بعد تشايرها ، وقد أناولها قسطها من النقد والتعريف قلت :

«لم يند رسي ضئيلاً» كما ترون رفاق
ويبدو وجهي فيه «كالبر عند الحاق»
«إلا لأب الليالي» قد بالفت في شقاق
تباً لهذي الليالي «ومالها من خلاق»
«صيرتني في بلادى» مكل الارهاق
أحكي بشدة بأسي «غضنفرأ في وثاق!»

ولا يسعني هنا أن أضع القلم قبل أن أعلق على هذه المقطوعة بكلمة وجيزة :

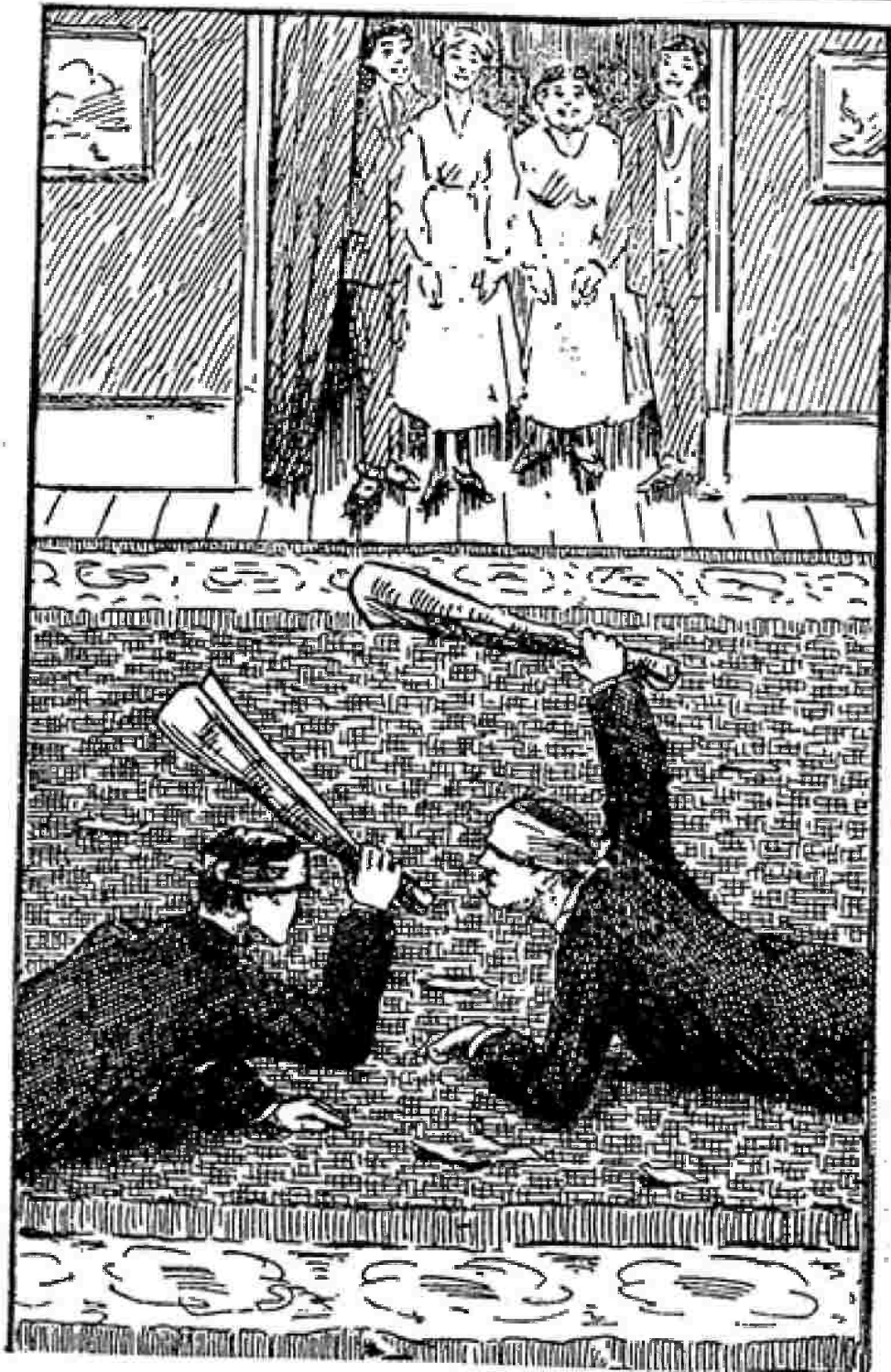
قرأت في الجزء العاشر من هذه المجلة الزهراء ، حديثاً مع الدكتور زكي مبارك وجه فيه حضره الكاتب للدكتور هذا السؤال: كيف ترى رسائلك القديمة التي كتبتهما قبل أن تعمك الحياة بهذه الألوان الجديدة التي تبدو عليك؟ فأجابته الدكتور بما اختصاره :

إن تلك الرسائل قد احتملت نظر آتى في الفترة التي كانت تعمده نفسي فيها حالة التطور ، ولا أكتفك أنى أرى أن هذه الرسائل قد احتملت آراء لم أنحول عنها حتى اليوم ، على أن بعضاً منها كانت تعمه خيالات لا أستطيع أن أواجهها الآن دون عاصفة من الضحك الوفير ، وبناء عليه أقول: إنه من المحتمل أن يكون الدكتور قد درج أبياته هذه — التي اقترح علينا تشايرها — في قائمة كتاره الأدبية التي أصبح يطالعها اليوم، وهو يهتز من الضحك من نفسه! كيف لا وهو يأبى أن يمثل ذاته في البيت الأخير بأقل من ليث هصور؟! أعنى وحشا مفترسا ، لا موضع في قلبه للمعاطف التي تواطأنا على تسمية بعضها بالشفقة والرحمة والوداعة والابتناس!

يقولون إن الانسان مدني بالطبع ، وأنا أقول ومتوحش بالطبع أيضاً؟! ولكنه كلما تعمق في بحر العلم الصحيح ، كلما سمحت مداركه ورفقت شمائله ودق إحساسه، وأصبح لا يرى شيئاً من الفضل في تشبيه نفسه «وهو ذلك الانسان المتعدين العالم» بأحد الوحوش الضاربة الخيفة التي كانت تعيش مع أسلافه وأبائهم الأولين ، في ظلال الغساب جنباً لجنب في فجر الحياة! ولكنني أرى على الرغم من إرتقاء عقل الانسان ، وتفننه في مختلف أنواع العلوم والادب ، قد يأخذ الحنين في بعض الاحايين إلى التخلق بعبادته الوحشية القديمة الموروثة ، وكثيراً ما يتجلى أثر ذلك الحنين إلى التوحش في أفعال أعرق الناس في المدنية وأقوالهم !!

المبارك ابراهيم

أم درمان (سودان)



أنت هناك ؟ ؟

[انظر القصة المزلية ص ١١٣]

التسلية المنزلية

الحياة المنزلية في الأسرة المصرية مفككة ، وقد قضت المقاهي على البقية الباقية منها ؛ وقد كنا إلى زمن قريب تراور وتواد في المنازل، ولكن قضى على هذه العادة السامية في الآونة الحاضرة، مع أن الأسر الغريبة تقيم السهرات في دورها وتحبب ذلك باستنباط المسائل المفرية، ولذلك لا نجد في بعض الممالك تلك المقاهي التي تعد من أهم الأسباب الدافعة إلى حجب الرجل داره، وعدم مولاته ملاحظة أبنائه وتربيتهم وتثقيفهم وتفكيك أواصر الصلة بينه وبين أفراد أسرته .

وإننا ندعو بكل ما فينا من قوة إلى لم شمل أفراد الأسرة بعضها إلى بعض، فيرتقى أفرادها بذاكرة الأحاديث الممتعة في الأدب والأخلاق، والقيام ببعض ألعاب منزلية بريئة، ترويحاً للنفس من متاعب العمل، ودفعاً للفكر عن التفكير في المشاغل الحبوية المتعبة .
وإننا موافقون قراء « المعرفة » ببعض هذه الألعاب موالين سرد مثلها في الأعداد المقبلة مع ذكر بعض أحاجي وألغاز شائقة عملاً على نشر فكرتنا البريئة.

١ - أكل البرتقالة



ترابط عصاية على عيني أحد الأفراد ، وتعلق برتقالة في خيط وسط الغرفة، على بعد يوازي رأس هذا الفرد، وتربط يده خلف ظهره أو يضعها في جيبه، وعليه أن يأكل هذه البرتقالة .
وهذه اللعبة يصح أن تلعب بدون وضع العصاية على العينين ، وفي هذه الحالة يقوم بها لاعبان، يضع كل منهما يديه في جيبه ويحاول أكل البرتقالة .
ويرى أنه من الصعوبة بمكان القيام بذلك ، وهذه الحالة منيرة للضحك .

٢ - أنت هناك ؟ (للرجال فقط)

توضع عصاية على عيني رجلين ، ويستلقيان على ظهرهما فوق أرض الغرفة ، وتجه قدم كل منهما إلى أحد الأركان، وتبعد رأس كل منهما عن الآخر نحو متر . ويعطى كل منهما جريدة ملفوفة لثة أسطوانية . وعندما يسأل أحدهما الآخر قائلاً : أنت هناك ؟ يجيب الآخر بقوله :

نعم ، فيضرب كل منهما حيث يظن أنه يصيب رأس زميله ، ولكل منهما أن يتقى ضربات أخيه بالتلحي عن مكانه ، دون أن يحاول القيام من مكانه .
وهذه اللعبة مسلية جدا ، وتبعث على الضحك الكثير (راجع الرسم على الصفحة رقم ١١٢)



٣ - مضاربة الديكة (للرجال فقط)

يجلس رجلان بجانب بعضهما على أرض الغرفة ، وكل منهما ممسك بركبتيه بذراعيه ، مشبك يديه على مقدم رجليه (وعند الحاجة تربط اليدين بمنديل حتى لا يفترقا) وتوضع عصاة بحيث تكون خلف مفصل الركبة ومقدم مفصل الذراع على اليد : ويحاول كل منهما دفع الآخر ، والذي ينجح في ذلك أولا هو الفائز .

٤ - النتائج الغريبة

تعطى لكل لاعب قطعة مستطيلة من الورق وقلم رصاص ، ويطلب إليه كتابة صفة لرجل ، ثم يطوى الورقة حتى لا يتسنى لسواه قراءة ما كتب ، ويدفع كل فرد بورقته إلى جاره الأيسر ، ثم يكتب كل منهم ، في الورقة التي أعطيت له ، اسم رجل للصفة التي اختارها هو ، وهكذا في كل خطوة ، وهذه هي الأمور التي يطلب إلى كل منهم كتابتها كما دارت الأوراق .
(١) صفة لرجل (٢) اسم الرجل (٣) صفة لامرأة (٤) اسم المرأة (٥) متى تقابلا (٦) ما الذي قاله لها (٧) ما الذي قالت له (٨) ماذا كانت النتيجة (٩) ماذا قال العالم عنهما
وعند فتح الأوراق وقراءتها ترى نتائج تبعث على الاستغراق في الضحك .

٥ - الكراسي الموسيقية

نصف الكراسي إما صفا واحدا أو كدائرة ظهرها إلى بعض ، بعدد اللاعبين عدا واحد ، ويجلس إحدى السيدات لتزف على المزف (البيانو) ، ويدور اللاعبون حول الكراسي ، ثم تقف السيدة عن المزف فجأة ، وعلى كل فرد أن يلحق كرسيا يجلس إليه . ومن لم يتمكن من الجلوس يوقف عن اللعب ، وهكذا دواليك حتى يبقى كرسى واحد يتنازعه اثنان ، والكاسب من فاز بالجلوس إليه دون الآخر .



(الرسم من المائدة: انظار الصفحة رقم ١١٦)

٦- الرسم من المرآة

يطلب إلى كل لاعب أن يرسم حيواناً أو شكل زخرفي، بينما هو ينظر إلى المرآة التي تنعكس عليها صورة الورقة المنبضدة على المنضدة ، أو يرسم دائرة أو نجمة ، ويطلب إلى كل منهم أن يتبع الخطوط ، فيرى أن هذا في منتهى الصعوبة ، وأصعب من هذا لو طلب إلى اللاعبين رسم ساعة ، والاشارة إلى وقت معين .

٧- الخيط المسحور

ضع خيطاً في محلول الملح أو الشبة (على غير علم أحد طبعاً) وعند ما يجف ، خذها برفقاً خفيفاً واربطه به ، وقربه للهب النار ، فيحترق الخيط ، ولا يقع الخاتم .

٨- لعبة النقود

خذ قطعة من النقود في كل يد وابطط ذراعيك ما استطعت ، واخبر المجتمعين بأنك ستجعل القطعتين يجتمعان في يد واحدة بدون أن تلمس يدا أخرى .

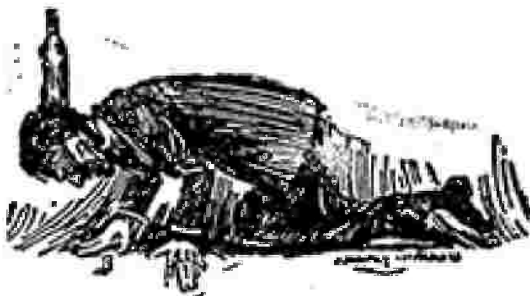
وهذا يمكن عمله بسهولة ، وذلك بأن تضع قطعة من النقود على المنضدة ، ثم تدور بحسبك حتى تصل يدك التي بها القطعة الأخرى إلى حيث توجد القطعة الثانية ، ويتسنى لك عندئذ التقاطها ، وبذا تجتمع القطعتان في يد واحدة ، ويداك مبسوطتان .

٩- إيقاد شمعة بدون مسها

أشعل شمعة حتى يحترق جزء طويل منها ، واطفئها فجأة ، فينبعث منها دخان في الهواء ، فأذا أوقدت عوداً من التراب بعد خمسة أو ستة سنتيمترات من الشمعة ، يلتهب الدخان وتيزر الشمعة ثانية .

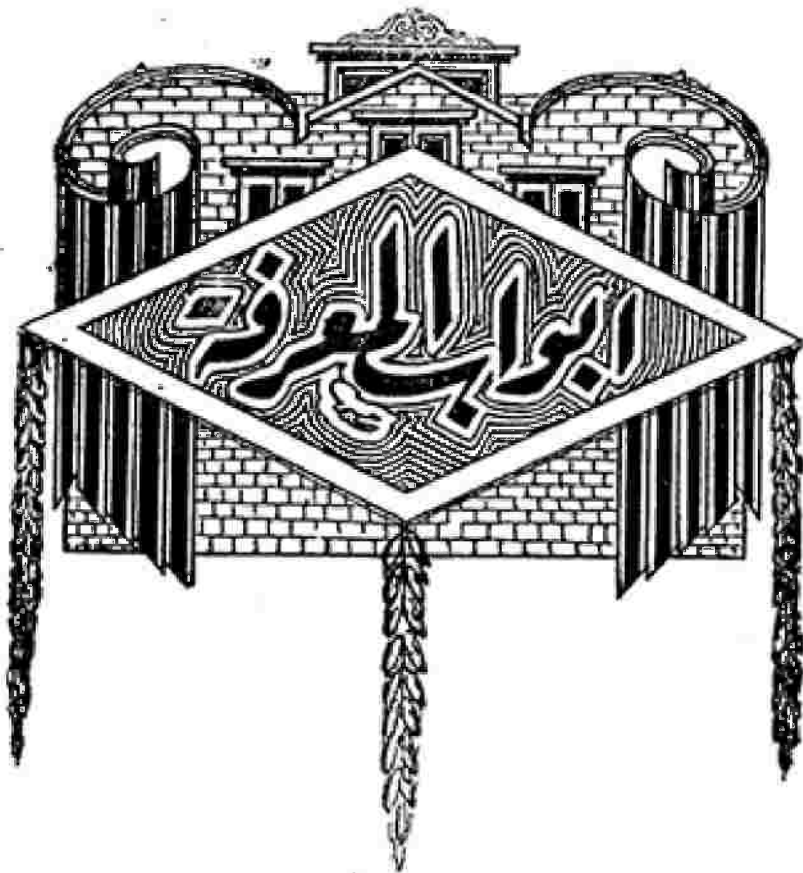
١٠- موازنة زجاجة على الرأس

وهذه لعبة صعبة : أحضر زجاجة كبيرة فارغة وحاول وزنها على مؤخر الرأس وأنت واقف ، ثم انبطح على يديك وركبتيك وأنت على هذه الحال ، واجهد أن تلتقط بفمك غطاءها الملقى على الأرض ، وعند تناولها تقف ثانية .



(موازنة زجاجة على الرأس)

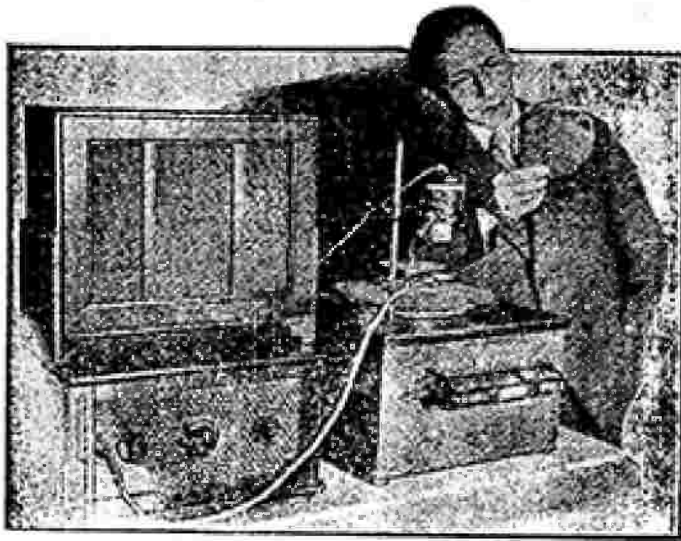
وخذ الزجاجة من على رأسك والغطاء من فمك ثم اعلن فوزك .



العلوم والفنون

(حاسة سادسة للكفوفين)

هل للأعمى حاسة سادسة يشعر بها قرب أى شئ منه ؟ نعم إن الأعمى يحس باحساس خفى ، كلما لمس شئ وجهه ، وذلك عند اقترابه من جسم غريب . وقد درس هذه الظاهرة الدكتور فالديمر دولا تشكى أستاذ علم النفس فى كلية أدسو ببولندا ، وقد وضع جهازاً لتجاربه أمكنه به أن يصل إلى أن الحاسة الجديدة تكونت من دفقة السمع التى وصلت إلى حد بعيد عند الأعمى ، فتجمله يسمع أدق الأصوات المنبعثة من الجسم المقرب ، وهذا يبعث فى نفسه الخوف من التصادم ، وهذا يحدث الاحساس المتقدم الذى ذكر الذى عرف الآن بالحاسة السادسة .
(آلة تشير إلى مرض القلب)



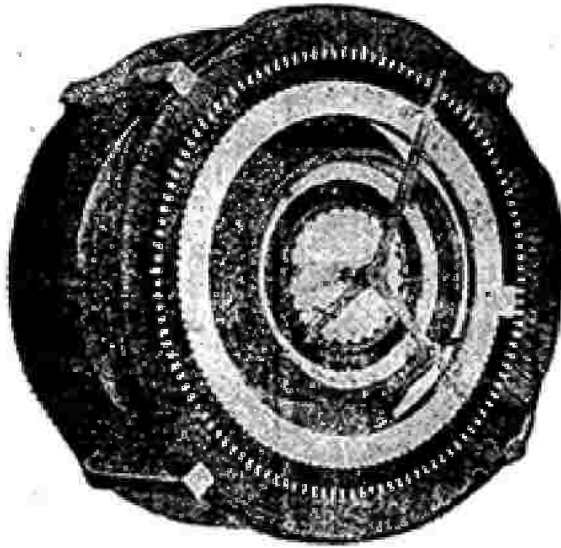
لقد أمكن الوصول أخيراً إلى تصوير مكان المرض فى القلب على زجاجة (فوتوغرافية) فى ألمانيا ، فقد اخترعت آلة كالحاكي (الفونوغراف) تدار عليها اسطوانة ، وتلتقط أيضاً صوراً (فوتوغرافية) من خلية وبمناقب ضربات القلب التى تسجل على القرص مع تلك الصور يتسنى للطبيب بسهولة أن يصل إلى موضع الداء .

(مصور جغرافى ٤٠٠٠ سنة)

بالقرب من بابل ، بأرض الجزيرة ، خريطة مخنونة مع قطعة من الفخار فى حجم صغير بقدر راحة اليد ، تبين رسم إحدى ضياع أحد الأغنياء حوالى ٥٢٠٠ قبل الميلاد ، تظهر بها المعالم الطبوغرافية كأدق ما يكون ، وحوها كتابة بالخط للمارى ، فيها الجبال معينة بخطوط منحنية ، بعضها فوق بعض حسب الطريقة البالية .

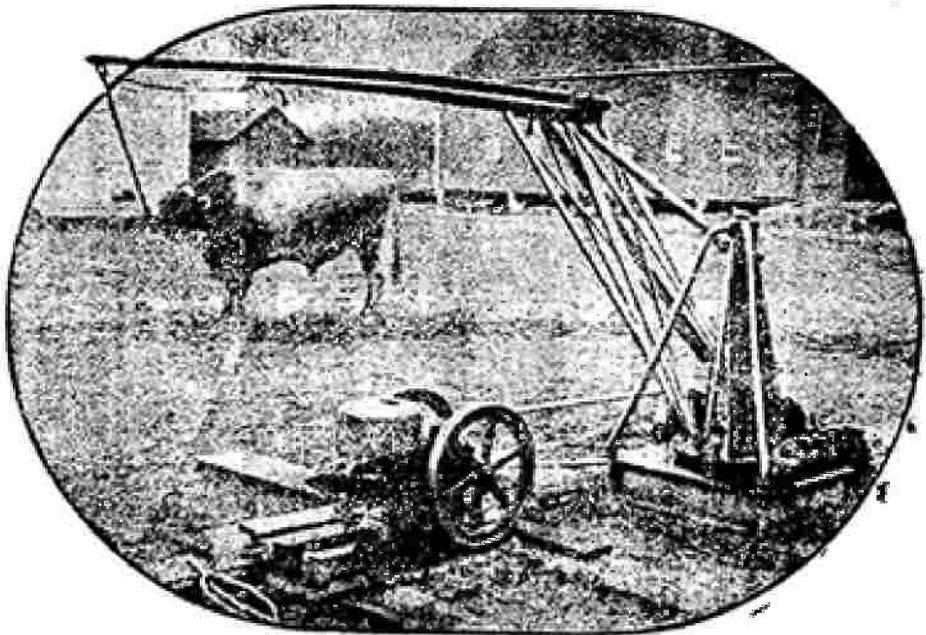
(ساعة فى فتوغرافيا)

أمكن تسجيل وقت التصوير فى شكل ساعة تدل على الزمن الذى انقضت فيه الصورة ، وهذا يعد من أغرف المخترعات ، وقد توصل إلى ذلك ، أحد شبرى البرائد للصورة ، وذلك بتثبيت ساعة شفافة للبناء أمام لوحة الآلة ، وبذلك أمكنه أن يأخذ الصورة مسجلة عليها وقت لتقاطها بدون أن ت تلف الساعة الصورة لشفافيتها .



(ساعة بدون آلة تسير إلى الابد)
 هذه الساعة تسير بمحرك كهربائي،
 وسمر اللغز في هذا الجهاز هو حلقة
 مغناطيسية تتصل بالجزء الثابت، وسلك
 مفتول مستدير من الحديد، وسلسلة من
 الحلقات المتحركة بمركزة في مكان واحد
 تحمل العقيرين منها ثلاث .
 وبالمغناطيسية يدور هذا السلك الحديدي
 بمعدل ستين دورة في الدقيقة، فيدير
 الحلقات الكبيرة المركزة، وهذه تدير
 تبعاً لها الحلقات المنطسة، وبنظام دقيق
 تنتقل القوة المغناطيسية، وبهذا تتحرك
 الحلقات الحاملة لعقيرتي الدقائق والساعات بالسرعة الصحيحة الدقيقة .

(آلة تدير ثورا من ألقه)



لقد اخترعت آلة تدير ثورا من ألقه لتعطيه الصحة برضاه أو قسراً عنه، وهذه الآلة قوتها
 نصف حصان بمحرك يدار بالغاز، والذراع القائد يدير الثور في دائرة .

(ساعة تسير عكسا)

كل ما يمكن أن يقال عن هذه الساعة التي تسير عكسا، أنها الأولى من نوعها في العالم، وقد اخترعها ساعاتي من سان انثونيو، وقد كتبت الأعداد عكسية، وتسير المقارب كذلك؛ وقد علقها على أواجهة حانوته، فلفتت الأنظار إليه.



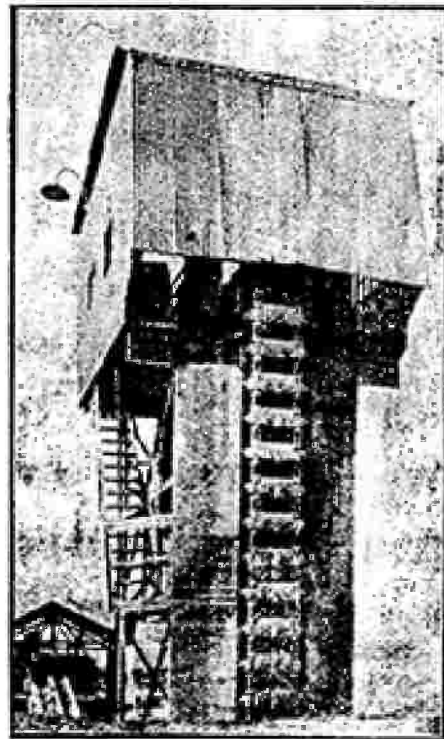
(آلة لفرز النقود المزيفة)

لفرز النقود المزيفة اخترع مخترع إيطالي آلة (أوتوماتيكية) إذا وضعت في ثقب لها معد لذلك - قطعة من النقود صحيحة تنحدر إلى أسفلها، والمزيفة لا تظهر، وداخل هذه الآلة جهاز يزن العملة وقيس قطرها ويختبرها بالمغناطيسية.

(آلة عظيمة تشذب جوانب التلال)

لقد غيرت هذه الآلة الطريقة القديمة التي كان يلجأ إليها في شق الطرق في التلال: فتتحرك إلى أعلى في سلسلة لانهاية لها، فتجتري سطح التل ثم تفرغ حمولتها في الشطر الثاني منه، والجهاز الخاص بحفر الصلصال يمكن أن ينقل خمسين طنا منها في الساعة، ويمكن أيضا أن تشذب حجر الجير والاسمنت وتنظم ما قطعته، والصورة التي إلى اليمين تشرح الوصف.

٢٠٠٠ ب



مملكة المرأة والبيت

مشاكل المرأة

بقلم الاستاذ محمد السيد

المرأة هي المرأة منذ بدء الخليقة حتى اليوم ، وبعبارة أوضح : إن المرأة أم قبل أن تكون أى شيء آخر ، ووظيفة المرأة صمرانية أساسها : تربية النسل ، وحفظ النوع الانساني من الاقراض ، وهي العامل الأول والمهم في خلق الأسرة وتربية النشء وإعداد رجال الغد، وترقية الحياة وإسعاد العائلة .

والمرأة ، باعتبارها زوجة مطالبة بأن تكفل لزوجها الراحة والهناء، ثم أن تفهم أن الحياة الزوجية، ليست حبا فقط، وليست متعة ولذا ذات حجب، وليست سبيلا لبقاء الجنس وحفظ النوع ليس غير ؛ بل الحياة الزوجية يجب أن تفهم على أنها «حب» و «متعة» و «لذاتة» فإيتها الهناء ، وتفيجتها السعادة البيتية، ومن ثم خلق أسرة ، وإيجاد عائلة لم تكن موجودة من قبل . والسعادة الزوجية لا تركز على جمال الخلق ولا على القسامة والوسامة ، ولا على دلال المرأة ، وما فيها من طراوة وغنج ؛ كما أن الزين والتبرج ليسا من أسباب الحب والسعادة وإن كانا من حوافر الشهوة في بعض الأحيان .

وإنما السعادة الزوجية أصلها وفرعها الشعور بالولاء وحسن العاطفة والاحساس بالاخلاص وما ينتج عن ذلك من رباط الالفة ووشائج المحبة السامية التي قد يكون من مظاهرها في بعض الأحيان الغناء .

ومن ثم فحسن الخلق وجمال الخلقة وحسن الطبع، ولين المعشر والظهور بالطاعة ولين العريكة وحب الخير للزوج مما يرفه الحياة، بل يكسر من شرتها ويلين من حداثها ويجعلها سائغة مقبولة مطافة .

والمرأة التي تعنى بنفسها وتنفى كل شيء إلا نفسها ، وأدوات زينتها وتبرجها ، إنما تسير إلى الهاوية وتستجل النهاية إلى القنوط واليأس من إصلاحها وجعلها زوجة صالحة ، وليس في هذا من الخطر ما فيه على شخصها فقط، وإنما هي تنحرف بؤرة توشك أن تردى فيها العائلة كلها صيرها وكبيرها .

والمرأة كأم عليها أن تعنى بأطفالها، فهي مريض وهي طبيب، وهي مربية، ثم نعمت المعلمة . ولعل أئمن نصيحة تتقدم بها إلى السيدة المصرية ، وإلى الفتاة المصرية، هي أن نصارحها القول أن وظيفة المرأة محصورة في البيت وفي الأمومة — والمرأة المترجلة التي لا تخضع للناموس الطبيعي، توشك أن ترتطم بصخور الحياء، ولا تلبث أن تجابها الحسرة والندامة .

هذا وليس من شك في أن من أهم ما يجابه العائلة المصرية الآن على الخصوص والشرقية على العموم ، من المسائل المثيرة هو :

- ١ - تعليم المرأة ، وأى العلوم يجب تلقينها حتى تسعد الأسرة وتضمن المرأة لبيتها المستقبل ؟
- ٢ - السفر والحجاب أو اختلاط الجنسين .

ومع أن الصحيفة التي خصصتها « المعرفة » الغراء (مملكة المرأة والبيت) تكاد لا تتسع لبحث شامل لهذه المواضيع العمرانية الهامة ، إلا أن هذا فيما أرى لا يحول دون بسط الموضوع كله ومن شتى نواحيه في فرص متتالية ، راجين إلى « المعرفة » أن تشجعنا وتشجع قراءها وقارئاتها لعرض مثل هذه البحوث المفيدة .

المرأة والتعليم

طلب العلم واجب على كل إنسان ، لا فرق بين ذكر وأنثى ، لكن العلوم كثيرة متشعبة الفروع كثيرة الأصول ، ولو أن أمراً قضى حياته يطلب العلم لأدركه الموت قبل أن يدرك غايته من العلم . لذلك كان من المعقول بل من الطبيعي أيضاً ، أن آيا من الناس لا يحصل من العلوم والفنون إلا بقدر ما يلزم مزاجه ، ويتفق وأهواءه ، ويساير طبيعته ، وما يسد حاجته ، ويعي له سبيل العيش . وقد قلت لك : إن المرأة خلقت لأن تكون أما ، فليس يطلب إليها أن تكون جندياً محارباً ، ولا مهندساً ، ولا شاعراً ، ولا فيلسوفاً ، ولا إلى ما إلى هذا مما يشق عليها ، ولا تحمله طبيعة خلقتها وفطرتها . فالعلوم التي يجب على المرأة أن تتعلمها كثيرة : تدبير المنزل ، ومبادئ الحساب ، واللغة ، وتقويم البلدان ، والحياكة ، والطهي ، والتربية ، وتربية الأطفال ، وتنظيفهم ، وتغذيتهم ، والسهر على راحتهم ، وغير هذا كثير مما يمت إليه بصلة ، ويتصل به بسبب ، مما هو فرض على المرأة أن تتعلمه ، وأن تحيط به إحاطة كاملة شاملة .

وكم من فتى رأى فتاة بارعة الحسن آية في الجمال ، هي في الدنيا زينة ، فأعجبه منها حسن هندامها واعتدال قوائها ، وأغراه منها أنها تجيد الرقص والتوقيع على (البيان) ثم زاده فتنة أن شاركته خواجه وميوله ، فهي تقرأ القصص وتهم الفصول الأدبية ، تستوعب لامارتين وفيككتور هوجو وشاكسبير ، وتمجج بهيكل ومن إلى هيكل ... فلما حقق الحلم الذهبي وبني بصاحبته ، جابهته الحقيقة المؤلمة وآب بالحسرة والندامة ... ذلك أن التي فتنته وأشبعت عواطفه وخواجه وميوله الجنسية ، لم تكسب للمركة الفاصلة ... ذلك أنها لم تك عالمة كيف تجهز له طعام إفطاره .

وتمه شيء آخر له أهميته منذ نشأة البنت : وفي نعومة الاظفار، وحين تكون روحها بسيطة لم يمتورها التعقيد ، ذلك هو تطهير النفس ، وتهذيب العواطف والميول ، بتوجيهها إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق وتمويدها على الصدق والزمانة والكياسة ، وليس أفعل في هذا من إشراب نفس البنت حب الدين وحب ماوراء الغيب ، فإن الجري وراء المحبوب المجهول ، مما تسوق إليه نفس الانسان .

اختلاط الجنسين

ولعل من السفة أن تلوك الألسنة الآن وفي هذا العصر مسألة السفور والحجاب أو الاختلاط بين الجنسين ، ومن الحماقة أن يتناول الانسان ذلك بالتحديد أو التفتيد ، فتلك مسألة اتهمينا منها لا إلى حل رائج ، ولكن إلى واقع محسوس ، فليس الآن ثمة حجاب وليست الآن ثمة امرأة متحجبة . ولعل المرأة المصرية ، أولعل من يزعمون أنهم أنصارها ، لم يكونوا على حق حين زعموا أن الاسلام يعد من حرية المرأة ويضع في يديها وعنقها الاغلال ؛ ذلك أن هؤلاء الناس يتركبون الباب إلى القشور .

فلاسلام قد أعطى المرأة كل الحرية وكامل الحقوق مهيئاً لها الرغد والسعادة ، ثم هو يساير الطبيعة ويؤمن بضرورات الحياة والمجتمع ، فقد جعل الرجل غادماً للمرأة ثم وضع المرأة في مكان الاعزاز والاكرام ، وأباح لها أن تتعامل وأن تبيع ، وتشتري وأن تملك وتهب ، وأن ترث وتورث وجعلها ندا للرجل في كل التصرفات والحياة العملية .

إلا أن الاسلام يرى - درءاً للفاسد وحفظاً للأُنساب - أن يأخذ في الاختلاط بالاحتياط ، وهذا كل ما يأخذه أعداء الاسلام على الاسلام .

والمدينة الغربية التي تبيع للمرأة أن تتبرج وأن تختلط وأن تشارك الرجل ما شاءته ومحارمه ، قد حرمتها أبسط الحقوق ، فهي لا تعترف بتصرفات المرأة المدنية في أملاكها دون إجازة الزوج وإقراره .

هــمـيـة السـنـة الـأولـى

تقدم إدارة « للمعرفة » لحضرات المشتركين الذين سددوا قيمة الاشتراك عن السنة الأولى ، كتاب « الرسالة العذراء » لابراهيم بن المدير ، وهي رسالة تعد من ذخائر الأدب العربي النفيس ، لما حوته من جليل البحث ، وطريف الفكر ، وقد صححها وشرحها باللغة العربية ، ووضع لها مقدمة مفصلة بالفرنسية ، تناولت الكلام على فن الانشاء ومذاهب الكتاب في القرن الثالث ، الدكتور زكي مبارك .

فأما حضرات المشتركين الذين يرغبون في أن تهديهم رسالة « الغزالي وابن سينا والفارابي » فنقدم بتقديمها ، عند انتهائها من الطبع . فليكتب إلينا كل بما يرغب .

مكتبة المعرفة

المدنية الإسلامية وأثرها في أوروبا

أهدانا الأديب الفاضل محمد سعيد بخت ولي الافغانى ، كتابه « المدنية الإسلامية وأثرها في أوروبا » ؛ ولعل القراء يذكرون ماقرأوه من فصول في هذا الموضوع ، نشرها الأديب بخت ولي في سنتها الأولى ، والكتاب ، كما هو ، بالنسبة للمدنية الإسلامية على قسط كبير من المعلومات النافعة ، وإن كان ينقصه الكثير من النقاط التي نأمل أن نتمس العذر للمؤلف فيها ، بأنه قصد من كتابه مجرد إبداء الفكرة ، والدفاع عن المدنية التي هضم حقها في هذا القرن : من ذلك أنه في الفصل السابع تكلم بأسباب عن عدل الإسلام وبفضه للظلم ، وقد كان الأجدر به أن يقول لنا شيئاً عن الثريمة الإسلامية وقوانينها ، ويقارنها بالقوانين الأوروبية ، ويصل بنا إلى الأثر الذي تركته هذه المدنية . وقد تناول المؤلف الكلام على المدنية الإسلامية ، فأفاض في ذلك كثيراً ، وإن قصرها على نواح خاصة . ومع ذلك فالكتاب ، كما هو ، جدير بالاطلاع عليه لفكرته وحسن أسلوبه ، ونحن من جهتنا نتمنى للكتاب انتشاراً لنشر فكرته .

الصناعة والصناع

ترجم عوض افندي جندي هذا الكتاب عن الانكليزية ، وللمترجم غير هذا الكتاب ، كتاب آخر ، هو « مشاهد اليابان » أبدع في ترجمته وأسلوبه ؛ وقد جاء كتابه الثاني على أنهم ما يكون من دقة الترجمة والتعابير ، هذا إلى حسن الأسلوب وسلاسته . والكتاب في مادته عظيم الفائدة ، فنصح جمهور المتعلمين بالاطلاع عليه لما فيه من المواضيع التي تصل بهم إلى عظيم الفوائد ، خصوصاً ونحن على أبواب نهضة صناعية ، وفي حاجة للتعرف إلى كل ما يمت إلى الصناعة والصناع بصفة ، فنشكر المؤلف على هديته ونتمنى لكتابته الذبوع والانتشار .

تراث الإسلام

THE LESAGY OF ISLAM

طبع بمطبعة جامعة أكنفورد - عدد صفحاته ٤٦٦ - الثمن ١٠ شلنات

في أوائل هذه السنة ظهر في عالم المطبوعات مؤلف قيم عن الإسلام وما خلفه للحضارة والثقافة الغربية ، وقد قامت بنشره جامعة أكنفورد كحلقة في سلسلة تلك المجموعة الموسومة « سلسلة التراث » ؛ وقد صدر منها قبل هذا سبعة مؤلفات تبحث فيما يتعلق بالحضارة الغربية من دين نحو الأغريق والرومان واليهود . « وراث الإسلام » في الواقع عدة مؤلفات صغيرة يضمها غلاف واحد ، وقد كتب كل جزء منها عالم مستشرق من أبناء الغرب ، وأشرف على

تحريره بادي. الأمر الأستاذ سر توماس أرنولد الذي توفي في العام الماضي ، ولما لم يكمل هذا القصر، فواصل العمل بعده الأستاذ الفرد جيوم، وأشار في تصدير الكتاب إلى الحسارة الهائلة التي منيت بها الأوساط العلمية بفقد أحد جهابذة المستشرقين.

والكتاب مقسم إلى ثلاثة عشر باباً : الأول عن اسبانيا والبرتغال بقلم ج.ب. ترند، والكتاب الثاني عن الحروب الصليبية بقلم ارنت باركر ؛ والثالث عن الجغرافيا والتاريخ بقلم ج.ه. كرامر المحاضر في اللغتين التركية والفارسية في جامعة لندن؛ والرابع عن الفنون الإسلامية الثانوية وأثرها في الفن الأوروبي بقلم ا.ه. كريستي ؛ والخامس عن الفن الإسلامي وأثره في فن التصوير الأوروبي بقلم المرحوم سر توماس أرنولد؛ والسادس عن فن العمارة بقلم مازتن برجس؛ والسابع عن الأدب العربي بقلم د. جيب أستاذ اللغة العربية بجامعة لندن؛ والثامن عن التصوف الإسلامي بقلم الأستاذ نيكلسون أستاذ اللغة العربية بجامعة كمبردج؛ والتاسع عن الفلسفة واللاهوت بقلم الفرد جيوم رئيس كلية كলাম؛ والعاشر عن القانون والمجتمع بقلم دافيد دي ساتيلانا أستاذ تاريخ المعاهدات السياسية والدينية في الإسلام بجامعة روما؛ والحادي عشر عن العلم والطب بقلم ماكس مايرهوف ؛ والثاني عشر عن الموسيقى بقلم ج.ه. فارمر؛ والثالث عشر عن الفلك والرياضيات بقلم البارون كارا دي فو. وقد قال المحرر في مقدمته ما خلاصته :

«إن الغاية التي يرمى إليها هذا الكتاب هي بيان العناصر التي اشتقتها الحضارة الغربية من العالم الإسلامي ؛ «وتراث الإسلام» اسم قد يثير من الجدل ما يثير، ولا يفسر معناه الحقيقي إلا هذا الكتاب برمته ، وهو لا يعالج في الواقع موضوع ما خلفته الديانة الإسلامية عن طريق الدين ، وسيعلم القارئ بعد فراغه من مطالعته أن أثر الدين الإسلامي كان أضعف ما يكون تلك الخلفات التي تركها المسلمون الشرقيون والغربيون ، ولنضرب لذلك مثلاً بالشرع الإسلامي، فهو أقل ما في التراث الإسلامي أثراً في الحضارة الغربية ، لكن الإسلام هو الحقيقة الأولى التي يسرت لهذه التركة أن تكون في عالم الوجود، فتحت حماية الأباطورية الإسلامية، وفي كنفها، وتحت رعايتها زهت الفنون والعلوم، التي يأخذ هذا الكتاب على عاتقه وصفها .

وبلاد العرب هي مهد الإسلام ومسقط رأسه، وعلى لغة العرب يستند كل ما كتب في هذا المؤلف، وكثيراً ما يستعمل اللفظان : العربي والإسلامي، كل منهما في موضع الآخر . وفي تلك الأيام العظيمة - أيام الخلافة الإسلامية - لم يكن يفصل بين اللغة والدين .

وقع اللغة العربية بين اللغات السامية موقع الاغريقية بين اللغات الاوروبية، وإنه لمن حسن حظ الإسلام أن الرسالة أنزلت في وقت بلغت فيه اللغة العربية أوج عزمها ؛ وقد كانت اللغة الارمية فقيرة جداً بالنسبة للعربية، وحتى اللغة العبرية القديمة لم تنافس - وهي في أحسن حالاتها - لغة العرب في مرونتها للدهشة، فن لليسور أن تصوغ العربية من مصادرها الذاتية - بأساليب مستقلة عن غيرها - اللفظ الصحيح الذي تتطلبه الفنون والعلوم الجديدة لتعبر به تعبيراً فكرياً صحيحاً»
والكتاب مطبوع طبعا أنيقا، وبه اثنتان وتسعون صورة . ابراهيم عبد الحميد زكي

سِنُ المعرفة وقارها

دراسة الحيوانات

(القاهرة. مصر - أحمد فتحى عبدالعال ناصف) لماذا يهتم العلماء بدراسة الحيوانات التي لها أكثر من خلية واحدة دون الحيوانات الأولية مع العلم بأن الثانية أساس الأولى؟
(المعرفة) لو كان المقصود دراسة الخلية في حد ذاتها من تكوين وتكاثر ونمو، لوجدنا العلماء قد قصروا تجاربهم على الحيوانات الأولية كالأميب وغيرها، ولكنهم قد انتهوا من هذا الموضوع، والآن يبحثون في علاقة الخلايا بعضها ببعض وارتباطها وتكوينها في الحيوانات المختلفة، ولذلك يجرّون تجاربهم في الحيوانات المتعددة الخلايا إذ قد انتهوا من دراسة الخلية في حد ذاتها منفردة.

كثرة النسل أيضاً

(الروضة. القاهرة - ع. ا. عبدالرحمن) تزوجتها منذ اثنتى عشرة سنة بعد حبّ باقٍ إلى الآن، ورزقت بثان أطفال وأخشى الزيادة لأن مرتبى بسيط، وأنا مائر جداً، فهل أطلقها أم هناك علاج آخر؟
(المعرفة) قد أظهرنا رأينا بصراحة في هذا الموضوع في العدد الحادى عشر « شهر مارس »، ونقول إن مسألة الرزق بين إرادة الله وسعى المرء، وقد ذهبت الناس في هذا الموضوع مذاهب شتى؛ فمن يحبذ لكثرة النسل ومقترح على الحكومة إغاثة الكثيرين الأطفال، ومن داع إلى تحديد النسل، وهذا فيه ما فيه من ضرر كبير للأمة يظهر في المستقبل. فلا تفكر في الطلاق واجتهد قدر طاقتك، فإن الله آتيك برزق صغارك.

الأكاديمية الفرنسية

(الاسكندرية. مصر - عبد الحميد حسن) كيف تأسست الأكاديمية الفرنسية؟ وما قيمتها وبالنسبة للأدب العالمى؟ وهل لكم أن تذكروا لى بعض أعضائها؟
(المعرفة) الأكاديمية الفرنسية من أهم المؤسسات التي قام بها الكردينال ريشيليو وزير لوىس الثالث عشر، وقد صدر المرسوم بتأسيسها في ٢ يناير ١٦٣٥، وقد أدت هذه الأكاديمية من أقدم الخدم للغة الفرنسية وآدابها ما لا سبيل إلى حصره، فقد هذبت الألفاظ والمعاني والأساليب بما جعل لها من الأثر في العالم ما لا ينكر، اذ تعد في طليعة اللغات الأدبية أسلوباً ومعنى ونظماً. وأعضاء الأكاديمية أربعون يطلق عليهم « الأربعون المخلدون » ويمينون بالأنتخاب ممن ضربوا بسهم وافر في الآداب والفنون اللغوية.

فهرس المعرفة

الجزء الاول من السنة الثانية

صفحة	
١	« المعرفة » في سنتها الثانية
١	الحقيقة والحياة
٢	الحكمة الصينية
٣	كلام في القراءة والقراءات
٣	نبعة الشعر
٣	التربية والتعليم عند العرب والفرنج
٣	الأرادة والعمل
٣	الخطبة والخطباء في الاسلام
٤	على باشا مبارك
٤	مميزات الأدب الرومي
٥	في جنب دجلة (قصيدة)
٥	حبوبة قلبي (قصيدة)
٥	الضمير
٦	المثل الأعلى للزوجية
٦	واجبات المربي
٧	نظريات في نشأة التطور الأخلاق
٧	أبو عامر بن شهيد
٨	التدبير الغذائي في علاج البول السكري
٨	العالم كيف خلق وكيف تطور ؟
٩	تاريخ الخرائط
٩	حفظ الأريب (قصيدة)
٩	بين ذكاه الإنسان والحيوان
١٠	فاطمة (قصة مصرية)
١٠	القوترافيا والأدب
١٠	التسلية المنزلية
	للمحرر
	لأحمد شوقي بك
	للدكتور علي العناني
	للدكتور أحمد فريد رفاعي
	للأستاذ السباعي بيومي
	للأستاذ أحمد العمروسي بك
	للأستاذ محمد جاد المولى بك
	للأستاذ يوسف أحمد
	لعبد الرحمن الرافعي بك
	للأستاذ ثابت الفندي
	للأستاذ جميل صدقي الزهاوي
	لختار الوكيل
	للأستاذ محمد مهدي علام
	للأستاذ مصطفى أبو العلا
	للأستاذ حامد عبد القادر
	للسيدة نائلة الحكم سعيد
	للدكتور زكي مبارك
	للدكتور محمود فريد
	للأستاذ مظهر سعيد
	للأديب محمد بهجت
	لطلبه محمد عبيد
	للأستاذ قواد الالهواني
	بقلم عبد الحميد العمروسي
	بقلم المبارك ابراهيم
	ترجمها م. ب.

أبواب المعرفة

١٢١	مملكة المرأة والبيت :	العلوم والفنون
	مشاكل المرأة	مكتبة المعرفة
		بين المعرفة وقراءتها

مجموعة السلسلة الأولى

من المعرفة

١٥٣٦ وجهود جبهة من الكتاب والعلماء ٥٣٢
صفحة موضوعاً

في مجلدين ضخمين

تطلب من الإدارة مباشرة بالقيمة الآتية :

٥٠ قرشاً صاغاً	عن مجموعة لمصر والسوان	٧٥ قرشاً صاغاً	عن مجموعة للخارج
٢٧ قرشاً صاغاً	« المجلد الأول لمصر والسودان »	٤٠ قرشاً صاغاً	« المجلد الأول للخارج »
٢٤ قرشاً صاغاً	« المجلد الثاني لمصر والسودان »	٢٧ قرشاً صاغاً	« المجلد الثاني للخارج »
٤ قروش صاغاً	عن عدد واحد لمصر والسودان	٥ قروش صاغاً	عن عدد واحد للخارج

الإدارة : شارع عبد العزيز رقم ٤ بالقاهرة

تحرير

يحذر صاحب « المعرفة » حضرات الكتاب والأدباء ، وأصدقائه « المعرفة » ومشتركيها جميعاً وأصحاب السارح وغيرها ، من اعتياد أى شخص يتقدم إلى حضراتهم بدعوى تمثيلنا أو الاتصال بنا أو العمل معنا ، مالم يحمل كتاباً يوضح صفته ، وموقعاً عليه من صاحب المجلة ومحررها . كما أن وصولات الاشتراكات لا تعتمد مطلقاً ، مالم تكن موقعة عليها بأمر صاحب المجلة وممهوره بختم الإدارة .

رجاء

ترجو إدارة « المعرفة » حضرات المشتركين الذين لم يسددوا قيمة اشتراكهم ، عن سفتها الأولى ، التفضل بتسديدها إلى الإدارة مباشرة ، آداء للحق ، وتعاوننا معها فيما أخذته على عاتقها من نشر « الثقافة العربية الصحيحة » .

(مطبعة المعرفة)

هذا كتاب من الكتب النادرة
التي لا يملكها إلا القليل من الناس

الإدارة الجديدة

للمجلة المعروفة

بشارع عبد العزيز رقم ٤

بالقاهرة



ش. SCHILLER
ش

اقرأ مقالا عنه في هذا الجزء بقلم الدكتور علي . نادر



George Sand
جورج صـ اند

اقرأ مقال « الأقصوة الفرنسية »



الفرد دي موسه —————
Alfredes Masset
إقرأ مقال « الأفضوة الفرنسية »



جوليه — اس جانين jules janin

اقرأ مقال « الأقصوصة الفرنسية »